تبوك
قديماً وحديثاً

أ. د. مسعد بن عيد العطوي

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبوك

قديماً وحديثاً

أ. د. مسعد بن عيد العطوي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدّمة

الحمد لله الذي أمرنا بالعبادة، وجعل الإنسان خليفة في الأرض يعمرها بما منحه الله من عقلٍ، وظَّفَ الطبيعة لمقتضيات الحياة الإنسانية، وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله.

وبعد:

فإن منطقة تبوك آهلة بالحياة الحضرية القديمة، ففيها أو حولها أصحاب الأيكة، ومواطن شعيب، وهي قريبة من أرض فلسطين حيث الأنبياء والرسل عليهم السلام، وقد غزاها الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة للهجرة النبوية، وبهذه الغزوة خلدت في نفوس المسلمين ودرجت على ألسنتهم.

وتبوك ومنطقتها تمثل المكتبة الأثرية للأمم السالفة، فهي موطن الحضارات العربية، وطبيعتها جبلية مما أتاح للأمم أن تكتب عليها خطوطها، وترسم عليها حياتها.

وتحتفظ المنطقة بمعالم الحياة الزراعية والسكنية، فهناك آثار الديار وآثار الآبار والجداول، وفي أحقاب التأريخ المتأخرة نضبت الأنهار الجارية والجداول وانخفض منسوب العيون الجارية فتحولت الحياة بالمنطقة إلى حياة بدوية رعوية، واقتصرت معالم تبوك على العيون الجارية السطحية، فكانت بلدة صغيرة تعتمد على التجارة مع الحجاج، وعلى تجارة القبائل المحيطة بها، حتى جاء العهد السعودي الزاهر، الذي وحّد الجزيرة، وحطم الصراع القبلي، واستظلت البلاد بمظلة الاستقرار والأمن، وانتشر التعليم في ربوع البلاد، فتطورت المدينة، وأشيدت فيها المباني وتوافد إليها أبناء الجزيرة سيما مع طلائع القوات المسلحة التي استوطنتها قبل قيام المدينة العسكرية، وبعدها، وقامت المزارع، وأصبحت عاصمة الشمال الغربي (منطقة تبوك) وأصبحت بوابة الشمال.

وقد شهدتُ تطورها المذهل من نمو العمران والأحياء، وتكاثر السكان، وازدياد الرقعة الزراعية، وتأسيس الإدارات الحكومية، وقيام المعاهد والكليات، ومعالم الحضارة، فكان لزاماً علي أن أسجل ذلك شكراً لله ثم عرفاناً لدولتنا الرشيدة وتدويناً للمنطقة وأحداثها.

ومصادر هذا الكتاب هي الكتب التاريخية، وكتب الرحلات، والمقابلات الشخصية، ومعايشتي للواقع المعاصر.

وقد قسمت الكتاب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تحدث فيه عن تبوك القديمة وغزوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومساجده، والقبائل العربية القديمة، ومكانة تبوك عبر العصور الإسلامية، والآثار حولها.

الفصل الثاني: تبوك المعاصرة وتحدثت فيه عن أشهر أمرائها وعن الأحياء السكنية وتطورها العمراني والزراعي، ونموها السكاني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث: خصصته للناحية الفكرية والأدبية.

وختاماً أشكر كل من أهدى إليّ معلومة أو صحّح خطيئة وأخص بالذكر كلاً من الدكتور سليمان الرحيلي والأستاذ فهد عايش الطيار الذين اطلعا على المخطوطة، واستفدت من ملحوظاتهما.

الرياض

٧ / ٥ / ١٤١٣هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التمهيد

- تبوك في المعاجم.
- منطقة تبوك.
- جغرافية منطقة تبوك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبوك في المعاجم

تحدث ابن منظور في معجمه لسان العرب عن تبوك تحت مادتي (بوك) و(تبك) فقال([1]):

((بوك: ناقة بائكة: سمينة خيار فتية، والجمع البوائك. ومن كلامهم: إنه لمنحاز بوائكها، وقد باكت بُؤُوكا، وبعير بائك كذلك وجمعهم بوّك، وحكى ابن الأعرابي: وبُيَّك؛ وهو مما دخلت فيه الياء على الواو بغير علة إلا القرب من الطرف وإيثار التخفيف كما قالوا صيم في صوم، ونيم في نوم وأنشد ابن الأعرابي:

ألا تراهـــا كالهضـــاب بُيَّكـــا متاليـــا جنـــبي وعُـــوذا ضُـــيكا

جنبي: أراد كالجنبي لتثاقلها في المشي من السَّمن، والضيك: التي تفاج من شدة الحفل لا تقدر أن تضم أفخاذها على ضروعها. والكسائي يقول: باكت الناقة تبوك بوكا سمنت. والبوائك: السمان. قال ذو الخروق الطهوي:

فمـــا كـــان ذنـــبَ بـــني مالـــك بـــأن سُـــبَّ مـــنهم غـــلام فَسَـــبْ

عراقيـــب كـــوم طـــوال الـــذُّرى تخِـــرُّ بوائكهـــا للرُّكـــبْ

وقال ذو الرمّة: أمثال اللحاب البوائك. الأصمعي: البائك والفاشج الفاسج الناقة العظيمة السنام، والجمع البوائك. وقال النظر: بوائك الإبل كرامها وخيارها وقوله أنشده ابن الأعرابي:

أعطـــاك يـــا زيـــد الـــذي يعطـــي الـــنَّعم مـــن غـــير مـــا تمـــنن ولا عـــدم

بوائك لم تنتجع مع الغنم

فسّره فقال: البوائك الثابتة في مكانها يعني النخل.

والبوك: تثوير الماء، وفي التهذيب: تثوير العين يعني عين الماء. يقال: باك العين يبوكها، وفي الحديث: إن بعض المنافقين باك عيناً كان النبي صلى الله عليه وسلم وضع فيها سهماً. والبوك: تدوير البُندقية بين راحتيك. وفي حديث ابن عمر: أنه كان له بُندقة من مسك وكان يبلها، ثم يبوكها أي يديرها بين راحتيه فتفوح روائحها.

و ((البوك: البيع. وحكى عن أعرابي أنه قال: معي درهم بهوج لا يباك به شيء أي يباع. وباك اشترى وباك يباع، باك إذا جامع. والبوك الشراء، وإدخال القدح في النصل)).

([1]) ابن منظور، لسان العرب ١: ٣٨٩، دار المعارف (الترتيب الهجائي).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

((تبك: تبوك اسم أرض. قال الأزهري: فإن كانت التاء في تبوك أصلية فلا أدري مَمَ اشتقاق تبوك وإن كانت التاء تاء التأنيث في المضارع فهي من باكت تبوك.

وقال ابن عباد: التبوكي عنب طائفي أبيض قليل الماء عظام الحب نحو من عظم الإقماعي ينشق حبه على شجرة وكذا في التهذيب وزاد ابن عباد نسبة إلى أرض تبوك))([1]).

وتبوك بفتح التاء وضم الباء([2]).

تسمية تبوك:

يرى موسل أن تبوك لها ذكر في التاريخ اليوناني القديم، وكان يطلق عليها (تباوا)([3]) ويقال: إنها عاصمة الأيكة، وفيها قلعتهم التي نرجح أنها قلعة تبوك الحالية، لأن المراجع التي تشير إلى القلعة لم تذكر من قام ببنائها أول الأمر، وإنما تذكر تجديدها مما يرجح قدمها، ويقال: إنها بئر صالح عليه السلام ويطلق عليها (تبوكا) أو (تابوكا) وكذلك (تبوق) وهذه الأسماء تتوافق مع المضمون الذي يدور في كيفية العين التي تجري في تبوك لأنها أخذت من التحريك وهو البوك، أو من ارتفاع تلها فيشبه الناقة الضخمة، أو غزيرة اللبن، أو استمرارية التحريك لها قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنها تخدع المسافرين فلا يوجد فيها الماء أحياناً([4]).

تبوك تحمل التسمية قبل الغزوة بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إنكم ستأتون غداً – إن شاء الله– عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي))([5]).

وقد خرج الحديث وبيّن وجه التسمية عبد القادر حبيب الله ورجح أن تكون التسمية سبقت غزوة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا وجه لمن يقول: إنها سميت تبوك (لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى قوماً من أصحابه يبوكون حسي تبوك أي يدخلون فيها القدح، ويحركونه ليخرج الماء فقال: ما زلتم تبوكونها بوكا)([6]).

([1]) ابن منظور، لسان العرب ١: ٤١٩.

([2]) الزبيدي، تاج العروس، مادة بوك.

([3]) أ. موسل، شمال الحجاز ١٤٠، ترجمة د. عبد المحسن الحسيني، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨٨م.

([4]) انظر: حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة ٤٣٧، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

([5]) عبد القادر حبيب الله السندي، الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك ٣٨.

([6]) انظر: التخريج الكامل للحديث ورواياته في الذهب المسبوك لغزوة تبوك ٣٩، ٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(قلت: ولو صح هذا الحديث بإسناد جيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له حجة في وجه التسمية لأنه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرجه مسلم وأحمد ومالك في موطأه والذي سبق تخريجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنكم ستأتون غداً – إن شاء الله– عين تبوك ...)) الحديث. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها تبوك قبل أن يأتيها أحد فلا وجه لقول ابن قتيبة في تسمية الغزوة بتبوك بناء على هذا الحديث)([1]).

الموقع:

وتقع تبوك بقرب الدرجة 37 – ٣٦ْ طولاً و 27– 28 عرضاً في الناحية الشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية، وتحيط بها المرتفعات من جميع الجهات تقريباً. وتبعد عن المدينة المنورة ٦٧٠ كيلو متر، ولكن المسافة أقل لأن المسار البري ينحني كثيراً ليمر بتيماء وليبتعد عن الطريق الوعرة عبر سلسلة الحرات التي تتصل بالمدينة، وكان المسافرون يسيرون بين تبوك والمدينة المنورة اثنتي عشرة مرحلة، وتقترب من تبوك في الجهة الجنوبية الغربية حرة الرحاء وبداية أرض حسمى من الناحية الغربية لتبوك، وفي شرقها الوادي الأخضر، وتحفها من الشرق جبال غوانم وهي سلسلة جبلية تتصل بجبال شروري. وقد ذكر ابن حوقل هذا الموقع في كتابه (صورة الأرض) فقال: ((وتيماء الممر من تبوك وهي في شمال تبوك))([2]) وهذا واضح الخطأ والأصح في جنوبها الشرقي.

كما ذكر موقعها أحمد عادل كمال فقال: ((ولقد كانت تبوك على نشز مرتفع في سهل رملي بين جبل (حسمى) إلى الغرب منه وجبل شروى إلى الشرق)).

والملاحظ أن جبل شروري في الشمال الشرقي لتبوك وليس إلى الشرق وهذا الجبل من المعالم المشهورة في المنطقة يهتدي به المسافرون، وتعرف به الأماكن المجاورة. فشروى جبل مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام، وقد تحدثوا عنه كثيراً. قال ياقوت الحموي شروى: ((بتكرير الراء وهو فعوعل كما قال سيبويه في قروى ...)).

فأصله إذاً إما من الشَّرَى وهي ناحية الفرات وإما من الشَّرى وهو تبايع الشيء، فكررت العين فيه وزيدت الواو كما قلنا في قروى. قال لي القاضي أبو القاسم بن أبي جرادة رأيت شروى وهو جبل مطل على تبوك في شرقيها. وفي كتاب الأصمعي: شروى لبني سليم، قال الأعشى السلمي وكان سُجِن بالمدينة (هاجك ربع بشروى ملبد) وقال آخر:

([1]) المرجع السابق ٤١.

([2]) ابن حوقل، صورة الأرض.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كأنهـــا بـــين شـــرورى والعُمَـــق نواحـــة تلـــوي بجلبـــاب خلـــق

وقال الأصمعي: شرورى ورحرحان في أرض بني سليم وفي كتاب النبات: شرورى وادٍ بالشام. قال الشاعر:

ســـقوني وقـــالوا: لا تُغَـــنَّ ولـــو ســـقوا جبـــال شـــرورى مـــا سُـــقيت لغَنّـــت

وقال عبد الرحمن بن حسان:

أرِقـــت لـــبرق مســـتطير كأنـــه مصـــابيح تخبـــو ســـاعة ثم تَلْمَـــحُ

يضـــيء ســـناه لي شـــرورى ودونـــه بقـــاع النقيـــع أو ســـنا الـــبرق أنـــزحُ

وقال مزاحم العقيلي:

أذلـــك أَمْ كُدريّـــة ظـــل فرخهـــا لقـــىً بشـــرورى كـــاليتيم المعلـــل

غـــدت مـــن عليـــه بعـــدما تم ظِمْؤُهـــا تصـــلّ وعـــن قَـــيْض بزيـــزاء(١) مَجْهـــل

غُـــدُوّاً غـــدا يـــومين عنـــه انطلاقهـــا كميلـــين مـــن ســـير القطـــا غـــير مؤتـــل(٢)

((وجبل شرورى من أعلى الجبال التي لا يمكن صعوده لأن قمته ملساء ناعمة، وتقول الأساطير إن به كنزاً وضعه كاهن منذ القدم يسمى أسطليسطس، ووضع عليه رصد قذف به في بحر الظلمات. وكثيراً من هذه الأساطير الخرافية التي أصبحت قصصاً مسلم بها عند بعض الناس. وقد تحدثت مع الشيخ كريم بن عطية فقال: لقد حاولنا الصعود ولم نستطع وإذا حفرنا مكاناً لرجلينا يخفس بها عند الصعود إلى غير ذلك من القصص التي يطول شرحها ولا مجال لسردها ولكن إلقاء الضوء شيء لابدّ منه للباحث))(٣). وجبل شرورى يمكن الوصول إلى أعلاه عن طريق على شكل درج محفور على الصخور. ويصعد إلى مسجد واضح المعالم وقد مر به صاحب أرض الأنبياء قبلي. ولم يتحدث عن الجبل كثيراً، ويقال: إنه يوجد بئر شرقي الجبل في حدود طرف الظل وقت صلاة العصر، وإن ماء هذا البئر يستشفي به.

((حِسْمى: بالكسر ثم السكون مقصورة يجوز أن يكون أصله من الحسم وهو المنع وهي أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربيهم وفي شرقيهم شرورى وبين وادي القرى والمدينة ست، قال الراجز:

جـــاوزن رمـــل إيلـــة الدهّاســـا وبطـــن حســـمى بلـــداً هرماســـا(٤)

وحسمى أرض غليظة وماؤها كذلك لا خير فيها تنزلها جذام وقال: ابن السكيت: حسمى لجذام

---

(١) زيزاء: مكان قرب جبل وثر في الجهة الجنوبية الغربية لشرورى على مسافة ١٠٠ كيلاً تقريباً.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة شرورى ٣: ٣٣٩.

(٣) ملحق المدينة من مقال بقلم علي محمد العامري.

(٤) هرماسا: أي واسع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جبال وأرض بين أيلة وجانب تيه بني إسرائيل الذي يلي أيلة وبين أرض بني عذرة من ظهر حرة بهل فذلك كله حسمى. قال كثير:

سيأتي أمير المؤمنين ودونه جماهير حسمى قورها وحزونها
تجاوبُ أصدائي بكل قصيدة من الشعر مهداة لمن لا يهينها

ويُقال: آخر ماء نضب من ماء الطوفان حسمى فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هو أخبث ماء(١). وفي أخبار المتنبي وحكاية مسيره من مصر إلى العراق قال حسمى أرض طيبة تودي لبن النخلة من لبنها وتنبت جميع أنواع النبات مملوءة جبالاً في كبد السماء متناوحة ملس الجوانب إذا أراد الناظر النظر إلى قمة أحدها فتل عنقه حتى يراها بشدة. ومنها ما لا يقدر أحد أن يراه ولا يصعده ولا يكاد القتام يفارقها ولهذا قال النابغة(٢):

فأصبح عاقلاً بجبال حسمى دقاق التراب محتزم القتام

واختلف الناس في تفسيره ولم يعلموه، ويكون مسيرة ثلاثة أيام في يومين يعرفها من يراها حيث يراها لأنها لا مثل لها في الدنيا. ومن جبال حسمى جبل يعرف بإرم(٣) عظيم العلو تزعم أهل البادية أن فيه كروماً وصنوبراً(٤). وفي حديث أبي هريرة تخرجك الروم منها كفراً إلى سُنبك من الأرض قيل له: وما ذلك السنبك، قال: حسمى جذام. وقرأت في بعض الكتب أن بعض العرب، قال: أن الله اجتبي ماء إرم والبديعة(٥) ونعمان وعللان(٦) بعباده المؤمنين وهذه المياه كلها حسمى.

---

(١) لا يعرف الآن ماء باسم حسمى، ولكن يعرف ماء باسم (أبو مرير) فيه آبار مالحة الماء ولا يستساغ ومن شرب منه فإنه يصاب بالإسهال. وهو قريب من وادي ضم في الجهة الشمالية الغربية لتبوك بما يقارب من أربعين كيلاً.

(٢) النابغة، الديوان ٣٦ برواية: ((وأضحى ساطعاً بجبال حسمى))، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى.

(٣) يعرف الآن بجبل رم في وادي رم في نهاية حدود حسمى في المملكة الأردنية، وتنبع المياه من جوانبه وماؤه عذب، ولكن لا نبات في رأسه، غير أنه يقترب من وصف سُنُبك، وأظن أن المتنبئ جاء إلى ذلك الجزء من حسمى فهو الذي على طريقة من مصر وهو الأقرب إلى بلاد العراق، ويتصل مباشرة ببسيطاء التي وصفها في شعره.

(٤) لا يعرف اليوم جبل بهذا الاسم حول تبوك ولكن تلك الصفات تطابق ما يذكرونه عن جبل (اللوز) وهو جبل عظيم رأيت فيه معالم لتصنيع الحجارة البيضاء التي تصنع منها الهياكل والأعمدة الرخامية. ويرتفع عن سطح البحر ٣٥٧٨م.

(٥) البديعة: ماء في حرة الرحاة، مورد عذب، وفيه نخيل، وتحول إلى قرية فيها مركز للإمارة، ومستوصف طبي، ومدارس ابتدائية.

(٦) عللان: يسمى الآن علقان وفيه مركز للأمارة ومدارس، وتلك الأماكن متباعدة جداً حيث يبعد كل منهما ما يقارب ثمانين كيلاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في كتاب السير وأخبار نوح أن حسمى جبل مشرف على حران، وهذا بعيد من جهتين إحداهما: أن الجودي بعيد عن حرّان، بينهما أكثر من عشرة أيام، والثانية أنه لا يعرف بالجزيرة جبل اسمه حسمى(١)، والذي يطوف في ربوع هذه المنطقة، يرى أصدافاً بحرية، مما يدل على أن تلك الديار كانت مغطاة بالماء في فترة زمنية سابقة. وحدود حسمى من جهة الجنوب حرة الرحاء وهي نهاية الحرات في جزيرة العرب. ومن الغرب سلسلة الجبال المشرفة على ساحل البحر الأحمر. ومن الشرق سهول تبوك الممتدة. ومن الشمال تنتهي بنهاية وادي إرم بعرض يقارب تسعين كيلاً وطول يقارب خمسين ومائة كيلاً.

(١) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، حسمى، حمد الجاسر، شمال غرب الجزيرة ٥١٦، مقال لعلي العامري في ملحق جريدة المدينة (خاص عن تبوك) رقم ٥٠ صفر ١٤٠٣هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منطقة تبوك

المكان الذي تقع فيه مدينة تبوك يحتم قيام مدينة رغم الظروف الزمنية المتتالية والمتغيرة، فالمكان صالح لتنامي العمران؛ حيث تكثر فيه الموارد المائية، والأراضي الخصبة الكفيلة باستمرار الحياة ما أراد الله ذلك، والمكان الذي تتواجد فيه تبوك وقراها استطاع أن يستهوي الأحقاب الزمنية، وأفكار أهلها، وحاجاتهم وقدراتهم وتقدمهم، فكل استطاع أن يقيم من العمران ما يدل على تمكنه من الحضارة (إن كان متمكناً) أو على بدائية قدراته، لذا فإنك تجد آثاراً للدول العظمى، وآثاراً للإمارات، وأثاراً للبدائية. وقد كانت التلال تنبع عيوناً جارية تنساب في جداول يسهل توجيهها للمزارع فلما جاءت التقنية الحديثة أوجد الله فيها ماء غزيراً يستخرج من الآبار الارتوازية.

فاختيار الموقع الجغرافي لتبوك منسجم مع الموقع الذي يجب أن تبني فيه المدن، وكأن الذين اختاروا هذا الموقع من خبراء الجغرافيا. فالضروريات لتكوين المدينة موجودة، حيث السهول الممتدة، والمياه الغزيرة، مما أدى إلى تكاثر الزراعة، وبناء العمران، وأدى موقعها على مشارف الشام، ودرب الحاج، والطريق التجاري إلى ازدهارها منذ القدم.

وكذلك فإنها ملتقى لعدد من القبائل العربية التي تحيط بها من جميع جهاتها، ولما كانت أساليب الحياة الأولى بدائية؛ فإن القبائل استفادت من العيون المتدفقة التي لا تحتاج إلى جهد جهيد في استخراج الماء، ويغذي تلك العيون المياه التي تتدفق في الأودية من حرة الرحاء والعويرض، وحسمى حيث تصب في سهول تبوك. ومنها الوادي الأخضر الذي يمتد من جنوب جبلي شيبان ووتر وتصب فيه أودية كثيرة ليتدفق شرق تبوك، ووادي (أتانة)(١) الذي يصب فيه أودية كثيرة منها: الرقراق، والقصة، والرمضة، ورشدان، وسدير، وبخية. ثم يتصل بوادي الضُيَيْقة فيتدفق في وادي الأثل الذي يتدفق فيه أيضاً وادي الغضا ويسمي الآن (غضي) وصاد، والوبري ووادي نعام، ووادي الأثل هذا يتدفق في وادي أبو نشيفة شرق تبوك فهو يفصل بين تبوك والوادي الأخضر. ومن الجهة الغربية تتدفق أودية العويند، وقنا، والهدرة، في وادي البقار لتصب في القاع الزراعي غرب تبوك الذي قربت منه المباني السكنية وأودية حسمى الكثيرة التي تتصل بوادي ضم في شمال غرب تبوك، ويتدفق سيله في المحتطب عند بوابة تبوك. ويروي أحد المعاصرين أنه سمع أزيز الماء في القاع فعجب من ذلك وإذا بما يشبه الدوامة حوله فإذا الماء يغور في باطن الأرض.

وكانت الغابات مزدهرة في بطون الأودية، وكذلك الأعشاب والحشائش التي تتغذى عليها الأنعام لمستوطني تبوك.

---

(١) الأتانة: في اللغة الصخرة العظيمة، وفي ذلك الوادي صخرة كثيرة الظلال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسهول تبوك تبدأ من نهاية حرة العويرض، وجبال السليطيات، وجبل برك في الجنوب لتبوك وتمتد للشمال لمسافة عشرين ومائة كيلاً حيث تبلغ حالة عمار.

ومن الشرق تحفها جبال غوانم والجبال المتصلة بشرورى، ومن الغرب جبال حسمى ولكنها ليست بالشاهقة كما هو شأن الجبال الداخلية، وهذه الجبال تمتد بمحاذاة السهل التبوكي من الجهتين. والمسافة لهذا السهل من الشرق إلى الغرب تكون بمعدل ثلاثين كيلاً تقريباً.

وكانت الزراعة تحف بتبوك من ناحيتها الغربية ولكن الزحف العمراني اكتسح تلك المزارع الأولى، وبدأ العمران من الآبار الارتوازية في الجهة الشرقية والجنوب الشرقي على امتداد الدرب البري المعبد العالمي للمدينة المنورة، فاتسعت مدينة تبوك حتى حجزتها المزارع الشرقية، والمدينة العسكرية في الجنوب، وأخذت تمتد شمالاً ولكن المشاريع والمزارع أخذت تحاصرها في الشمال عند بوابة تبوك في ما يسمى قديماً (المحتطب).

والمزارع الحديثة تمتد من وادي الأخضر في الجنوب الشرقية ووادي الأثيلي في جنوب تبوك وتحف بالمدينة العمرانية سيما في شرقها، وتمتد في تلك السهول حتى تقترب من بئر ابن هرماس، وتتكاثر في غربة حول قرية عُيينة.

وينتظر المواطنون هناك السماح لهم بزراعة السهول الممتدة بين بئر ابن هرماس، وحالة عمار، وذات الحاج.

ومدينة تبوك اليوم هي حاضرة منطقة تبوك وعاصمتها وترتبط بها المدن الآتية:

أم لج:

مدينة ساحلية، اشتهرت بأنها مرفأ إسلامي، وحولها قرى تحوي آثاراً إسلامية، وهي ذات تربة جميلة، ويمر بها الخط البري الساحلي ((من مدن شمال غرب المملكة.. يجمع موقعها بين عناصر ثلاثة هي الجبل والسهل والبحر، وتمتاز بنعومة شواطئها، وقلة شعابه، وتوشحه ببعض الغطاء النباتي))([1]). وحولها جزر تمتاز بتربتها البيضاء الناعمة، وقد أرست فيها قوات لأرناط حاكم الكرك النصراني، ودخلت إلى الداخل تريد محاصرة المدنية المنورة، ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الله خذلهم. وقد توافرت فيها المرافق العامة كالإمارة والبلدية، والمشافي، ومدارس التعليم العام، والمعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهي على الدرب البري المعبد الذي يحاذي الساحل البحر الأحمر من شماله إلى جنوبه، وحولها كثير من القرى، وكثير من أبناء البادية من القبائل العربية التي احتفظت باسمها القديم تلك قبيلة جهينة، وتكثر حولها مزارع النخيل، وبقربها وادي العيص المشهور في السيرة النبوية. وهي ذات موارد بحرية وبرية وتجارية.

([1]) البلاد ع ١٠١٩٥ في ١٤١٢/١١/٢٨هـ، مقال للدكتور سليمان الرحيلي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البدع:

تقع على جانبي وادي عفال وقريباً منها آثار مدين، وكانت مقراً لشعيب عليه السلام، ونزل بها موسى عليه السلام واسمها مأخوذ من إبداع ابن مدين بن إبراهيم عليه السلام.

والبيوت الأثرية منحوت بشكل هندسي داخل الجبال، وكل بيت فيه حجراته، ومكان أثاثه، ومقابره خلافاً لمن يرى أنها مقابر فحسب.

وقد اشتهرت بالزراعة، وخاصة الطماطم الشتوية، وهي تمد تبوك والمدن المجاورة وتنقلها إلى أسواق المدينة المنورة وجدة.

وفيها مجمع قروي، والدوائر الحكومية، وقد وصلتها الخدمات من الهاتف والبث التلفازي. والخدمات الصحية والتعليمية وهي ترتبط بمدن تبوك وحقل وضبا بخطوط معبدة.

وهي على درب الحاج المصري على مقربة من الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وقد تحدث عنها صاحب درر الفرائد كثيراً(١).

تيماء(٢):

تقع شمال المدينة المنورة على بعد ٤٤٠ كيلاً وجنوب تبوك الشرقي (٢٦٠ كيلاً) وهي من المدن القديمة في الجزيرة العربية، ويطلق عليها (تيما) بالتخفيف من المد، وهي ودادان (العلا) تمثل حضارة العرب البائدة كالثموديين، وأيضاً تمثل مركزاً تجارياً مع الدول العربية في اليمن، ولها مركز تجاري لاتصالها بوسط الجزيرة وجنوبها وشرقها ويزيد ذلك قربها من دومة الجندل، وتدمر والعراق، ولها ميناء تجاري ذلك هو مدينة الوجه الحالية، ولأنها من الكيانات التي تنافس الحضارات في الشام وفلسطين، فقد ورد ذكرها في التوراة مع دادان موطن حضارة ثمود التي تقف في مواجهة الروم الذين احتلوا الشام وشمال الجزيرة، ومما قيل في التوراة ((ودادان وتيماء وبوز، وكل مقصوص الشعر مستديراً، وكل ملوك العرب، وكل اللفيف الساكنين في البرية))(٣). وعادة قص الشعر المستدير معروفة في شمال غرب الجزيرة حتى وقت قريب، أما الآن فقد انقرضت، لكنها ظهرت في أمريكا، فقد رأيت بعضاً منهم يحمل تلك القصة تماماً، وكانت تسمى (التحويف) من حف الشيء يحفه حفاً من جانبيه.

---

(١) الجزيري، درر الفرائد ١٦٢، ٢١٥، ١٢٣٥، ١٢٥٠، ١٣٣٥، ١٣٥٧.

(٢) انظر: د. جواد علي، المفصل ٥٨١:١، وياقوت الحموي، معجم البلدان، حمد الجاسر، شمال غرب الجزيرة.

(٣) أرميا، الإصحاح الخامس والعشرون ص٢٠ وما بعدها نقله د. جواد علي في المفصل ٥٩٦:١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتيماء وردت في أشعار عدد من الشعراء العرب مثل امرئ القيس، وعبيد بن الأبرص والنابغة الذبياني، والأعشى، إلى جانب الشعراء فيها مثل السَّمْوءَل، وعشيرة السَّمْوءَل عربية وفدت إلى تيماء من وادي القرى، وامتنعت حامية الحصن من إدخالهم حتى يدخلوا اليهودية واليهود فرّوا من هجمات النصارى فاتجهوا إلى داخل الجزيرة، وسيطروا على الزراعة. ونظراً لانشغال العرب بالحروب وارتحالهم فقد رضوا بأن يولوهم الزراعة وإن سيطروا عليها فيما بعد.

وتيماء في العهد الإسلامي تمثل خط الدفاع الإمدادي للجيوش الإسلامية في الشام والحامية ضد الجيوب الحربية المتسللة، فقد بعث الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه القائد خالد بن سعيد بن العاص ليستقر في تيماء ويجند الجند من القبائل المجاورة، ويمد الجيوش الإسلامية بهم(١).

وقد تأثرت تيماء في القرون الإسلامية بتحول دروب الحاج عنها عبر تبوك فوادي القرى فالمدينة المنورة.

وقد اشتهرت بمركزها التجاري، وزراعتها للنخيل والعنب، وبمائها الغزير من البئر المعروفة (هدّاج) الذي يكون في المرتبة الثانية في جزيرة العرب بعد بئر زمزم ولغزارة مائة يضرب به المثل المشهور ((إشرب كأنك على بئر هدّاج)).

تيماء المعاصرة:

من مدن شمال غرب الجزيرة تابعة لمنطقة تبوك، وهي في مركز تجاري حيث يشقها الطريق الدولي بين الجزيرة والشام وتركيا وأوربا، ولها اتصال بالعلا والساحل (من جهتها الشرقية) ولها اتصال بحائل والقصيم من الجنوب الشرقي لهما وترتبط في الجهة الشمالية بتبوك وتقرب منها منطقة الجوف في الشمال الشرقي، وتمتاز برياضها الجميلة ذات المراعي الغزيرة.

وقد تطورت عمرانياً في العهد السعودي، فتوسعت، وقامت عمائر كثيرة في أماكن مرتفعة عن الوادي الزراعي، وقد عبرتها طرق فسيحة مزدانة بالأشجار الجميلة، وكثير من المعالم الجمالية، وقد أولتها الدولة رعايتها، فانتشرت المدارس للبنين والبنات. والدوائر الحكومية كالإمارة والشرطة، والدفاع المدني والاتصالات من الهاتف وغيره، ومحطة تلفاز.

وتيماء عرفت بآثارها، فهي متحف أثري لا يخلو شعب من شعابها أو تل من مزرعة من مزارعها أو تلالها من أثر من الآثار، فحبذا لو عُهِدَ إلى لجنة دائمة فيها للكشف عن الآثار ووضع حوافز تغري الأفراد بإحضار ما يمكن حمله، والإشارة إلى غير ذلك(١).

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري ٣:٣٨٧، ٣٩١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والزراعة في تيماء، اتخذت لوناً حضارياً، فقد اهتم أهلها بمواصلة زراعة النخيل بالطرق الحديثة، وأشهر أنواعه (الحلوة) و(البرنية) وكذلك العنب المتميز بضخامة حبوبه وعظم عناقيده، ومذاقه الحلو.

وقد قامت فيها مزارع حديثة تترامى على مقربة من الخط البري العام وتنتج ألواناً من الفواكه والخضار.

وقامت حولها وبعيداً عنها بعض الشيء كثير من المشاريع الزراعية الضخمة للحبوب من القمح والشعير والأعلاف في مكان يسمى جريش في الشمال الغربي من مدينة تيماء.

ومن أهم معالم مدينة تيماء جبل غنيم المشهور بجبل السَّمْوءَل ويقع جنوبها بمحاذاة الخط البري الذي يصل مدينة تيماء بالمدينة المنورة، وقد وردت تيماء في أشعار الجاهليين ومنهم الأعشى:

ولا عادياً لم يمنع الموت ماله ... وحصن بتيماء اليهودي أبلق[٢]

ويقول السَّموءل صاحب الأبلق:

بالأبلق الفرد بيتي به ... وبيت المصير سوى الأبلق

ببلقعة أثبتَتْ حفرة ... ذراعين في أربع خيسق[٣]

وقال:

إذا المرْءُ لم يدنَسْ من اللؤمِ عِرْضُهُ، ... فكُلُّ رداءٍ يَرتديهِ جَميلُ[٤]

وإنْ هوَلَمْ يحْمِلْ على النفسِ ضَيمَها ... فليسَ إلى حُسنِ الثناء سَبيلُ[٥]

تُعيّرُنَا أنّا قَلِيلٌ عَديدُنا ... فقُلْتُ لها: إنّ الكِرَامَ قلِيلُ[٦]

وما قَلّ مَنْ كانتْ بَقاياهُ مِثلَنا، ... شَبابٌ تَسامَى للعُلى وكُهُولُ[٧]

ومَا ضَرّنَا أنّا قَلِيلٌ وجَارُنَا ... عَزِيزٌ وجَارُ الأكْثَرِينَ ذَلِيلُ[٨]

---

(١) انظر: مجلة الأطلال التي تصدرها وزارة المعارف، العدد الخامس.

(٢) الأعشى، الديوان ٢٦٧، تحقيق د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٣٨٨هـ.

(٣) ديوان عروة بن الورد والسموءل ٨٨، دار صادر، بيروت.

(٤) اللؤم: اسم جامع للخصال المذمومة. عرضه:بدل اشتمال من المرء، والمعنى: أن الإنسان إذا لم يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده، فأي ملبس يلبسه بعد ذلك كان جميلاً.

(٥) الضيم: الظلم.

(٦) عديدنا: فاعل قليل.

(٧) كهول، جمع كهل: الرجل في سن الأربعين إلى الستين.

(٨) يجوز في ((ما)) أن تكون نافية والمعنى: لم يضرنا، ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير فيكون المعنى: أي شيء ضرنا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لنَـــا جَبَـــلٌ يَحْتَلُّـــهُ مَـــن نُجِـــيرُهُ ... مَنِيـــعٌ يَـــرُدُّ الطَّـــرْفَ وهـــو كَليـــل(١)

رَسَـــا أصـــلُهُ تَحْـــتَ الثّـــرَى وسَمَـــا بـــهِ ... إلى الـــنَّجْمِ فَـــرْعٌ لا يُنَـــالُ طوَيـــل(٢)

هـــوَ الأبْلَـــقُ الفَـــرْدُ الـــذي شـــاعَ ذكـــرُهُ ... يَعِـــزُّ علـــى مَـــن رامـــهُ ويَطُـــول(٣)

وإنّـــا لَقَـــوْمٌ لا نَـــرَى القَتـــلَ سُـــبّةً ... إذا مـــا رأتْـــهُ عـــامِرٌ وسَـــلُولُ(٤)

يُقَـــرّبُ حُـــبُّ المـــوتِ آجالَنـــا لَنَـــا ... وتَكْرَهُـــهُ آجـــالُهُمْ فَتَطُـــولُ(٥)

ومـــا مـــاتَ منّـــا ســـيّدٌ حَتْـــفَ أنفِـــهِ ... ولا طُـــلّ مِنَّـــا حيـــثُ كـــانَ قتِيـــلُ(٦)

تسـيلُ علـى حـدّ الظُّبـاتِ نُفوسُـنا ... ولَيْسَـتْ علـى غَـيرِ الظَّبـاتِ تَسِـيل(٧)

صَـــفَوْنَا فلـــمْ نَكْـــدُرْ وأخلـــصَ سِـــرَّنَا ... إنَـــاثٌ أطابَـــتْ حَمْلَنـــا وفُحـــول(٨)

عَلَوْنَـــا إلى خـــيرِ الظُّهـــورِ وحَطّنَـــا ... لوقـــتٍ إلى خـــيرِ البطـــونِ نُـــزُول

فـــنحنُ كمَـــاءِ المـــزْنِ مـــا في نصـــابِنَا ... كَهَـــامٌ ولا فِينـــا يُعَـــدُّ بخِيـــل(٩)

ونُنْكِـــرُ إنْ شِـــئْنَا علـــى النـــاس قـــوْلَهُمْ ... ولا يُنكِـــرُونَ القَـــولَ حـــينَ نَقـــول

إذا سَـــيِّدٌ مِنَّـــا خَـــلا قـــامَ سَـــيِّدٌ ... قَـــؤُولٌ لِمـــا قـــال الكِـــرامُ فَعُـــول(١٠)

ومـــا أُخمِـــدَتْ نـــارٌ لنـــا دونَ طـــارِقٍ ... ولا ذَمّنَـــا في النّـــازِلِينَ نَزِيـــل(١١)

وأيّامُنـــا مَشـــهورةٌ في عَـــدُوّنَا ... لهَـــا غُـــرَرٌ مَعْلُومَـــةٌ وحُجُـــول(١٢)

---

(١) نجير: نحمي. منيع:حصين. الطرف: البصر. كليل: تعب قاصر النظر.

(٢) الثرى: التراب. سما: ارتفع.

(٣) الأبلق الفرد الذي شاع ذكره: هو حصن السموءل بناه أبوه وقيل سليمان بأرض تيماء، وقصدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت: ((تمرد مارد وعز الأبلق)).

(٤) السبة: العار. عامر وسلول: اسمان لقبيلتين.

(٥) آجال، جمع أجل: عمر الإنسان الذي يعيشه.

(٦) يقال: مات فلان حتف أنفه، إذا مات على فراشه. جاء في المزهر جزء ١ ص ١٢٦ مطبعة السعادة بمصر: إن لفظة مات حتف أنفه لم تسمع إلا من النبي صلى الله عليه وسلم وما سمعت عن العرب من قبل.

(٧) الظبات، جمع ظبة: وهي حد السيف، وفي البيت إشارة إلى الشجاعة في الحرب.

(٨) سرنا: أصلنا الطيب، والمعنى: صفت أنسابنا فلم يشبها كدر.

(٩) ماء المزن: المطر، يريد بذلك تشبيه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر. والنصاب: الأصل. الكهام: الكليل الحد.

(١٠) يعني أن السيادة مستقرة فينا حتى إذا خلا منا سيد خلفه سيد يقول ما تقول الكرام ويفعل ما تفعله.

(١١) الطارق: الضيف الذي يجيء ليلاً. النزيل: الضيف. يريد أنهم لكثرة كرمهم يديمون إيقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق الليل، ويثني عليهم كل ضيف.

(١٢) الحجول، جمع حجل: وهو الخلخال، يريد أن وقعاتنا مشهورة في أعدائنا فهي بين الأيام كالأفراس الغر المحجلة بين الخيل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأســـيافُنا في كـــلّ شَـــرْقٍ ومَغْـــرِبٍ بهـــا مِـــنْ قِـــراع الـــدّارعينَ فُلـــول(١)
مُعَـــوَّدَةٌ ألاّ تُسَـــلّ نِصـــالُهَا فتُغْمَـــدَ حـــتى يُسْـــتَبَاحَ قَبيـــل(٢)
سَـــلي إنْ جَهِلْـــتِ النّـــاسَ عنّـــا وعـــنهُمُ فلـــيس ســـواءً عـــالِمٌ وجَهـــول(٣)
فـــإنّ بـــني الرّيّـــانِ قطـــبٌ لقـــومِهِمْ تَـــدُورُ رَحـــاهُمْ حَـــولَهم وتجـــول(٤)(٥)

حقل:

قال الحموي: ((حقل ساحل تيماء، قرية بجانب ((أيلة على البحر)) والأصح أنها في مواجهة أيلة على ساحل البحر شرقاً وأيلة على غربة، وكانت بوابة الجزيرة لاستقبال الحجاج المصريين ومنها ينطلقون إلى الطريق الشتوي الساحلي. وتبعد عن العقبة ميناء الأردن ثلاثين كيلا والعقبة على رأس خليج العقبة نهاية البحر الأحمر.

وهي مرتبطة بتبوك ارتباطاً جغرافياً، فقد كانت قديماً وحديثاً ميناء تبوك وتيماء، وقد تنامت في العهد السعودي، وتطورت تطوراً ملموساً، وهي تقع في بطن واد كبير، فأدركت البلدية ذلك وخططت لها مخططات جديدة تقع على مرتفع بعيد عن السيول الجارفة، وتمتاز بجوها المعتدل فهي تقع على أحد خليجي البحر الأحمر، وحقل اليوم من المراكز السياحية لمدينة تبوك، ولها مكانتها التجارية – فهي على الحدود مع الأردن –، والسياحة أيضاً لها تأثيرها الاقتصادي على الأسواق، وقد اعتنت الدولة بسواحلها، وأقامت عليها المنشآت التي تريح السائح، وتعهدت الدولة بمقومات الحضارة من التعليم، وسائر الدوائر الحكومية والهاتف، والبلدية، والبث التلفازي وهي تبعد عن تبوك ٢٢٠ كيلاً.

---

(١) القراع: المقارعة والمضاربة. الدارعين: أصحاب الدروع. الفلول، جمع فل: وهو الكسر المسنن في حد السيف.

(٢) القبيل: الجماعة من آباء شتى. يقول: عودت أسيافنا ألا تجرد من أغمادها فترد فيها، إلا بعد أن يستباح بها قبيل.

(٣) معناه: إن كنت جاهلة بنا فسلي الناس تخبري بحالنا، فالعالم والجاهل مختلفان. والبيت من شواهد النحو حيث قدم خبر ليس على اسمها وهذا لا يجوز لجمودها.

(٤) القطب: الحديد الذي في الطبق الأسفل من الرحى – حجر الطاحون – يدور عليه الطبق الأعلى، والمعنى: أن أمر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم إلا بهم، مثل الرحى لا يتم عملها إلا بالقطب.

(٥) ديوانا عروة بن الورد، والسموءل ٩٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوجه:

قيل: إنها كانت الميناء البحري للدولة الثمودية، ويقال إن السفن الرومانية نزلت بها في حملة فاشلة سنة ٢٤ق م، وهي مدينة ساحلية على البحر الأحمر في غرب البلاد وتبعد عن ضبا ١٤٥ كيلاً إلى الجنوب وكانت مرفأ للحجيج المصري وطريقاً برياً أيضاً لهم أثناء توجههم للمشاعر المقدسة وقد ازدهرت في العهد السعودي، وتكاملت الخدمات العامة فيها، وتنامى التعليم للبنين والبنات، وفيها عدد من المدارس الثانوية في مراحل التعليم العام للجنسين وحولها كثير من القرى الأثرية مثل شغب وبدا وغيرهما، وفيها مطار يخدم المدن الساحلية القريبة مثل ضبا وأم لج.

ضبا:

ذكر ياقوت الحموي أنها قرية وكتب اسمها (ضبة)، ويقال: ((إنها مورد ماء عذب على الساحل، وهي مرفأ إسلامي آمن، وهي على الطريق الساحلي للحجيج خاصة المحمل المصري، وهذا الطريق يمر بالعقبة وحقل ومدين، وعيون القصب، والمويلح، والأزلم، وأكرى، الحوراء، نبعة، ينبع))([1]).

وقد ازدهرت مدينة ضبا في العهد السعودي، فقامت فيها محطة تحلية، وأنشئت قرى سياحية بالقرب منها، وأقيم فيها ميناء يخدم شمال غرب الجزيرة، ويربط المملكة بمصر وبلاد المغرب.

وقد رأيت عند أحد متقدمي السن بعضاً من المخطوطات القديمة، ويغلب أن تكون من هدايا أو شراء من الحجاج الذين يمرون عبرها. ولا زال عالقاً في ذهني منها كتاب (التهذيب) وهو بخط جميل، وقد وضعها في رفوف متهالكة يخشى عليها من الاندثار.

ومن أشهر معالم مدينة ضبا جبل الذي يقع في شماليها الشرقي وهو جبل عالٍ حوله تنتهي قمته بصخور ملساء يصعب تسلقها.

وقد حظي التعليم بنصيب وافر في مراحله العامة من بنين وبنات كبقية مدن المنطقة. وقد تم استكمال مشروع الميناء البحري في شاطئ مدينة ضبا، الذي يؤدي إلى ازدهار المدينة ويخدم منطقة تبوك، ويقرب المسافة للحاج المصري وشمال إفريقية، وسيقام قريباً إن شاء الله – مصنع للأسمنت – وقريباً من ضبا وادي الصويوين الذي تتكاثف فيه خامات الحديد وغيرها.

وهناك نواحٍ صغيرة تتبع مدينة تبوك خلاف المدن الهامة منها:

القليبة: على الطريق البري بين تبوك وتيماء.

([1]) ياقوت الحموي، معجم البلدان (ضبة)، وانظر: موسى مصطفى العبيدان، ضباء بين الماضي والحاضر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العيينة: شمال تبوك على بعد ٧٨كم في الجهة الشمالية على طريق حقل تبوك وبالقرب منها مدينة اثرية لم يعرف اسمها، في غربها ((قُرِية)) سنتحدث عنها في مبحث الآثار إن شاء الله.

بئر ابن هرماس: على بعد ٦٠كم من تبوك في الجهة الشمالية على طريق تبوك حالة عمار وربما تعود التسمية إلى عمر شاهين بن هرماس الوحيدي من بني عطية حيث أمره بعض السلاطين(١) بحفر الآبار على طريق الحاج، وتلك التسمية حديثة في عهد العثمانيين، وأسرة ابن هرماس ما زالت تعرف.

حالة عمار: على مسافة ١٠٦كم إلى الشمال من تبوك على الحدود الأردنية وهي مدينة حكومية قامت الدولة ببناء المنازل لموظفيها وسميت بهذا الاسم لما يروى أن عماراً هذا قد انقطعت به السبل، واشتد به المرض، فعثر عليه عابر سبيل، ونصب خيمته ليظل بها عماراً، وأخذ يعالجه حتى شُفي، فسُميت حالة عمار.

الخريبة: على ساحل البحر الأحمر وبها ميناء قديم وبئر قديمة يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد وقربها قرى قيال وشرما.

الديسة: تقع في (وادي داما) حيث العيون الكثيرة، ومزارع النخيل الوافرة وسميت الديسة لكثرة أشجارها.

شواق: وبها آثار ثمودية وأماكن للتعدين في العهد القديم.

أبو القزاز: يقع في (وادي ثلبا وبالقرب منه قرية (الكر) وهي قريبة من الوجه في شرقه على مسافة ٧كيلاً).

قرية رحيب: وبها مركز إمارة، وربما أنها أخذت من مدينة قديمة مزدهرة في المنطقة يقال لها: الرحبة وهي إلى الجهة الجنوبية من تبوك على مسافة ١٢٠كم وهي جنوب حرة العويرض.

البيضاء وعين الأخضر والعنبة: قرى زراعية في حرة الرحاء، تمتاز بجوها اللطيف.

المويلح: قرية صغيرة على البحر الأحمر تبعد عن مدينة ضباء ٤٥كيلا على طريق ضباء البدع.

بدا:

بالفتح والقصر يطلق عليها بدا يعقوب، مشتق من اسم بداية سعد إحدى القبائل القحطانية، وكان يستوطنها يعقوب، وانتقل منها إلى ابنه يوسف عليه السلام بمصر، وتقع في وادٍ فسيح، وفيها كثير من المساكن القائمة، وقد اختلط على الحموي تحديده فقال: ((واد قرب أيلة من ساحل البحر وقيل:

---

(١) الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة ٩٥١، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤٥هـ، تحقيق الشيخ حمد الجاسر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بوادي، وقيل قرب الشام))([1]) والأصح أنه غرب وادي القرى في منتصف الطريق بين الوجه والعلا، يقرب منه (شغب) وقد جمع بينهما بعض الشعراء:

وأنـــت الـــتي أحببـــتِ شَـــغْباَ إلى بـــداً إلىّ وأوطـــاني بـــلاد ســـواهما

حللـــت بهـــذا حَلَّـــةً ثم حَلَّـــةً بهـــذا، فطـــاب الواديـــان كلاهمـــا

فالشاعر أشار إلى كونه وادياً معروفاً بهذا الاسم، و(بدا) الحاضر هو قرية في بطن واد يسمى وادي النجد وقد نسب جميل العذري الوادي إليه:

ألا قـــد أرى إلا بثنيـــة ترتجـــي بـــوادي بـــداً فـــلا بحســـمى ولا شـــغب

وكانت حول بداً بعض التلال فلما جاء سيل قوي كشف أن تحت التلال بعض المباني.

وفي تفسير غرائب القرآن، ورغائب الفرقان للنيسابوري إشارة إلى بداً في قوله تعالى: (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو)([2]). ((قال ابن الأنباري: (بداً) موضع معروف هناك روي عن ابن عباس أن يعقوب تحول إليه وسكن فيه ومنه قدم إلى يوسف عليه السلام))([3]).

البديعة: وهي قرية مزدهرة تزرع النخيل، تبعد عن مدينة تبوك ٨٠كم، وقد عزمت وزارة المواصلات بإنشاء طريق مزفت مستعجل ليخدم تلك القرى: البديعة، ورحيب، والبيضاء، والعنبة، وعين الأخضر ويخدم البادية المتكاثرة في المنطقة.

([1]) ياقوت الحموي، معجم البلدان (بداً).

([2]) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

([3]) النيسابوري، تفسير غرائب القرآن، حاشية تفسير الطبري ١٣: ٥٠، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جغرافية منطقة تبوك

المساحة([1]):

تغطي منطقة تبوك التخطيطية ما مساحته ١١٦٬٤٠٠كم من الأراضي الممتدة على ساحل البحر الأحمر من الحدود الأردنية في الشمال إلى جنوب مدينة أملج، والأراضي الداخلية حتى أطراف صحراء النفوذ الكبير شرقاً. ويصل أقصى طول لمنطقة التخطيطية إلى ٧٠٠كم تقريباً باتجاه شمال – جنوب على ساحل البحر الأحمر.

التقسيمات التضاريسية:

يمكن تقسيم منطقة تبوك التخطيطية من الغرب إلى الشرق إلى خمس مناطق تضاريسية رئيسية وتم توضيح ذلك في الجدول أدناه والذي فيه بيان بمساحة تلك التضاريس.

الجدول: منطقة تبوك، التشكيلات التضاريسية

التشكيل التضاريسي	المساحة التقديرية (كم٢)
١- تهامة (السهل الساحلي).	١٠,٥٠٠
٢- سلسلة جبال الحجاز.	٣٧,٠٠٠
٣- هضبة حسمى.	٦,٠٠٠
٤- الحوض والهضبة الداخلية.	٥٣,٥٠٠
٥- صحراء النفوذ الكبير.	٩,٤٠٠
الإجمالي	١١٦,٤٠٠

وفيما يلي توضيحاً لهذه التقسيمات التضاريسية:

تهامة:

تهامة (أو السهل الساحلي) هي المنطقة المتاخمة للبحر الأحمر ولخليج العقبة، ويتفاوت عرضها من ١كم إلى ٥٠كم، والسطح مكون من ترسبات غرينية يغلب عليها الطمي الرملي بشكل عام بفعل مياه

([1]) التحركات السكانية وعلاقاتها بوظائف البلدية. المهندس عبد العزيز الدوسري ص١١٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأودية والرياح، وهذه الترسبات غير متصلة إذ تفصل بينها ترسبات من الحصى وكثبان رملية تثبتها أحياناً الشجيرات الصحراوية المتناثرة هنا وهناك. ويتسم القطاع الجنوبي من تهامة (من أملج إلى الوجه) بوجود شواطئ عريضة وسهول متدرجة واسعة. وتضيق الشواطئ الساحلية وترتفع المدرجات كلما اتجه شمالاً، وتوجد في كثير من قطاعات الخط الساحلي بيئة بحرية ما تزال على فطرتها غنية بالشعب المرجانية.

جبال الحجاز:

جبال الحجاز هي أكبر التقسيمات التضاريسية وضوحاً في منطقة تبوك، فمن السهل الساحلي تبرز منطقة تلالية ترتفع بميول منتظم تقريباً إلى حوالي ٥٠٠م، وتعبرها أودية متعددة ذات عروض متباينة تحمل معها ترسبات من الحصى والحجارة الصغيرة. وتعتبر منطقة التلال هذه دعامة لسلسلة مرتفعات جبال الحجاز الوعرة. ومن أشهر القمم الجبلية في هذه السلسلة جبل ديبة (بارتفاع ٢,٣٥٠م) وجبل الجو (بارتفاع ٢,٥٨٠م) وهي قمم ناتئة من الطبقات الصخرية الجيولوجية للعصر ما قبل الكمبري، وغالباً ما يكون جبل الجو مغطى بحجارة رملية متكسرة بفعل عوامل النحت والتعرية الطبيعية. وتتسم المنطقة بوجود أعناق بركانية ومساحات شاسعة من الحمم البازلتية المعروفة باسم ((الحرات)) يعود تكوينها إلى العصر البركاني الثالث. وتعبر سلسلة جبال الحجاز عدة أودية واسعة غنية بترسبات الغرين والرمل والحجارة الرملية؛ أهمها وادي عفال، وادي داما، وادي الحمض، وادي ثلبا وكلها تصب في البحر الأحمر، وهناك أودية تصب في الداخل نابعة من جبال الحجاز أهمها الوادي الأخضر.

هضبة حسمى:

إلى الشرق من سلسلة جبال الحجاز الوعرة توجد هضبة عريضة ترتفع ١,٠٠٠م معروفة باسم هضبة ((حسمى))، وهي هضبة رملية عموماً تتخللها نتواءات صخرية وترسبات حصوية وتكوينات جبلية من الصخور الرملية وتلال متوسطة وصغيرة الحجم.

الأحواض الداخلية والهضبة المحيطة:

تغطي الأحواض الداخلية والهضبة المحيطة بها نصف مساحة منطقة تبوك تقريباً. والهضبة واسعة ذات سطح متموج متفاوت في الارتفاع من ٨٠٠ إلى ١,٠٠٠م، كما توجد هناك سلاسل من الجبال الصغيرة ذات قمم مسطحة تتخللها أودية وشعاب طبيعية مع وجود تلال فردية وسلاسل تلالية ترتفع إلى ٢٠٠م عن المنسوب العام للأرض. وأهم شكل تضاريسي في هذه المنطقة هو حوض تبوك وهو عبارة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن منخفض كبير للتصريف الطبيعي الداخلي. وبالنسبة للمناطق المحيطة بمدينتي تبوك وتيماء فهي عبارة عن امتدادات تضاريسية منبسطة نوعاً ما تتسم بترسبات طينية رملية ولهذا فهي تحوز على إمكانيات زراعية جيدة في حالة توفر مياه الري لها([1]).

([1]) انظر: عبد العزيز الدوسري، التحركات السكانية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

تبوك القديمة

- القبائل العربية.
- غزوة تبوك.
- المساجد في طريق الرسول (صلى الله عليه وسلم).
- الحركة العمرانية والتجارية والزراعية.
- الآثار.
- تبوك في العصور الإسلامية.
- تبوك ودرب الحاج.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القبائل العربية

منطقة تبوك حافلة بالعمران القديم والآثار التي تنبئ عن عمارة المنطقة واستيطانها من أمم عديدة قبل الإسلام كالعرب البائدة مثل ثمود حتى قيل إن عين تبوك هي ماء صالح وكذلك أتى من بعدهم اللحيانيون والآراميون ثم الأنباط. أما الروم فإنهم يأتون غزاة لا مستقرين. وفي العهود القريبة أي قبيل الإسلام هيمنت القبائل العربية على الجزيرة، ونظراً لأن تبوك بوابة الهجرة للموجات البشرية من الجزيرة؛ فإن القبائل تكثر في هذه الناحية؛ ولإن بعضهم يقترب من أجل جلب الحبوب من القمح والشعير وبعضهم يهاجر من المنطقة منهم مما يدعو القبائل الأخرى إلى استيطانها وهكذا.

وقد تحدث المؤرخون عن القبائل العربية التي استوطنت منطقة تبوك كثيراً. وقد تناول ذلك محمد أحمد، يذكر أن الركن الشمالي الغربي من جزيرة العرب (بما فيه تبوك) موطن لقبائل عديدة ذات تاريخ مشهور، وكانت هذه القبائل – منذ عصور قديمة – ذات مقدرة قتالية ممتازة، وقد كان الملك في بعضها فكان منها ملوك حكموا الأطراف الشمالية لجزيرة العرب والأطراف الجنوبية للشام([1]).

وهذه القبائل يرجع أصلها إلى حضرموت، وترجع هذه القبائل القحطانية التي استوطنت شمال الجزيرة وجنوب الشام في فترات مختلفة – إلى أصلين اثنين – هما:

١- قضاعة: وقضاعة نزحت من الشجر بحضرموت وأسست ملكاً لها بأطراف الشام، ويتفرع من قضاعة عدة قبائل منها بلي وعذرة وبهراء وغيرها. وفي رواية ابن عباس التي أوردها البكري في معجم ما استعجم يرى أن قضاعة من نسل عدنان([2]).

٢- بنو كلب: وهؤلاء من كندة، وكندة نزحت من شمال حضرموت، وأسست لها ملكاً مشهوراً في دومة الجندل إحدى مدن منطقة الجوف، وكان هؤلاء الحضارمة القضاعيون والكنديون يدينون بالوثنية إلا أنهم – بتأثير من جيرانهم البيزنطيين الذين كانوا يحكمون الشام – دخل بعضهم في النصرانية، سيما الذين يستوطنون مشارف الشام.

وكانت قبائل قضاعة تستوطن منطقة تبوك وما حولها حتى شواطئ الأحمر غرباً، أما قبائل كلب من كندة فتسكن إلى الشرق وشمال الشرق من تبوك حيث كان ملكهم بدومة الجندل([3]).

([1]) انظر، محمد أحمد باشميل، غزوة تبوك، ٤٦، ٤٧.

([2]) البكري، معجم ما استعجم ١: ١٧.

([3]) انظر: كتاب (العرب في الشام قبل الإسلام) ففيه أوسع التفاصيل عن تاريخ هذه القبائل وعن ما كان لها من ملك وسلطان وقوة في الشمال وفي أطراف الشام.

انظر غزوة تبوك (محمد أحمد باشميل) ص٤٦، ٤٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وزعم بعض أهل الأخبار أن (الحارث بن ظالم المري) ذكر (آل قصي) في شعره ودعاهم بـ(قرابين الإله) إذ قال:

وإن تعصب بهم نسبي فمنهم قرابين الإله بنو قصي

وهو في عرف بعض النسابين: (قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر) و(قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) في شجرة نسبه التي توصله إلى جده الأعلى (عدنان) فأبوه هو كلاب، أما أمه فهي (فاطمة بنت سعد بن سيل بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجارد بن عمرو بن جعثمة بن شكر) من أزدشنوءة حلفاء في (بني الديل) توفي أبوه وهو صغير، وتزوجت أمه بعد وفاة (كلاب) أبيه رجلاً من بني عذرة هو ربيعة بن حرام ولصغر سن قصي، أخذته أمه معها إلى أرض زوجها من بني عذرة على مقربة من تبوك وهذا ما يؤكد أن تبوك من ديار ومنازل بني عذرة وقد أشير أن عين تبوك كانت لبني سعد من بني عذرة. وفي جوار (الحجر) وفي شرق (حرة ليلى) أقامت بنو عذرة، وهي من قبائل قضاعة، وتنسب إلى (عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة) ولا نعلم من تاريخ هذه القبيلة في الجاهلية شيئاً يذكر. ولم يرد اسمها كثيراً في الأيام، والظاهر ان ذلك لقلة شعرائها فإن شعر الشعراء هو الذي خلد أسماء القبائل عند الإخباريين، ولم يجمع شعرهم مبكراً لأنهم في الأطراف، وتأخر جمع الشعر من أجل تأريخ القبائل ومعرفة أحوالهم. وقد قدم وفد بني عذرة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

((وقال الزرقاني([1]): وقدم على الرسول وفد عذرة – قبيلة باليمن من قضاعة –، روى الواقدي أنهم وفدوا في صفر سنة تسع، وكانوا اثني عشر رجلاً منهم جمرة بن النعمان وسعد وسليم ابنا مالك، قال البرهان: لا أعرف منهم جمرة قال الكلبي: هو أول من قدم بصدقة قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الطبري: هو سيد بني عذرة ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة قومه فأقطعه صلى الله عليه وسلم حصر قوسه ورمية سوطه من وادي القرى فنزلها إلى أن مات. ذكره ابن شاهين، لكنه أخطأ هو وابن بشكوال، فوهما في ضبطه فجعلاه حمزة وهو جمرة كما ضبطه الدارقطني، وروى الواقدي بسنده

- البداية والنهاية، مجلد ٣، الجزء الخامس ص١٨.
- الكامل في التاريخ ابن الأثير ٢: ٢٧٦.
- المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي ٨:٤١، ١٨٠، ١٨٦، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٤، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣١.
- أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، محمد سالم البيجاني ١:١٢٠.

([1]) أبو تراب الظاهري، وفود الإسلام ١٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عنه يقول: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من القوم؟ فقال: متكلمهم: من لا تنكر، نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه، نحن الذين عضدوا قصياً، وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر، ولنا قرابات وأرحام، قال صلى الله عليه وسلم: مرحباً بكم وأهلاً، ما أعرفني بكم، فما يمنعكم من تحية الإسلام؟ قالوا: كنا على ما كانوا عليه آباؤنا، وجئنا مرتادين لأنفسنا ولقومنا، فإلام تدعو؟ قال: إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهدوا أني رسول الله إلى الناس كافة، فقال متكلمهم: فما وراء ذلك من الفرائض، فأخبرهم بجمعيها، فقالوا: الله أكبر نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، قد أجبناك إلى ما دعوت إليه، ونحن أعوانك أنصارك يا رسول الله، إن متجرنا الشام، وبه هرقل فهل أوحى إليك في أمره بشيء، فقال: أبشروا فإن الشام ستفتح عليكم، ويهرب هرقل إلى ممتنع بلاده ونهاهم عن سؤال الكاهنة وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية، فأقاموا أياماً بدار رملة بنت الحارث، وكانت دارها تنزل فيها الوفود، ثم انصرفوا وقد أجيزوا.

قال أبو تراب(١): هي رملة بنت الحارث كما صححه الحافظ)).

أما ديار هذه القبيلة، فكانت في وادي القرى بتبوك، لكنها امتدت حتى بلغت قرب أيلة ويذكر الإخباريون أن هذه القبيلة هاجرت مع من هاجر من قبائل قضاعة بعد حربها حِمْيَرْ، فنزلت في هذه الديار. وتجاور ديار عذرة ديار قبائل أخرى من قضاعة مثل نهد وجهينة وبلي وكلب. كما جاورت من الشمال قبيلة غطفان. ولعذرة حلف مع عدد من بطون سعد هذيم، مثل بني ضنة. ويعدهم النسابون بطناً من عذرة، وكذلك مع بني سلامان. وقد عرفوا بصحار، وكان لهم حلف مع جهينة، ويرجع الإخباريون عهد هذا الحلف إلى أيام حرب قضاعة، وهي الحرب المسماة بـ(حرب القريض) وهناك جملة قبائل ذكر الإخباريون أربعاً أو خمساً منها قالوا: إنها كانت تعرف بـ(عذرة) وقد سبب تعدد هذه الأسماء للنسابين بعض الخلط.

ويظهر من روايات الإخباريين أنه كان لهذه القبيلة صلة بقريش فزعموا أن أم (قصي) تزوجت رجلاً من (بني عذرة) وأن أخاه من أمه (رزاح بن ربيعة بن حرام) اشترك مع قريش في الدفاع عن الكعبة وفي طرد خزاعة عنها. ورووا أيضاً أنه كان لها صلة بالأوس والخزرج كذلك، لأن أم القبيلتين وهي (قبيلة بنت كاهل أو بنت هالك) كانت من هذه القبيلة.

وكلب من قبائل قضاعة الشهيرة. وتنسب إلى هذه المجموعة: تغلب بن حلوان فجدها في عرف النسابين كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وكانوا ينزلون في الجاهلية دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام. وقد كانت لهم لهجة خاصة لم يستعملها أحد من الشعراء الجاهليين

---

(١) أحد الأعلام المعاصرين المهتمين بالتحقيق وغرائب اللغة وهو صاحب كتاب وفود الإسلام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولعل ذلك بسبب اتصال هذه القبيلة بالنبط أي ببقية بني إرم وبغيرهم ممن لم تكن لهم لهجة عربية نقية فتأثرت لهجتها بهذا الاختلاط.

بطونها: بنو عدي. وبنو زهير. وبنو عليم. وبنو جناب.

وذكر بعض الإخباريين أن كلباً كانت تحكم دومة الجندل، وأن أول من حكمها منهم هو: (دجانة بن قنانة بن عدي بن زهير بن جناب). وذكروا أيضاً أن الملك على دومة الجندل وتبوك كان لهم إلى أن ظهر الإسلام، وأنهم كانوا يتداولون من السكون من كندة، فلما ظهر الإسلام كان على دومة الجندل الأكيدر بن عبد الملك بن السكون.

وتقع منازل بني عذرة في أعالي الحجاز في جوار عدد من القبائل المنتمية إلى مجموعة قضاعة، وهي نهد، وجهينة، ولب، وبلي. وتقع أرضها في جوار غطفان، ومن مواضعها: وادي القرى وتبوك حتى أيلة، ويذكر الإخباريون أن بني عذرة حينما وفدوا إلى وادي القرى من موطنهم الأصلية على أثر الحروب التي وقعت بين قبائل قضاعة وحمير، وجدوا اليهود في هذه الديار، فتحالفوا معهم وعاشوا في هذا الوادي وفي المواضع المجاورة له.

ومن بني فزارة الذين وفدوا إلى الرسول بعد رجوعه من تبوك سنة تسع للهجرة (خارجة بن حصن) و(الحر بن قيس بن حصن). وذكر أن (عيينة ابن حصن) كان من المؤلفة قلوبهم. شهد حنيناً والطائف وكان أحمق مطاعاً دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن وأساء الأدب، فصبر النبي على جفوته وأعرابيته، وقد ارتد وآمن بطليحة، ثم أسر فمن عليه الصديق ثم لم يزل مظهراً للإسلام، وكان يتبعه عشرة آلاف قنة، وكان من الجرارة واسمه (حذيفة) ولقبه (عيينة) لشر عينيه. ولم يرد ذكرهم إلا في القرن الرابع الهجري حينما التقى بهم المتنبي في حسمى ((وكان بنو فزارة شاتين بها فنزل الشاعر يقدم من عدي فزارة وطاب له المقام فلبث شهراً))([1]) ويروي أبو الفرح الأصبهاني:

أخبرني عمي، قال: حدثنا الكراتي، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن النعمان بن بشير، قال: ولاني عثمان رضي الله عنه إذا أنا ببيت مفرد عن الحي فملت إليه، فإذا أنا بفتى راقد بفناء البيت، وإذا بعجوز من ورائه في كسر البيت، فسلمت عليه، فرد علي بصوت ضعيف، فسألته ما لك؟ فقال:

كـــأن قطـــاة علقـــت بجناحهـــا علـــى كبـــدي مـــن شـــدة الخفقـــان

وذكر الأبيات النونية المعروفة، ثم شهق شهقة خفيفة كانت نفسه فيه. فنظرت إلى وجهه فإذا هو قد قضى فقلت: أيتها العجوز، من هذا الفتى؟ قالت: ابني، فقلت: إني أراه قد قضى؟ فقالت: وأنا والله

([1]) شرح ديوان المتنبي، لعبد الرحمن البرقوقي ١: ٥٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أرى ذلك، فقامت فنظرت في وجهه ثم قالت: فاظ ورب محمد قال: فقلت لها: يا أماه، من هو؟ فقالت: عروة بن حزام، أحد بني ضنة([1]).

القبائل العربية المعاصرة:

١- قبيلة بني عطية: تحيط بتبوك من جميع جهاتها.

٢- قبيلة بلي: تجاور قبيلة بني عطية من الجهة الجنوبية.

٣- قبيلة الحويطات: ويمتد أغلبها على الساحل في الجهة الغربية لتبوك.

٤- قبيلة عنزة: تجاور قبيلة بني عطية من الجهة الشرقية.

وأكثر أبناء هذه القبائل قد هاجر إلى المدن القريبة، واستقر بها([2]). أمّا الأُسر التي تستوطن المدن فلا استطيع حصرها.

([1]) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني ٢٨:٩٥٧٩.

([2]) انظر، أطلس المملكة العربية السعودية ص١٧- د. محمد صبحي عبد الحكيم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غزوة تبوك

غزوة تبوك هي أكثر عدداً في الجيش الإسلامي في عهد النبوة حيث بلغ عدد الجيش ثلاثين ألفاً، وأبعد مكاناً عن العاصمة الإسلامية المدينة حيث تبعد أكثر من ستمائة كيلاً، وهي أعظم حملة عسكرية لتأديب الروم وأنصارهم من العرب الموالين لهم وهي آخر عملية عسكرية قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم أعظم اختباراً للمؤمنين والمسلمين حيث تبين الإيمان وأهله وتجلى النفاق وأعوانه، وقد تخللها الكثير من الأحداث المعجزة التي تدل على نبوته صلى الله عليه وسلم وكثيراً من التشريعات.

وقد وقعت في صيف العام التاسع للهجرة وتهدف إلى أخذ الثأر من الروم الذين انتصروا على جيش الإسلام في معركة مؤته كما تهدف إلى حماية الحدود الإسلامية من قوتهم التي أخذت تعد العدة للهجوم وأيضاً لتأديب القبائل العربية المنتصرة والموالية للروم.

وغزوة تبوك المعركة الحربية التي أعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم على الملأ ليكون الناس على بصيرة من أمرهم ويتجهزوا بالعدة الكافية، وخلف الرسول عليه الصلاة والسلام علياً بن أبي طالب رضي الله عنه على المدينة المنورة وجهز عثمان بن عفان رضي الله عنه ألف وخمسمائة من المجاهدين.

وتبرع أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بنصف ما يملك، وتبرع عبد الرحمن بن عوف بمال كثير وتبرع المسلمون حتى النساء للإعداد للغزوة، وقد تخلف ثلاثة من المسلمين تهاوناً وأعلنوا ندمهم وتاب الله عليهم، وتخلف كثير من المنافقين. وفي كل موقف دروس وعبر لأولى الألباب.

وبعد أن تكامل حشد الجيش عين الرسول صلى الله عليه وسلم حملة الرايات والألوية وكان منهم أبو بكر الصديق يحمل لواءه الأعظم، والزبير بن العوام رايته العظمى، وأسيد بن حضير يحمل راية الأوس، وأبو دجانة يحمل راية الخزرج، وزبير بن ثابت يحمل راية بني النجار. وأمر كل قبيلة أن تُعين لها رايات ويكون حملة الرايات من حفظة القرآن الكريم، وقد كانت الإبل الأكثر لحمل الجيش. ومع هذا فالجيش كان أكثر فرساناً من أي غزوة سابقة حيث منه عشرة آلاف فارس، وقد تعرض الرسول لمؤامرة في الغزوة حيث حمل عليه أكثر من أربعة عشر راكباً وهو يتجاوز عقبة ليلاً، فقطعوا حبال رحله واخذوا يجلجلون لعل الرسول صلى الله عليه وسلم يسقط عن دابته، ولكن مؤامرتهم فشلت وثبت الرسول غير أن متاعه تساقط، وبعد أن قطع الرسول وجيشه أكثر من أربعمائة ميلاً وصل إلى تبوك وقد جاء في المغازي الواقدي:

((أنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وأنكم لن تنالوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي. قال معاذ بن جبل: فجئنا وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الزلال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبض([1]) بشيء من ماء فسألهما: هل مستما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم، فقال لهما: ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم قليلاً حتى اجتمع في شن([2]) ثم غسل النبي صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فجاءت العين بماء كثير فاستقى الناس، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جناناً))([3]).

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل تبوك وكان في زمان قل ماؤها فيه، فاغترف غرفة بيده من ماء فمضمض به فاه، ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت فهي كذلك حتى الساعة. وأخرج ابن إسحاق نحوه، وفيه: فانخرق من الماء حتى كان يقول من سمعه: إن له حساً كحس الصواعق (يعني كصوت الرعد).

ونظراً لصحراوية الأرض في تبوك واعتمادها على العيون التي تنبع فإن الماء له أهمية كبرى لدى ساكنيها لذا فإنه إضافة إلى معجزته صلى الله عليه وسلم في عين تبوك.

فإن نفراً من بني سعد هذيم وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه البركة لبئرهم. فقد ذكر الواقدي([4]) أن نفراً من بني سعد هذيم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله إنا قدمنا عليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها، وهذا القيظ، ونحن نخاف إن تفرقنا أن نُقتطع لأن الإسلام لم يفش حولنا بعد، فادع الله لنا في ماء بئرنا، وإن روينا به فلا قوم أعز منا، لا يعبر بنا أحد مخالف لديننا. قال رسول الله: ((أبلغوني حُصيات))، فتناولت ثلاث حصيات فدفعتهن إليه، ففركهن بيده ثم قال: ((أذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم فاطرحوها واحدة واحدة وسموا)). فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعلوا ذلك فجاشت بالرواء، ونفوا من قاربهم من المشركين ووطئوهم فما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى أوطأوا من حولهم عليه ودانوا بالإسلام.

وأغلب الظن أن هذا الماء هي (رويحاء)([5]) بين المعظم وتبوك قرب درب الحاج لأن المؤرخين ذكروا أن عروة بن حزام من سعد هذيم وعروة هذا يذكر الرويحاء دائماً في شعره يقول([1]):

([1]) بض الماء يبض بضيضاً: سال قليلاً قليلاً.

([2]) الشن (بفتح الشين) القربة الخلقة التي كثر استعمالها.

([3]) الخصائص الكبرى ج٢ ص١٠١، تحقيق الدكتور محمد خليل هراس وأخرجه مسلم عن معاذ بن جبل.

([4]) المغازي للواقدي ٣:١٠٣٤.

([5]) أشار السمهودي إلى الروحا في كتابه، وفاء الوفا ٣:١٢٢٢ وأنها تقع بين المدينة المنورة وبدر وهي غير التي حول تبوك غير أني أرجح إن صدقت رواية صلاة موسى عليه السلام وسبعين نبياً زاروا وادي الروحاء، أرجح أن المقصود بذلك الروحاء القريبة من تبوك لأنها في وادٍ ضخم على درب الحاج ولأنها قريبة من موطن شعيب عليه السلام ولقربها من بدا موطن يعقوب أبي يوسف عليه السلام، ولم يرو أن الأنبياء تجاوزوا يثرب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أفي كـــل يـــوم أنـــت رام بلادهـــا بعينـــين إنســـاناهما غرقـــان
ألا فـــاحملاني بـــارك الله فيكمـــا إلى حاضـــر الرويحـــاء ثم دعـــاني

ومعروف أن عروة بن حزام مات في أوائل عهد معاوية بن أبي سفيان فهو قريب من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم مما يجعلنا نعتقد أن الماء الذي أصابته بركة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الرويحاء.

ومن الأحداث التي وقعت في تبوك ما ذكره رافع بن خديج فقال: أقمنا بتبوك المقام فأرملنا من الزاد وقرمنا إلى اللحم ونحن لا نجده، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلام فقلت: يا رسول الله، إن اللحم هاهنا وقد سألت أهل البلد(٢) عن الصيد فذكروا لي صيداً قريباً – فأشاروا إلى ناحية المغرب –، فأذهب فأصيد في نفر من أصحابي؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن ذهبت فاذهب في عدة من أصحابك، وكونوا على خيل، فإنكم تتفرقون من العسكر))، قال: فانطلقت في عشرة من الأنصار فيهم أبو قتادة وكان صاحب طرد بالرمح وكنت رامياً، فطلبنا الصيد فأدركنا صيداً، فقتل أبو قتادة خمسة أحمرة بالرمح على فرسه، رميت قريباً من عشرين ظبياً، وأخذ أصحابنا الظبيين والثلاثة والأربعة، وأخذنا نعامة طردناها على خيلنا ثم رجعنا إلى العسكر عشاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنا: ((ما جاءوا بعد؟)) فجئنا فألقينا ذلك بين يديه. فقال: ((فرقوه في أصحابكم))، قلت: يا رسول الله، أنت مر به رجلاً، قال: فأمر رافع بن خديج. قال: فجعلت أعطي القبيلة بأسرها الحمار والظبي، وأفرق ذلك حتى كان الذي صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظبي واحد مذبوح، فأمر به فطبخ، فلما نضج دعا به – عنده أضياف – فأكلوا ونهانا بعد أن نعود وقال: ((لا آمن)) أو قال: ((أخاف عليكم)).

ومن هذا نستدل على أن المنطقة تتكاثر فيها الحيوانات البرية بأنواعها من الحمر الوحشية والبقر، والوعول والظباء وأن الأودية المجاورة كانت حافلة بالمراعي والغابات ولا زالت حتى فتكت بها ضرورة الحطب في المدن سيما قبل (الغاز).

وكان من نتائج غزوة تبوك سيطرة المسلمين على شمال غرب الجزيرة وشرقها فقد وفدت عليه القبائل العربية وأعلنت إسلامها، ووفدت عليه وفود المدن والقرى على حدود الشام وجنوبه ومنها أيلة (إيلات) وكانوا نصارى وأعطوا الجزية، ومنها أذرح وجرباء وهما قرى في المملكة الأردنية الهاشمية (من محمد رسول

---

(١) الأغاني ٢٨:٩٥٨٣.

(٢) يشير إلى وجود مبان في تبوك وأنها أكبر من القرية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل)([1]).

وكذلك صالح الرسول صلى الله عليه وسلم من داخل الجزيرة قرية (مقنا) ذات النخل وكتب لهم (أنهم آمنون بأمان الله، وأمان محمد، وأن عليهم ربع غزو لهم وربع ثمارهم)([2]).

ولما كانت دومة الجندل في الجهة الشمالية الشرقية لتبوك وهي الجيب الوحيد الذي لم يسلم، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى أن من الخير بعث الجيش لها من تبوك وقد انتخب خالد بن الوليد لقيادة الجيش. قال الواقدي:

(بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من تبوك في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وكان أكيدر من كندة قد ملكهم وكان نصرانياً، فقال خالد: يا رسول الله كيف لي به وسط بلاد كلب، وإنما أنا في نفر يسير؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستجده يصيد البقرة فتأخذه قال: فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة ضائفة، وهو على سطح له ومعه امرأته الرباب بنت تنيف بن عامر من كنده، وصعد على ظهر الحصن من الحر وقينته تغنيه، ثم دعا بشراب فشرب فأقبلت البقر (الوحشية) تحك بقرونها باب الحصن، فأقبلت امرأته فأشرفت على الحصن فرأت البقر فقالت: ما رأيت كالليلة في اللحم، هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا، قالت: من يترك هذا؟ قال: لا أحد، قال: يقول أكيدر: والله ما رأيت جاءتنا ليلة بقر غير تلك الليلة، ولقد كنت أضمر لها الخيل إذا أردت أخذها شهر أو أكثر، ثم أركب بالرجال وبالآلة.. فنزل فأمر بفرسه فأسرج، وأمر بخيل فأسرجت، وركب معه نفر من أهل بيته، معه أخوه حسان ومملوكان، فخرجوا من حصنهم بمطاردهم([3]) فقبض عليه خالد ثم أسلم).

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يلق جيشاً رومياً وإنما انحسروا إلى أواسط الشام حينما علموا بقدوم جيش المسلمين، وبذا تمّ النصر للإسلام حيث أرعب جيوش الروم.

وقد عاد الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه – بعد أن مكث في تبوك عشرين ليلة وقيل أقل من ذلك – من الطريق ذاتها.

([1]) سيرة ابن هشام ج٤ ص١٦٩ وفتوح البلدان ص٧١ وإمتاع الأسماع ص٤٦٨- ٤٦٩ وتاريخ ابن خلدون ج٢ ص٨٢١ ومغازي الواقدي ج٣ ص١٠٣١ – ١٠٣٢ والبداية والنهاية ج٥ ص١٦ – ١٧ وزاد المعاد ج٣ ص١٠.

([2]) ص١٦٣ غزوة تبوك.

([3]) المطارد: بفتح الميم وكسر الراء جمع المطرد، وزن منبر وهو رمح قصير يطرد به وقيل يطرد به الوحش (لسان العرب ج٤ ص٢٥٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعجزات والتشريعات في غزوة تبوك:

في يوم الخميس، الخامس من رجب، في العام التاسع من الهجرة المحمدية خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بأكبر جيش عرفة الإسلام في عهد النبوة قاصداً تبوك في غزوة ذُكر من أسبابها أن الرسول صلى الله عليه وسلم يرغب أن يأخذ بثأر ابن عمه جعفر بن أبي طالب، وقيل لأن الروم جمعوا جموعاً وألبوا القبائل العربية الموالية لهم والتي يدين بعضها بالنصرانية.

والغزوة حافلة بالتشريع الفقهي، والمعجزات النبوية، واهتم بها العلماء، وخرجوا أحاديثها، وبيّنوا صحيحها من حسنها من ضعيفها، ووضحوا المكذوب منها. ونحن هنا نشير إشارات عابرة إلى بعض المعجزات والتشريعات، ومنها: تخلف كعب بن مالك وأصحابه رضي الله عنه في غزوة تبوك ونزول القرآن الكريم في التائبين الثلاثة(١).

ونزل القرآن في أخذ الصدقة من الذين اعترفوا بذنبهم(٢) وذلك لأن الوقوع في الخطأ أمر حتمي على الإنسانية ماعدا الرسل والأنبياء، أما النفاق والشرك فإنه إصرار واعتقاد لذا نزل القرآن كاشفاً أعمال المنافقين وموضحاً أمرهم حتى عُرِفوا من قبل المسلمين(٣) وكذلك وردت أحاديث كثيرة تفضح أمرهم، وتسجل ما قاموا به من مؤامرات تهدف الفتك بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم؛ ومنها محاولة إسقاطه عن دابته ليلاً في العقبة(٤) وفي الغزوة بشر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بما خصه الله من علامات نبوية(٥).

وكذلك أخبر أصحابه عن كنز فارس والروم، وقصة إضاءة الأصابع لبعض أصحابه(٦) ونزل المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم، وقصة إلياس ولقائه برسول الله صلى الله عليه وسلم(٧) وأخبر عن أشراط الساعة وزيادة الطعام وفوران العين، وصلاته خلف الإمام، وتحدث عن الوضوء، وسترة المصلي، وما جاء في الشراء والبيع وخرص الثمار، وإخباره عما ستكون عليه تبوك من جنان وخيرات وغيرها. ونحن لا نستطيع أن ننقل النصوص كاملة ونكتفي بخطبته صلى الله عليه وسلم التي يرى بعض العلماء أنها تشبه خطبة الوداع:

---

(١) انظر: الذهب المسبوك ٩٢، ١٠٤.

(٢) المرجع السابق ١٢٤.

(٣) المرجع السابق ٢٤٢.

(٤) المرجع السابق ٣٢٩.

(٥) المرجع السابق ٣٣٢.

(٦) المرجع السابق ٣٣٩.

(٧) المرجع السابق ٣٤١، ٣٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال: ((أيها الناس أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما أتبع، وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس لا يأتي الجمعة إلا دبراً. ومن الناس لا يذكر الله إلا هجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وخير ما وقر في القلوب اليقين والارتياب من الكفر، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المأكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وعِظ بغيره، والشقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر إلى الآخرة ملاك العمل وخواتمه، وشر الرؤيا رؤيا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتعالى على الله يكذبه، ومن يستغفره يغفره ومن يعف الله عنه، ومن يكظم يأجره الله، ومن يصبر يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله. اللهم اغفر لي ولأمتي، قالها ثلاثاً ثم قال: استغفر الله لي ولكم))([1]).

وأحداث غزوة تبوك وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها، والمعجزات التي سطرتها السيرة العطرة لها تأثيرها في نفوس أبناء المنطقة فهم يستشعرونها، وتوحي للشعراء منهم بتجاربهم الروحية الفياضة. ومن هؤلاء الشاعر الأستاذ مسلم فريج العطوي له قصيدة مطولة بعنوان (غزوة العسرة) نوردها كاملة.

([1]) انظر: البداية والنهاية (١٣ – ٥/١٤) وقال الحافظ ابن كثير في نهاية الحديث: وهذا حديث غريب وفيه نكارة، وفي إسناده ضعف والله أعلم بالصواب. انظر: تبصير المنتبه لابن حجر (١/٥٤).

قلت: لم يصح هذا الحديث بهذا الإسناد، وأما الكلمات التي وردت فيه، فإنها رويت غالبها في كتب الأحاديث بأسانيد جياد. والحديث قد أخرجه الواقدي في مغازيه معلقاً بدون الإسناد. انظر: مغازي الواقدي (١٠١٥ – ٣/١٠١٧) والإمام ابن القيم في زاد المعاد (٣/٧) قال: ذكر البيهقي في الدلائل والحاكم من حديث عقبة ابن عامر ثم ذكر الحديث.

قلت: تصفحت الحاكم صفحة فلم أجد فيه هذا النص، لعله أخرجه في الدلائل أو في كتب أخرى لم أقف عليها والله أعلم.

وذكر الحديث السيوطي في الجامع الصغير (١٧٥ – ٢/١٧٩): مع المناوي. وقال السيوطي في نهاية الحديث. أخرجه البيهقي في الدلائل، وابن عساكر عن عقبة بن عامر، وأبو نصر السجزي في الإبانة عن أبي الدرداء، وابن أبي شيبة، وعن ابن مسعود موقوفاً وأشار إليه السيوطي بحرف (ح). والمراد منه أن الحديث حسن. قلت: قد يكون هذا صحيحاً إن شاء الله تعالى. وأخرجه الديلمي في مسنده (٢/١٦٠) مختصراً بدون أسناد.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صَفَحَاتُ مجدٍ تالدٍ لا يجهلُ ... بِمدادِ تِبْرٍ في القلوبِ تُسجّلُ
قد كان فتحُ محمدٍ لتبوكنا ... ذكرى تَهِزُّ النفسَ لما تغفُلُ
صَحْبٌ هُداةٌ أنصتوا للمصطفى ... وأياتُ ربّ العالمين تنزّل
أن حطّموا جُنْدَ الطغاةِ وجمعَهم ... أعداؤكم متربّصون فقاتلوا
ولتجعلوا الإسلامَ يعلو نورُه ... فوق الخلائق فهو دينٌ شامل
يهدي البريّةَ للطريقِ الواضحِ ... الدينُ يعظُم والجهالةُ تضأل
وتواثب الأنصارُ مع من هاجروا ... سمعاً وطوعاً للأوامر نمثل
حيوا الجهادَ فكلنا رهْن لهُ ... عند اللقاء وفي الوغى نستبسل
إيماننا عمر القلوبَ بحبّه ... بنفوسنا عند الردى لا نبخل
أمحمد أين المرادُ بزحفنا ... فالزحفُ حلمٌ للجنانِ يُوصَّل
قال الرسول: إلى تبوك مسيرُنا ... لموا العتادَ مع الجيادِ وعجّلوا
هيا أبا بكر ويا فاروقنا ... يا سعدُ يا عمرو ولا تَتَمهّلوا
عثمانُ قد جَهّزْتَ جيشاً بالعطا ... ءِ فلن يضيرَك بعد ذا ما تفْعَل
وتهيّأ الجمعُ العظيمُ مكبّراً ... متكاملَ الأركان نِعْمَ الجحفلُ
وتجمع الفقراءُ حولَ محمدٍ ... أملاً بظهرٍ يمتطوه توسّلوا
لكنها الإعسارُ تفعل فعلَها ... فالفقر يؤلم والمساغبُ تذهل
حَزِنَ الرّسول لهم وَرَدّ بقوله ... مترفقاً أين الجمالُ لتحملوا
فبكوا بكاءً صادقاً أبكاهمُ ... حبُّ الجهادِ كما تباكَى الثُّكَّلُ
أصحابُ عذرٍ قدّموا أعذارَهم ... قد نافقوا وعن الجهاد تنصّلوا
وابن الأُبيَّ لقد تقاعس رهطَهُ ... فزعيمهم ذاك اللئيمُ الأنذلُ
سفرٌ بعيدٌ لن ترانا معكمُ ... نبقى بيثربَ فالقعودُ مُفضَّلُ
حرٌّ شديدٌ صيفنا يأتي بهِ ... فالقيظُ يُلهِبُ والسمومُ تنكلُ
أعذارهم أوهى دليلاً من خيو ... طا لعنكبوتِ بها المنافق يفْتِلُ
كرهوا الجهادَ ولم يُثِرْهم فضلُهُ ... فتخلّفوا طمعاً بذا أَنْ يخذِلوا
طُمِسَتْ قلوبُهم فلا أملٌ بها ... فجزاؤهمْ قَعْرُ الجحيمِ الأسفلُ
جنّاتُ عدْنٍ عرْضُها عرضُ السما ... للصابرين ومن شهيد يقتلُ
روضٌ رياضٌ والكواعبُ زانَها ... شَهْدٌ مُصفّى والفراتُ السَّلْسَلُ
أمّا الكبيرُ كذا الصغيرُ ومن لهُ ... عُذْرٌ صحيحٌ فالمعاذِرُ تقبلُ
ركب الرسولُ بصحبه مستبشراً ... يَبْغِي سبيلَ الله لا يتحوّلُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكتائبُ الإسلام تتلو بعضَها ... سعياً حثيثاً بالرحيم تبسْملُ
وملائكُ الرحمنِ تنشر فوقَهم ... سبع المثاني بالوقار تجلّلُ
وحدا الرسولُ لها نشيداً خالداً ... (الله أكبر) ذا النشيدُ الأفضل
رايـاتُهم كالسّحْبِ تخفق في العُلا ... تكبيرُهم شُمَّ الجبالِ يزلزلُ
موجٌ تدفّقَ بالضَّبابِ معمّمٌ ... والخيلُ تسبح قد علاها القسْطلُ
وتطايرتْ من وَقْعِها كلُّ الحصى ... فالنّار من عندِ الحوافر تُشْعلُ
كالسيل يجري في الشعاب مزمجراً ... أو سرب عقبان تهاوى من علُ
طال الطريقُ وقد تصرّم زادُهم ... حرٌّ شديدٌ بالسمومِ كم اصطلوا
عطشٌ تصدّى للنفوس يُذيبُها ... هل من طريقٍ للمياه يوصَّلُ
بَقَروا بطونَ الإبلِ من ظمأٍ بهم ... أملاً بماءٍ للشفاهِ يبلّلُ
قحْطٌ وَجَدْبٌ في المسالك كلَّها ... لا عُشْبَ في الصحراء إلا الحَنْظلُ
وعزيمةُ الإيمان يثْبتُ جذُرها ... إذ كلُّ صعْبٍ بالعزيمةِ يَسْهلُ
أما تبوكُ فقد تضوّع مِسْكُها ... بالمقدم الميمون نشْوى تَرْفلُ
تلك الرّبى قد زغردت أنحاؤها ... فالبِشْر يعلو والوجوه تهلّلُ
وصل الرسولُ إلى تبوكَ مبكراً ... والآيَ من لُسْنِ الجميع يرتّلُ
فُتِحت تبوكُ وقد خَلَتْ قيعانُها ... رومانُها نحو الشمال تحوّلوا
فبنو الأصيفر قد تفرّق شملُهم ... جَمْعٌ تشتَّتَ في الفلاة يولولُ
الرعب يقذف في قلوب عدونا ... والنصر للإسلام دوماً يحصلُ
صوتٌ عظيمٌ قد تَردَّدَ عالياً ... صوتُ المؤذّنِ للصلاةُ يُجيعلُ
حين استتبّ الأمر صار بلطفه ... يدعو الولاة وللممالك يرسلُ
هذا أكيدرُ قد تكدَّر صفوه ... وابن الوليد بحصنهِ يتسلّلُ
لم يستجب للحقَّ من بطرٍ بهِ ... ومن تمادى في العتوَّ يُجْندلُ
وتنعّمتْ تلك الربوعُ بطلْعَةٍ ... تزهو على كلَّ الرجالِ وتفْضُلُ
لو طال عمرك يا معاذُ هُنيهةً ... سترى جناناً في تبوكَ تظلّلُ
بينا محمدُ في الصحابةِ يخطبُ ... إذ من بعيدٍ جاء شخصٌ يرْملُ
نظر النبي وقال كنْ يا خيثمهْ ... حَدْسُ النبوّة ليس فيه خُزَعْبلُ
قد أبْتُ بعدك يا محمدُ خانعاً ... وإذ الحلائلُ في العريش تدلّلُ
ماءٌ زلالٌ من طعامٍ جاهزٍ ... فرشٌ وَثِيرٌ والوسائدُ تُكْمِلُ
ظِلٌ ظليلٌ كل ذاك مهيأٌ ... فَشَغَلْتُ فكري صامتاً أتأملُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أمحمـــدٌ يطـــوي الصـــحارى صـــادياً ... ويطيـــب لي هـــذا الـــزلال فانهـــلُ
أمحمـــدٌ يطـــوي الصـــحارى بالســـرى ... ويطيـــب لي هـــذا القعـــود ويجمـــلُ
رُبّـــاهُ مـــن لي بالشـــفيعِ غـــداً لـــدى ... يـــوم الحســـابِ فكـــل شـــخْصٍ يســـألُ
فحلفـــتُ ألا يســـتطيب لخـــاطري ... مُتَـــعٌ هنـــا وإلى تبـــوكَ ســـأرحلُ
هـــا قـــد أتيتـــك يـــا محمـــدُ طائعـــاً ... سِـــرْبالي الإيمـــانُ إذْ يُتَســـربلُ
عَجِـــبَ الرّســـول لقصـــةٍ رُويـــتْ لـــهُ ... إيمـــان صِـــدْق لـــيس فيـــه تـــأوّلُ
يقـــف الرســـولُ إلى تبـــوكَ مودعـــاً ... يـــدعو لهـــا وإلى المدينـــة يقْفُـــلُ
وصـــلت بشـــائرُ في المدينـــة بلَّغـــت ... فمحمـــدٌ بالنصـــر جـــاء يهلَّـــلُ
الفـــوز نـــورٌ حـــازه مـــن جاهـــدوا ... والخِـــزْيُ وَسْـــمُ منـــافقين تكاســـلوا
هـــذا ضـــرارٌ لا تقـــمْ في أرضِـــهِ ... هُـــوَ للقطيعـــةِ والخديعـــةِ يُعْمـــلُ
أَمَـــرَ الرســـول بهدمِـــهِ والحكـــم ذا ... حكـــم الهـــدى فهـــوت عليـــه معـــاولُ
جـــاء الخوالـــفُ يـــذرفون دمـــوعَهُمْ ... كَـــذِباً وِصْـــدقاً للتخلّـــفِ علّلُـــوا
أعـــذاركم مقبولـــةٌ لكـــن هنـــا ... ك مهـــيمنٌ فلـــه القضـــاءُ الفيصـــلُ
هـــلاّ شَـــقَقْتُ قلـــوبكم فعرفْتهـــا ... عِلْـــم القلـــوب لـــه العظـــيمُ الكامـــلُ
وثلاثـــة شـــعروا بـــذنْبٍ فـــاختفوا ... قـــالوا جميعـــاً: نحـــن مـــاذا نفعـــلُ
دفنـــوا الوجـــوه مـــن الحيـــاء وتمتمـــوا ... أَلَنَـــا وجـــوهٌ للرســـول تقابـــلُ
يَتَمَلْملـــون كمـــا لـــديغٍ مـــن قـــوا ... طـــعِ حيّـــةٍ مـــن سمِّهـــا يتململـــلُ
يبكـــون مـــن خـــوف العـــذاب بجـــرْمهمْ ... صَـــدَقوا فهـــم بـــالزور لـــن يتقوّلـــوا
ويتـــوبُ ربّـــك علـــى الجميـــع فإنـــه ... أهـــلٌ لـــذا وهـــو الحكـــيم العـــادلُ
عِبَـــرٌ تُفهَّـــم جيلَنـــا أَمجـــاده ... مجـــدٌ بنـــاه لنـــا الرعيـــلُ الأولُ
حملـــوا الســـلاحَ لينشـــروا هـــذا الهـــدى ... لا حـــبَّ سَـــفْكٍ للـــدماءِ تُســـيَّلُ
قـــد صـــار للإســـلام أعظـــمُ دولـــةٍ ... دســـتورها القـــرآنُ نعـــم الموئـــلُ
هـــل بالنواجـــذ قـــد حفظـــتم دينـــكم ... لتعـــوا الطريـــق وللمســـيرة تُكْمِلـــوا
الـــدينُ عنـــد الله ديـــنُ محمـــدٍ ... ديـــنٌ قـــويمٌ للعدالـــةِ يكفـــلُ
النصـــرُ بالإســـلام لـــيس بغـــيرِهِ ... مـــن رام نصـــراً بغـــير ذاك ســـيُخذلُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المساجد التي صلى فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم)

لا شك أن تحديد المساجد التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقه لغزوة تبوك، من الصعوبة بمكان رغم ورود مسمياتها في كتب التاريخ القديمة، لعدم معرفة الناس في الأعصر المتأخرة لتلك الأماكن، ولتغير الأسماء وتحريفها، ولأن الطريق تلك استبدلت بغيرها، ولأن المنطقة مهجورة علمياً وفكرياً، ولم يكتب لها تاريخ، ولأن أصحاب الرحلات في معزل عن السكان.

والمتأخرون يظنون أن لا درب إلا طريق الحاج على امتداد سكة الحجاز، ولما لم يعثروا على مسميات المنازل التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقهم، توقفوا عن الإشارة إليها فضلاً عن تعيينها.

وقليل هم الذين رغبوا في تحديدها، وتوصيفها، وأقربهم عهداً المستشرق أ. موسل، فلما أراد أن يحددها اضطرب عليه حيث ربطها (بالمدراة) في الجنوب الغربي من تبوك، وطريق الحاج في الجنوب الشرقي منها، وزاده وهماً ورود اسم الأخضر في طريق الحاج ومعروف في المنطقة أن عين الأخضر (العين الخضراء) تكون في الجهة الجنوبية الغربية من تبوك على بعد عشرين ومائة كيلاً وهي تقرب من تحديدها في كتب المؤرخين بأربعة مراحل، أما وادي الأخضر فإنه في الجهة الشرقية قريباً من تبوك على بعد سبعين كيلاً وهما في وادٍ واحد أعلاه تلك العين الخضراء، وأسفله الآبار التي على درب الحاج وتسمى الأخضر في واد بهذا الاسم نتيجة لعدم معرفته بالأماكن أعتقد أن إيراد المؤرخين ليس مرتباً(١).

والواقع أن الذين التقيت بهم من دارسي التاريخ يعتقد الاعتقاد السالف، وكنتُ أظن ظنهم، فزادت حيرتي، حتى أتيت بمسميات المساجد تلك، ونشرتها في جمع من المتقدمين في السن من أصحاب المنطقة العارفين بمساربها أكثر مني، فأخذوا يحددون الأماكن تلك ويصفونها لي، وأخذوا يشيرون إلى الأسماء التي طرأ عليها التحريف ومن خلال هذا تبين لي أن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم جاء من أعلى حرة العويرض مخترقاً حرة الرحاء لأن الغزوة صيفاً، وهذا الدرب أقل حرارة، ولأنه الأقصر، والأقرب، ولأنه الأخفى والأستر.

ولأن طريق الحاج الآن لا ماء فيه فلم تعرف بركة المعظم في تلك الأيام. وقد زرت تلك الأماكن في صيف عام ١٤١٣هـ بصحبة الصديق الأستاذ ضيف الله المضلعاني فهي دياره الأولى وممن يرتادونها واتضح لي:

١- أنها طريق القوافل التجارية من الشام إلى العلا فالمدينة المنورة وهي معرفة لأهالي المنطقة قبل أن تتكاثر الحافلات.

---

(١) انظر: أ. موسل، شمال الحجاز ١٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- ظن (موسل) أن المراد بالأخضر هو الماء الذي على طريق الأخضر في الوادي المسمى بهذا الاسم وليس كذلك، فالمقصود الذي في أعلى الوادي.

٣- عثرت على أبنية للمساجد في المدراة ومسجد في سيل الزراب (المسد) ومسجد في (شريف التناصب) في أعلى الزراب ومسجد في رأس وادي الزراب قرب العين الخضراء، وربما تكون هناك آثار على تلك العين أعلى لقربه منها ولسعة المكان ولأن العين في واد ضيق، وقد ورد في ترتيب مساجد الرسول صلى الله عليه وسلم أن أولها في (المدراة) وهو يمثل المرحلة الأولى ثم الزراب ثم الأخضر، أما طريق الحاج فلا يمر بمكان يسمى المدراة ولا الزراب ثم تتابعت المساجد بعد ذلك على الطريق ذاته.

وآثار تلك المساجد قد وضع لها محاريب، ووضع بجانبيها حائط من الحجارة غير المنظمة جيداً ووضع للمحاريب حجارة كبيرة نقش عليها بعض النقوش العربية لكنها غير معجمة وتكثر فيها الحمدَله والدعاء، وربما أن الصحابة رضوان الله عليهم أرادوا أن يثبتوا هذا للأجيال اللاحقة أو أنها كانت معروفة في العصور الإسلامية الأولى فكتب عليها ذلك، والحقيقة أن الأيدي قد عبثت بها فنقلت الحجارة من أماكنها وبعضها نقش عليها وأُخر ثم تكسيرها.

والمساجد تقع في متسع من الأرض تستوعب مبيتاً للجيوش ولا أعتقد أن كل مكان صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع له علامات، وربما أقتصر على مساجد المبيت لأنهم يصلون فيها المغرب والعشاء جمعاً والفجر، وأيضاً فإن الصلاة تُقصَر فلم تكثر المساجد وليس هناك ظلال للمكث فيها في الهاجرة وراحة القيلولة.

مكث الرسول صلى الله عليه وسلم في تبوك أكثر من ستة عشر يوماً وقيل عشرين يوماً وفي هذه الفترة الزمنية صلى في أماكن متعددة في إقامته وأثناء سفره، وقد تحدث عن المساجد تاريخ المصري ونسبها إلى ابن زبالة فقال جمال الدين ابن أبي عبد الله محمد بن أحمد المطري:

١- ومنها مسجد تبوك قال ابن زبالة ويسمى مسجد التوبة، قلت: هو من المساجد التي بناها عمر بن عبد العزيز رحمه الله(١).

وهذا المسجد أصبح معلماً من معالم تبوك فأخذ الحجاج يستقرون حوله في رحلتهم للبلاد المقدسة، وفي طريق عودتهم. وكان أول من أمر ببنائه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في عام ٩٨هـ.

وقد بناه العثمانيون مرة أخرى وأغلب الظن أن بناءه صحب بناء القلعة المجاورة له التي تم تجديدها في ١٠٦٣هـ ثم تمّ تجديده في عهد الأتراك عام ١٣٢٥هـ حيث بُني من الأحجار المشذبة، ثم جاء الملك فيصل رحمه الله في زيارته لتبوك عام ١٣٩٣هـ وصلى فيه وأمر ببنائه على الإطار الفني الإسلامي وقد تمّ ما أراده خلال عام واحد.

---

(١) انظر: التعريف بما آنست دار الهجرة من معالم الهجرة ص٦٩، ٧٠، السمهودي، وفاء الوفا ٣:١٠٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- مسجد مدران (بفتح الميم وكسر الدال تلقاء تبوك) وهو ما يسمى الآن (بالمدراة) في الجهة الجنوبية الغربية لتبوك، وعلى طريق البديعة. وهذا الطريق تعبره قوافل أهل الحِجْر الآتية من الشام، ويبعد عن تبوك ٤٥ كيلاً.

٣- مسجد بذات الزراب (بتشديد الزاء وكسرها وبعدها راء مهملة، على مرحلتين من تبوك) وفيه الكثير من النقوش والكتابات، ويبعد عن تبوك تسعين كيلا، وفيه مساجد أخرى متباعدة.

٤- مسجد عين وادي الأخضر على أربع مراحل من تبوك وهي في أعلى وادي الأخضر الذي ينتهي في تبوك غير أن الطريق لا تعبر الوادي وإنما تأتي أعلاه، ويبعد عن تبوك بعشرين مائة كيلاً.

٥- مسجد بالا (بفتح أوله وثانيه على خمسة مراحل) ويعرف الآن باسم (لالا) وهنا يلتقي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم مع درب الحجيج. وهو قريب من ذات الخطم، وربما أنه صلى في أحدهما بذهابه والآخر بإيابه وهو قاع واسع وذكره السمهودي بنقيع بولا، والأصح ما ذكرته وقد زرته فوجدته قاعاً فسيحاً.

٦- مسجد بذات الخطم (بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة على خمس مراحل من تبوك).

٧- مسجد بطرف البتراء تأنيث أبتر وهو جبل في تلك الناحية في بلاد بني الحارث بن كعب.

٨- مسجد بشق تارا (بالتاء المثناه من فوق ثم راء مهملة)([1]).

وقد تحدث الشيخ حمد الجاسر عن المساجد التي صلى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:

((عنايتهم بالمساجد النبوية الواقعة في الطريق بين المدينة المنورة وتبوك، ذلك أن المؤرخين الإسلاميين حرصوا أشد الحرص على تسجيل أسماء الأماكن التي صلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن أقدم من عنى بذلك ابن إسحاق صاحب (السيرة) ثم ابن هشام ملخصها، ومن المتقدمين (الحربي) صاحب كتاب (المناسك ومنازل الحج) وهو من منشورات دار اليمامة، ثم من جاء بعده ومنهم (الفيروز آبادي) صاحب كتاب (المغانم المطابة في معالم طابة) وهو من منشورات دار اليمامة أيضاً وبعدهم (السمهودي) في كتاب (وفاء الوفاء) ومختصرة (خلاصة الوفاء) ويحسن أن نورد هنا ما جاء في رحله الخياري المدني (تحفة الأدباء وسلوة الغرباء) عن هذه المساجد، فقال ما نصه: (وكانت مساجده في سفره إلى تبوك معروفة) نقل ذلك عن المتقدمين وأضاف: (ففي كل منزل نزله اتخذ مسجداً وجميعها معروفة إلى مسجد تبوك) وأردف: (قلت: هكذا نقل بيقين محال الصلاة منه صلى الله عليه وسلم وأنها معروفة بهذه الطريق ... وقد سلكت أنا هذه الطريق وسلكها جمع كثير لا يحصى عددهم من المدنيين وغيرهم، ولم يقف أحد على تعيين محل منها في منزل من المنازل إلى أن وصلنا إلى تبوك لا ظناً ولا تخميناً، فما بالك باليقين والتعيين، ومن لقيناه من البادية الذين ربما يكون عندهم خبر من ذلك، ولم نسمع منهم شيئاً في

([1]) انظر: المرجع السابق وكتاب موسل، شمال الحجاز ١٤١، ١٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك، ولعل سببه ما هو معلوم من أن هذه الطريق انقطع سلوكها مدة مديدة أيام كانت الخلافة ببغداد فما كانت الحجج ترد إلا من طريقها ولم نعلم إلى الآن متى كان ابتداء سلوكها من جهة الشام بعد انقطاعها لنا بيقين المدة المذكورة)([1]).

أما قوله: فإنه لم يحدد مواقع تلك المساجد وعلل ذلك بانتقال الخلافة إلى بغداد وهجران هذا الطريق فإني لا أميل إلى ذلك لأن حجاج الشام استمروا في هذا الطريق غير أن الواقع أن درب الحجاج ليس بمسار الرسول صلى الله عليه وسلم فطريق الرسول أخذ الجهة الجنوبية الغربية من تبوك حيث يمر بالخور وينطلق إلى مدارة ثم الزراب وحرة الرحاء فهو يعبر جبال السروات وهي طريق وعرة قليلة الماء ولكنها قريبة.

أما طريق الحاج فإنه يسلك على وادي الأخضر في الجهة الجنوبية الشرقية من تبوك ويسير عبر الوادي حتى المعظم ويلتقي الدربان في وادي الحجر.

ومما دفع إلى هذا الإيهام ذكر الأخضر، والأخضر الذي يذكره الرحالة إنما هو الوادي أو منتهى الوادي بالقرب من تبوك أما عين الأخضر التي تُذكر في درب غزوة تبوك فإنها منطلق الوادي من الجبال وفيه عيون ماء وتقوم فيه بعض الزراعة بل هو بلدة صغيرة فيها مدرسة للبنين، وتكثر حوله المزارع. ويمتاز بجوه الجميل البارد شتاء، المعتدل صيفاً وتسقط عليه الثلوج شتاء، والطل في أكثر الفصول.

([1]) حمد الجاسر، شمال غرب الجزيرة ٤٣٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العمران في تبوك القديمة

لعل أول عمران في تبوك يتمثل في القلعة التي يسجل العلماء تجديد بنائها في مختلف العصور، ولم نعثر على أي كتاب يذكر الذي قام ببنائها أول الأمر، الأمر الذي يدل على قدم إنشائها.

وتبوك تخضع لعدة عوامل تدعو كل حقبة من أحقاب التأريخ أن تتجه على ناحية من نواحيها، مما جعل العلماء يختلفون في مكانها الأول.

وفي نظري أن اندثار مبانيها يعود إلى أن قرية تبوك الأولى تبتعد عن الأماكن الجبلية التي تُبنى من حجارتها الدور، فكانت تبوك تعتمد على الطين غير المطبوخ وهذه الأبنية لا تلبث أن تندثر وتختفي معالمها بسبب عوامل التعرية.

ولذا فإننا نعثر على معالم القرى التي تقترب من الجبال كما في قرية رجوم شوهر، وبعض الأماكن التي تنبئ عن استيطان قديم مثل قُصِير التمرة، وبقايا الحجرات والدور المتناثرة القريبة من سلسلة الجبال في تلك الجهة، ويذكر صاحب معجم البلدان أن تبوك (بركة لأبناء سعد من بني عذرة)([1]).

وازدهرت تبوك في العصر الإسلامي الأول وأخذت تتطور أكثر بعد انتقال الخلافة الأموية في دمشق، لأن القوافل الحجازية والشامية تمر بها وازدهرت التجارة فيها الأمر الذي جعل الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يبني المسجد الذي صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ويُسمى (مسجد التوبة). ثم اهتم بها الأمويون وأصلحوا الطرقات المؤدية إليها ويقال: إنهم أعادوا بناء قلعتها.

وكذلك تم تجديدها في عهد الأيوبيين وآخر من قام بتجديدها العثمانيون وقد وصفها الرحالة الخياري في نهاية القرن الحادي عشر الهجري فقال: ((شهدنا قلعة المبيضة... وقلعتها عامرة البناء محكمة الوضع شامخة، مبنية بالحجر المنحوت بين الصفرة والحمرة، وهي مشتملة على دهليز، وبابها محكم فيه كتابه على الغيشاني تذكر السلطان محمد خان أمر بتعميرها سنة ١٠٦٤هـ وبالقلعة مسجد، وإلى جانب القلعة من الخارج بركتان إحداهما مربعة والأخرى مستطيلة وبالقرب من البركة بساتين، وهناك سوق مشتملة على أبنية قديمة))([2]).

ويذكر (أوغسطس والين) أول أوروبي يزور تبوك في حدود ١٨٥٠م بأن عدد بيوتها لا يزيد على ستين بيتاً.

([1]) البكري، معجم ما استعجم ١:٣٠٣.

انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان مادة (تبوك) انظر: الحميري، الروض المعطار ١٣٠.

([2]) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة ٤٤٢. بتصرف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما (دوتي) الذي زارها في عام ١٨٧٧م لم يجد أكثر من أربعين أسرة لأنهما ربما تعرضت لموجات من الجفاف أو ربما شهدت حروباً، وخير دليل على قولنا هذا ما أشار إليه (هوبر) الذي قام بزيارة للمنطقة في عام ١٨٨٤م حيث وجد القرية مهجورة وأرجح أن ذلك في زمن معارك حربية وقعت في المنطقة أدّت إلى هجرة بعضهم أو أنه زارها صيفاً حيث يرتحل أهلها للتجارة أو أنهم ارتحلوا إلى البلقاء في إحدى سني القحط فلما أمنوا على أنفسهم وأموالهم عادوا.

ومما يدل على مصداقية ذلك أن (غزوترز) قد زار تبوك في عام ١٩١٠م وأوضح أن عدد سكانها (٢٠٠) شخص([1]).

وقد وصف تبوك محمد لبيب البتنوني صاحب الرحلة الحجازية عام ١٩١٠م فقسمها إلى ثلاثة أقسام المكان العام لحجر الحجاج وعنده بئر الكرنتينة([2]) في الجهة الجنوبية من تبوك والقسم الثاني محطة القطار والورشة وهي بجانب السكة الحديدية والقسم الثالث أصل المدينة وتضم القلعة والمباني السكنية والأسواق ويقول فيها: (فمر على محطة تبوك وهي محطة صغيرة تبعد عن الحذاءات شمالاً بنحو ألف متر وفي الكيلو (٦٩٣) من الشام وبينها وبين البلدة ثلاثمائة متر، ومساكن هذه القرية على مرتفع من الأرض وسط صحراء يحيط بها النخل، وبعض غيطان منزرعة بالذرة، وبعضها مبني بالطوب النيء وبعضها بالدبش، وقد رأيت فيها بيرين موشيين بالجير من خارجهما، ومن أبنيتها ما هو بالطوب المدهون من الداخل والخارج بالشهبة لا طين به مادة جيرية، وفيها مسجد أقيم على المكان الذي صلى فيه عليه الصلاة والسلام حين خروجه إلى هذه الجهة، وعلى باب المسجد على يمين الداخل إليه بئر من أثر السيد الرسول نبع ماؤها بين يديه صلى الله عليه وسلم في وقت كان هو ومن معه في شدة الحاجة إلى الماء، وهي التي يشيرون إليها ضمن معجزاته صلى الله عليه وسلم، وبأن الماء نبع من بين أصابعه، وماء هذا البئر عذب جداً، وقد وضع عليها أخيراً كاظم باشا الذي كان مدير أعمال السكة الحديد الحجازية طلمبة تحفظ ماءها نظيفاً بعيداً عن عبث العابثين فجزاه الله خيراً)([3]).

ومما يدل على انتشار العمران أن الأتراك أقدموا على إزالة البيوت المنتشرة في مكان المحطة الحالية والممتدة إلى الشرق من القلعة وذلك من أجل إنشاء سوق مرتب وتخطيط (حي الجديدة)([4]).

([1]) انظر: أرض الأنبياء ص١٥٩.

([2]) يقع شرق حي الخالدية وقام مكانه مسجد جنوب دائرة الشرطة القديمة.

([3]) محمد لبيب البيتيوني: الرحلة الحجازية ص٣١٥.

([4]) أرض الأنبياء ص١٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبوك والتجارة:

وتبوك مركز تجاري في الشمال الغربي للجزيرة العربية، وعلى مشارف الشام فالدول العربية القديمة في جنوب الجزيرة العربية امتدت حدودها وثغورها إلى البلاد الثمودية فكانت ثغورهم في وادي القرى والعلا التي تسمى (ديدان) وقد استدل العلماء على ذلك بوجود النقوش المعينية والخط المسند، وما اضطرهم لإنشاء هذه الثغور إلا الحماية التجارية، حتى تضمن انتقال القوافل التجارية، وليس أدل على ذلك من أن الأمر تطور في عهد الأنباط إلى إقامة مراكز حضارية حول تبوك كمثل (قرية) (وروافا) ورجوم شوهر، وكانت ترتبط بخط بري قامت دولة الأنباط برصفه من البتراء حتى العلا.

وكانت معبر من المعابر التي تربط الجزيرة العربية بمصر قبل أن تفتح قناة السويس حيث يثبت لنا التاريخ الصلة الكبيرة بين الحضارات القائمة في هذه المنطقة والحضارات القائمة في مصر كما أن الهجرات العشائرية والقبلية والموجات البشري المشهورة من الجزيرة تتدفق عبر منطقة تبوك وسيناء ثم تنتشر في أنحاء مصر.

وقوم شعيب الذين اشتهروا بالتجارة وعذبهم الله بكفرهم وتطفيفهم للميزان وخسرانهم للكيل قال تعالى: ((ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون))([1])...

فإن هؤلاء ليسوا ببعيد عن مدينة تبوك وتدخل الآن البدع، أرض شعيب في منطقة تبوك، وربما أن قربها من عاصمة الأنباط البتراء جعل لها دوراً مميزاً في زمن من الأزمان.

والقوافل التجارية الحجازية في رحلة الشتاء والصيف تأخذ طريقها وسبيلها مروراً بتبوك.

وكذلك قربها من دومة الجندل العاصمة التجارية العربية القديمة التي تمثل المجمع والالتقاء للقبائل العربية والتجارة الشامية والعراقية.

وربما أن الشهرة التجارية لتبوك دعت بعضاً من الصحابة رضوان الله عليهم لممارسة التجارة أثناء غزوة العسرة فقد روى: (عن خارجة بن زيد قال: رأيت رجلاً يسأل عن الرجل يغزو، فيشتري، ويبيع، ويتجر في غزوته؟ فقال له أي: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك نشتري ونبيع وهو يرانا ولا ينهانا)([2]).

وازدهرت الحركة التجارية في تبوك بعد غزوة العسرة حيث تمر بها القوافل التجارية، والجيوش الإسلامية، ثم الحجاج من الشام ومصر، وهؤلاء يحملون عروضاً من التجارة ويقايضون بها، ويلزم شراء بعض الأشياء من الأسواق المحلية لاسيما وأن الحجاج يمكثون في تبوك أكثر من أربعة أيام على أغلب

([1]) سورة المطففين: الآية ١.

([2]) عبد القادر حسب الله، الذهب المسبوك في غزوة تبوك ٤٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأحوال، وكانت تبوك مركزاً صحياً للحجر حيث يقيمون فيها عشرة أيام في طريق العودة من مكة المكرمة، والمدينة المنورة. بعد أن عُرِف نظام الحجر الصحي لما سار القطار.

وقد تحدث الرحالة عن التجارة في أسواق تبوك كثيراً فقال الخياري الذي مر بها في عام ١٠٨٠هـ: (شهدنا قلعة المبيضة، ورأينا أهل الشام الواردين عليها للمقايضة مع ما معهم من الأمتعة والأسباب التي تعد للبس والكسوة، وما يناسب ذلك من الدقيق والأزواد، وأنواع الحلوى، التي يهواها الحجاج بعد وصولهم، وهناك سوق مشتملة على أبنية قديمة، يحضر إليها التجار من الشام، ويقام بها سوق عظيمة للمتاجرة)([1]).

وتبوك مركزٌ تجاري للقبائل العربية المحيطة والمجاورة لها ويفدون إليها لشراء الضروريات ماعدا الحبوب (القمح والشعير) فإنهم يُسيرون القوافل للشام في كل موسم حصاد.

الزراعة في تبوك القديمة:

العيون التي تتدفق في التلال التبوكية أمر يدعو إلى الاستيطان وقيام المدن، فهناك عين (السكر) التي تقع بجانبها قلعة تبوك، وقامت حولها المزارع والمنشآت العمرانية وهي التي يطلق عليها تبوك القديمة، وهناك عين الرحيل وعين أبي سبعة وتبعدان عنها ثلاثة أميال في الجهة الغربية الجنوبية من تبوك، وبعدهما بثلاثة أميال أيضاً تتدفق عين رايس، وعين كريم وعين الخذمة وعين أبو دميك حتى تأتي سلسلة حجرية تمتد من رايس، حتى الجرثومة وفيها آثار تنبئ عن مزارع وآبار محفورة، وهناك تل الجرثومة عند نهاية تلك السلسلة وفيها أكثر من عين.

وفي الجهة الجنوبية منها عيون العجيجات، غير أن الأكثر أهمية والأقدم تلك الجداول الزراعية، والسهول التي تنبئ عن قيام زراعة هي جداول رجوم شوهر وربما تنبع مياهها من التلال العالية في الجهة الجنوبية لمباني المقابر المتواجدة بكثرة، أو أنها جداول مائية (أنهار صغيرة) من جبال السليطية، وليس معنى ذلك إن هذه المزارع والعيون والآبار مزدهرة في آن واحد دائماً وإنما تزدهر تارة وتخبو تارة أخرى. وكل هذه العيون جفت حالياً إلا ما ندر بسبب قلة الأمطار ووجود الآبار الارتوازية.

وقد تحدث كثير من العلماء عن زراعة تبوك أثناء مرورهم بها في طريقهم للحج فذكر صفي الدين عبد المؤمن البغدادي المتوفى سنة ٧٣٩هـ في كتابة (مراصد الإطلاع) أن ((بها عين ماء ونخل، وكان لها حصن خرب))([2]).

([1]) حمود ضاوي: الآثار في شمال الحجاز ص٧٨، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص٢٠٠.

([2]) صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع ١:٢٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ووصفها ابن رشيد الأندلسي بقوله: ((بها ماء عذب كثير وبها العين المباركة، وكان الحجاج يقيمون في تبوك أربعة أيام للراحة والمتاجرة)).

وأغلب العلماء الذين زاروا تبوك يصفونها بخصوبة الأرض، وتدفق المياه فيصفها محمد صاحب كتاب (منتخبات التواريخ بدمشق) فيقول: ((ينمو بها النخيل البري، وقلعتها وبركتها ترجعان إلى عهد السلطان سليمان العثماني، وينبت بقرب البركة أشجار التين والرمان، والسفرجل، والعنب، والباذنجان، وفي البقاع المجاورة يقيم العرب أماكن يزرعونها)).

وقد أشار المفسرون حينما تحدثوا عن شعيب ومدين بأن أهل المنطقة يعيشون على الفاكهة الرطبة صيفاً والمجففة شتاءً وممن ذكر ذلك الطبري في حديثه عن أصحاب الأيكة.

وفي هذه دلالة بارزة على اعتناء أهالي المنطقة بالزراعة، ومما يدعم هذه المقولة ما نراه من القرى الزراعية التي تحفل بالنخيل والتين والعنب، ويحتضن بعضها سفوح الجبال، وبعضها قرب الأودية والشعاب.

ومياه تبوك تنبع من جوف الأرض وتتدفق في جداول زراعية، وإن الجفاف الذي يعتريها يعود إلى الإهمال، وترك الأتربة تتراكم على مجاريها غير أن العين الكبرى في تبوك، التي تدفقت مياهها ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم نالت حظاً وافراً من العناية فقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بطي بئرها بالحجارة ثم تعهدتها الدول في العهد الأموي والعهد الأيوبي حينما تم إصلاحات الطرق للحاج وقد وصف صاحب أرض الأنبياء العين يقول (عين السكر) فيخرج من نقطة محاطة بسور حجري يبلغ ارتفاعه معدل ارتفاع كتفي الرجل، وقطر هذا السور مائة قدم، بينما سمكه على ياردة واحدة، ويحيط بها السور، لكنه غير كامل الاستدارة بالنبع فمن الجهة الغربية، توجد فيه فجوة يبلغ طولها ثلاثين قدماً تسمح للمياه الزائدة بالتدفق إلى بركة، أقدر مساحتها ثلاثين قدماً مربعاً. ومن هذه البركة تنساب المياه إلى بساتين النخيل عبر قناة طينية غير مستوية تبتدئ من الجهة الغربية للبركة ويقوم خزان آخر عند الجهة الشمالية، وهو على شكل مربع تبلغ مساحته ثلاثين قدماً أيضاً ويشكل جدار هذا الخزان الجنوبي جزءاً من بركة الماء الأولى([1]).

ومما يلفت الانتباه كثرة الأماكن الزراعية التي اندثرت، فترى بقايا المزارع وعلاماتها ورسومها عند الآثار وبعضها عفا عليها الزمن، فلا ترى إلا بقايا الجداول والجوابي، وبعضها تتأكد أنه كان يعتمد على سقوط الأمطار كالمزارع التي تكون على قمم الجبال أو في سفوحها حيث لا وجود للعيون المائية، وتغلب عليها التربة الطينية، وكان يزرع فيها القمح والشعير، وأدركت بعض المعمرين الذي يذكر تلك الزراعة ولمن كانت تلك المزارع، أما القرى التي لا زالت تقوم فيها الزراعة فهي كثيرة وأذكر منها القريبة من تبوك

([1]) فيلبي، أرض الأنبياء ١٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مثل ذات الحاج، والعيينة، ودمج، والبيضاء، وعين الأخضر والبديعة، والعنبة وقنا والهدرة، ورحيب وكانت المصادر الكبرى للتمور بمنطقة تبوك هي تيماء والعلا، ووادي الديسة. وجل هذه الأماكن ذكرها الحموي في معجم البلدان.

وقد اشتهرت تبوك في القديم بالعنب التبوكي الذي يشبهونه بالبلح وقد نقلت بعض أشجاره إلى الطائف وزرعت فيها وسميت بهذا الأسم وربما كان النقل هذا مع الأنباط الذين هاجروا إلى داخل الجزيرة وما زالت زراعة العنب ناجحة في تبوك وتيماء والقرى المجاورة.

وكانت العين المباركة في تبوك تتوزع إلى جداول لسقيا المزارع الصغيرة حولها وأيضاً هي مورد عذب للإبل والأنعام عامة، وتستسقي منها قوافل الحجيج وظلت نبعاً فياضاً حتى حُفرت حولها الآبار الارتوازية، فنضب معينها، وبقيت أطلالها فأمر سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود ببناء حدائق حولها ومتنزهاً ترفيهياً حول آثارها وآثار القلعة.

وفي عام ١٤١٢هـ أمر سمو الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز أمير تبوك بإعادة بناء القلعة وترميمها كحالتها الأولى حيث تعاد حجارتها المرقمة إلى أماكنها الأولى؛ وهذا عمل يستحق الثناء والتقدير، وعلى هذه الشاكلة تواصل العمل إلى بقية القلاع على آثار سكة الحديد، وغُيرَ القرميد إلى مماثل له من النوع الجيد الجديد، ورصف ما حولها بدوائر خرسانية أو على شكل مثلثات لتزدان بالزراعة المنظمة، وفيها أماكن مخصصة للسير وأخرى للجلوس، وعددها ثمان قلاع، ممتدة من الشمال إلى الجنوب، تتوسط مدينة تبوك الحالية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآثار في منطقة تبوك

نظراً لكثرة الآثار في شمال الجزيرة فقد زارها عدد كبير من الأوروبيين بقصد الكشف والمعرفة ولكن يجب على الباحث أن يقف موقف الحذر من كل ما يكتبه المكتشفون الغرب كما يحلو لهم أن يسموا أنفسهم وكأن هذه البلاد في حاجة إلى الكشف، وكأنها لم تنتج الحضارات السابقة، وهم في كتاباتهم يعودون بالآثار إلى الأسس الرومانية، فلا يذكرون العرب القدماء، ولا الحضارات التي سبقت الإسلام ولا يشيرون إلى الآثار الإسلامية. والقارئ لكتاب أرض الأنبياء يتضح له أن مهمة سنت جون فيلبي تنحصر في أمرين مهمين:

١- المسح الجغرافي المترابط الذي يخدم الدول الأوروبية المحجمة عن الجزيرة وقد صرح بأن مهمته جغرافية وهو يرسم الأرض الأماكن ويعلو الجبال ليتم له وصف الطبيعة ويحدد اتجاهاتها بالبوصلة.

٢- مسح الآثار التي تمت بصلة ما إلى الرومان ولم يتعرض للآثار الإسلامية، والحقيقة البارزة في كتاب أرض الأنبياء هي تحريف الأسماء، واضطراب في تحديد المعالم الجغرافية وأوصافها وذلك نتيجة لنزع الثقة من رفقاء البعثة والأدلاء، فهو يعاملهم معاملة التسلط الآمر رغم أن إمارة المنطقة وضعت له الحراسة والعربات التي تجوب الصحراء، وكذلك نتيجة لعدم إدراكه للغة العربية ونقلها محرفة، وربما تكون من الأسباب الترجمة من الإنجليزية إلى العربية، حيث قام بترجمة الكتاب مترجم لم يكن على إطلاع ومعرفة بالأسماء في المنطقة وليست عيباً في المترجم لأنها تخضع للهجة المحلية.

والآثار في منطقة تبوك تأخذ أشكالاً متعددة هي:

أولاً: آثار الحضارات القديمة الثمودية واللحيانية والآرمية والنبطية، وقد عمدت أوروبا إلى الكشف عن هذه الآثار وإبرازها عن طريق البعثات الاستكشافية، إلى جانب استكشاف رجال الآثار من بلادنا فقد ذكرت مجلة الأطلال أن هناك آثاراً ربما تنسب إلى العصر النحاسي في وادي الأخضر، ووادي ضم، ووادي البقار، وتلاع العصافير(١).

وقيل: إن قلعة تبوك من أقدم الآثار في المنطقة إذ عمرت قبل ٣٥٠٠م، وقد تعاودت الدول والعصور وتكرر تجديد بنائها عبر الأحقاب التاريخية وأغلب الظن أن هذه القلعة ارتبطت بعين تبوك وهي التي جعلت من تبوك قرية باقية عبر العصور وتسمى الآن (عين السكر) وهي من العيون الكثيرة التي تنبع من التلال في سهل تبوك، ولغزارة مائها فإنها تروي الحرث والنسل وكانت مورداً للعرب في الجاهلية، وقد أمر عمر بن الخطاب عبدالله بن غريض فطواها بالحجر المسمسم والجبس واستمرت العناية

---

(١) انظر: أطلال ع٥ ص٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بها عبر العصور الإسلامية وكانت في الجاهلية لسعد هذيم بن زيد من بني عذرة وظلوا فيها حتى في العهد الإسلامي، ومنهم الشاعر الإسلامي المتيم قتيل الهوى عروة بن حزام.

ثانياً: الآثار الإسلامية: وهي كثيرة في هذه المنطقة حيث كانت طريق المسلمين من الحجاز إلى الشام، ودرب الحاج والجيوش الإسلامية، ولذا ظهرت عدة قرى إسلامية حول تبوك ومنها: (المحدثة في الجنوب الشرقي لتبوك وكانت أكثر ازدهاراً من تبوك ذاتها ولكنها انقرضت).

ومن الآثار الإسلامية الكتابات التي تدل على تقدمها في العهد الأول الإسلامي، فقد كتبت قبل تنقيط الحروف، وقد رأيت كثيراً منها في أماكن مختلفة، منها كتابات في السلسلة الجبلية المحاذية لتبوك من الغرب وقد كتب بعضها عام ٨٥هـ تدل على أن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس جد العباسيين قد زار منطقة تبوك، أما الطريق الذي يمر به الحجيج فإن النقوش فيه كثيرة وتعبر عن العصور الإسلامية.

وقد اكتشف بعض الباحثين المعالم التي يهتدي بها المسافر أو الحاج وقد عثر على معلم أسطواني الشكل قرب حالة عمار وعثر على كثير من الأواني الإسلامية والفخار، وهناك قبور كتب عليها بالخط العربي في العهد الإسلامي.

واحتفظ قسم الآثار بتبوك ببعضها، ومن الآثار الإسلامية مسجد التوبة في الجهة الشمالية الشرقية من القلعة لا يبعد عنها كثيراً، وقد تم بناؤه في عهد عمر بن عبد العزيز ثم استمر تجديده، ومنها تجديده في عهد الأتراك عام ١٠٦٤هـ في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٣٩٤هـ.

ومنها ثمان من القلاع الحجرية بمحاذاة السكة الحديدية وقد تمَّ إنشاؤها لخدمة المحطة الجديدة والاستراحة ولورشة الإصلاح في تبوك وحمايتها أيضاً ولا زالت قائمة ويرجى لها الرعاية وربما ساهمت في تكوين مركزاً ترفيهياً يمتد في وسط المدينة. وقد بدأت معالمة، واهتم والي المنطقة الأمير فهد بن سلطان به ووضع بعض المعالم الجمالية لكن الموقع يخضع لدراسة مكثفة متطورة.

والقلاع التركية موجودة بكثرة في تبوك وما جاورها لحماية الخط الحديدي الحجازي.

ثالثاً: ومن معالم الآثار التي يسهل الاهتداء إلى أصحابها من الأمم. ويصعب أحياناً أخرى تلك الجداول المائية والمباني المندثرة التي تكون في السهول من الطوب الطيني، وتكون في المناطق الجبلية من الحجارة المصنعة، وتراها في سفوح الجبال وعلى ضفاف الأودية وعلى قمم الجبال، وهي تكاد تعم جميع الأماكن حول تبوك، ومنها المباني ومنها المقابر ومنها أماكن المراقبة وليس هنا مكان لحصرها وذكر أماكنها.

وتجدر الإشارة إلى أن الدول الإسلامية عبر العصور أخذت تعنى بإصلاح دروب الحاج، وتقيم البرك والقلاع، والحمامات وأماكن الاستراحة، ومعالم الدروب مثل قلعة ذات الحاج وقلعة تبوك وبركتها وبركة المعظم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعا: ومن الآثار الكتابة والنقوش، وهي توضح التطور التاريخي واكتمال نمو الخط العربي من المعيني (المسند) ومراحله مروراً بالثموديين واللحيانيين والآراميين والنبطيين، والعرب في العصر الجاهلي، والخط في مستهل العصر الإسلامي وعصوره المتلاحقة، لأننا نرى الخط العربي قبل التنقيط ومنه في العهد الإسلامي لأنه يشير إلى أحداث إسلامية، وتذكر فيه أدعية إسلامية، وربما أسماء من مشاهير الصحابة والتابعين، وهناك الخط الإسلامي بعد عملية التنقيط والتشكيل، وأغلب هذه الكتابات تشير إلى أحداث شخصية، وقد اشتهرت القلاع التركية بكتابة تاريخ الإنشاء ومن قام ببنائها والمهندس المنفذ والكتابة بالخط العربي الواضح الجميل.

وقد كثرت الكتابات في دروب الحجيج والجيوش وخاصة على طريق الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فهناك كتابات في الزراب والزرداب، والراشدة(١)، وأم قويع، وهناك كتابات كثيرة في سلسلة الجبال التي تقع بمحاذاة تبوك في الجهة الغربية والجنوبية الغربية كما أنني اطلعت على كتابات في شعيب يعرف بالثُميم في الجهة الغربية الجنوبية لتبوك على بعد ثلاثين كيلومتراً.

وكذلك كتابات في وادي قنا على بعد ٣٥ كيلومتراً من تبوك أسفل اقترانه بوادي القيصوم عند غدران مائية كبيرة وأغلب هذه الكتابات قبل التنقيط ولكن أكثرها في العصر الإسلامي وذلك لوجود الأسماء الإسلامية، والحمد لله والبسملة، وذكر الأحداث الإسلامية، ولكثرة النقوش الكتابية التي تدل على لغات ولهجات الأمم فإن علماء اللغة أطلقوا على بعضها اللهجة التبوكية ((كما تفرع من المعينية الشمالية الدادانية والحسانية ومن الثمودية الأم التي هي الثمودية الثيماوية تفرعت الثمودية الحجازية، والثمودية النجدية، والثمودية التبوكية))(٢).

خامساً: الرسوم، وهي تمثل مراحل الحياة في الجزيرة العربية، فهناك النحت الذي يعتمد على وضع هياكل لمشاهير القوم، ومنها الرسوم المنقوشة على الأحجار للأفراد والمنقوشة على أشكال هندسية بقصد التجميل ومنها رسوم حيوانية للبرية منها والوحشية القديمة وهي رسوم تدل على قدرة هائلة على النقش فهي صور جميلة لبقر الوحش والوضيحي والوعل والحمر الوحشية، والظباء والحيات، والخيل والإبل وكذلك صور السهام والرماح والرمي بها ومطاردة الصيد.

---

(١) أشبه ما تكون بالشلال ويتجمع الماء في سد والكتابة في الحجر الذي يعلو الماء من جوانبه والغريب فيها كيفية وصولهم إلى تلك الأماكن الشاهقة للكتابة والأقرب أنها نتيجة عوامل التعرية مما يدل على قدمها.

(٢) اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، تأليف أحمد حسين شرف الدين ص٣٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المواقع الأثرية

١- رجوم شوهر:

هذه تقوم على جبال صغيرة وتؤخذ حجارتها الكبيرة وتبني منها تلك الحجرات التي يكون طولها ثلاثة أمتار في مترين وقد قسمت بحائط بينهما ويكون بناء سقفها على شكل هرمي فأسقفتها موضوعة على صخرة متمركزة على التي تحتها ويخرج منها جزء بسيط وتبنى الثانية عليه وهكذا حتى تلتقي الجوانب ويتكون السقف.

موقعها:

وتقع في شمال غرب (طويل النبيه) وتبعد عن تبوك عشرة كيلاً إلى الجنوب وتقرب إلى جبال السروات وتسيل فيها مياه الشعاب المتفرقة من تلك الجبال وهي ذاتها تمثل شعاب بينها جبال ليست بالشاهقة وإنما هي منخفضة تتكون قمتها من حجارة متوسطة وكبيرة استخدمت في بناء تلك المقابر. وهي في نهاية حرة العويرض من الشمال.

تسميتها:

(رجوم) مصطلح تلك المنطقة هو المكان العالي الذي يبني باليد ليشرف من خلالها على الطرق وليحتمي فيه. أو ليحمي فيه الإبل. من الصقيع وربما أطلق على المقابر فالتسمية حديثة. أما شوهر: فلم أعرف عنه شيئاً إلا ما يطلق على حصن كبير في اليمن يقال له شهارة الغيش وهو من معاقل الأهتوم أو إنها في حرة شوران التي هي من حِرار حرة الحجاز والحقيقة إنها بقرب جبال حرة فيمكن أن تكون محرفة عن شوران أو شهارة.

وقد كتب عنها (فلبي) في كتاب (أرض الأنبياء) وذكر بأنه لم يعثر فيها على أية معالم وأطلق عليها شوهار بينما يحدثنا متقدموا السن عن وجود عظام كثيرة بداخلها وكذلك وجود بعض الأدوات التي تستخدم في عملهم اليومي. والذي لفت انتباهي في تلك المنطقة أمور منها:

١- أنها تأتي على أرض زراعية تكون على مقربة من جبال حرة العويرض الشاهقة وتأتي سيول الشعاب التي تتخلل الجبال على هذه المدينة.

٢- اهتمام أهلها بالقبور أي بأنفسهم بعد الموت أكثر من اهتمامهم بأنفسهم في الحياة حيث وجدنا آثار القبور ولم نجد آثار المساكن فهل كانوا يستظلون ببيوت الشعر ... وأظنهم كذلك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- وجود العيون التي تتدفق من التلال وما زالت آثار الجداول التي تسقي المزارع حتى الآن.

٤- أن المنطقة التي بينها وبين تبوك أهله بالآثار والآبار التي تحتاج إلى بحث وتنقيب فقد تحدث لي أكثر من شخص عن وجود آبار قد طمرتها الأتربة.

٥- أن رجوم شوهر هذه تنبئ عن الاستقرار للذين استوطنوها وأن معيشتهم تختلف تماماً عن القبائل العربية التي استوطنتها قبل الرسول صلى الله عليه وسلم فالقبائل تعتمد على المراعي والتنقل وراءها أما هؤلاء فإنهم يعتمدون على الزراعة فيستقرون.

٦- أغلب الظن أن الذين استوطنوها هم المعينيون اللحيانيون وخلفهم القبائل العربية التي آمنت بالرسول صلى الله عليه وسلم أثناء غزوة تبوك.

وفي الجهة الجنوبية الغربية لرجوم شوهر توجد أرض مرتفعة فيها مبان حجرية وقد ذكر لي من أثق فيه أنه برفقة أحد الأشخاص قبل أكثر من ثلاثين سنة نقضوا جانباً من إحدى الحجرات؛ فعثروا على عشرين هيكلاً من الحجارة البيضاء، التي لا توجد في المنطقة، وربما تكون من جبل (اللوز)(١) وهذه الهياكل مصنعة تصنيعاً جميلاً، ووجودها بهذه الكثرة في مكان واحد، يشير إلى أنها كانت للتجارة قبل ظهور الإسلام، حيث أقبل العرب عليها؛ فوضعت كل قبيلة صنماً لها حول الكعبة، وأمر آخر له دلالته أن تكون جلبت في غزوة من غزوات الروم، وانحسار الإمارات العربية، فصنعت واستحضرت مع جيوشهم، وتركت بعد انهزام الجيش. وفيه احتمال أن أولئك الرومان نظراً للمنافسة مع الدويلات العربية تريد أن يكون لها أثر تستدل به للمحاجة والجدل، أو تكون من أولئك العرب الذين استوطنوا الشام وتنصروا ثم عادوا لموطنهم الأصلي شأن القبائل العربية قبل الحدود فإنهم يقضون أشهراً في البلقاء ثم يعودون لموطنهم سيما وإن بعضاً منها عليه الصليب.

٢- قُصِير التمرة:

في الجهة الغربية الجنوبية لتبوك على طريق البديعة، يبعد عن تبوك حوالي خمسة عشر كيلاً، وهو مكون من حجرتين مبنيتين من الحجارة ومسقوفتين بالحجارة المدرجة كالسقف الذي ذكرته في رجوم شوهر، وهو مطل من قمة جبل صغير على دروب متعددة من جهة الغرب حيث حسمى، وبعض أودية الحرة مثل (قنا) و(الهدرة) والثميم، ومن الجنوب دروب حرة الرحاء، والدرب التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ومن هنا أرى أنه مركز للمراقبة لتبوك أو لرجوم شوهر.

---

(١) أضخم جبال حسمى في غربها وهو مطل على ساحل البحر الأحمر وممتد من الجنوب إلى الشمال بما يقارب ثلاثين كيلاً وفيه قلعة ((أم عجل)) وفي فتحتها حجارة صلدة بيضاء، والمكان مهيأ لإنزال الحجارة الضخمة على شكل مدرج ليسهل تدحرجها من الأعلى ولكي لا تتحطم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- العيينة:

لم أعثر عليها في الكتب القديمة ولم يشر إليها المكتشفون الأوربيون وإنما كتبت عنها مجلة أطلال وهي حولية تصدرها مصلحة الآثار في وزارة المعارف بالعربية السعودية العدد الخامس ١٤٠١هـ - ١٩٨١م وقالت عنه: (يعتبر هذا الموقع أهم مواقع العصر الحجري الحديث في منطقة تبوك على الإطلاق) وقد أشارت المجلة إلى أن البعثة السعودية هي أول من اكتشفه (وقد عثرنا عليه شمال غرب تبوك على الطريق المؤدي إلى قرية بالقرب من قرية العيينة وذلك فوق تل صغير (ارتفاعه خمسة أمتار ومساحته ٩٠×١٠٠ متر)([1]). (والموقع يحتوي على العديد من الجدران المتهدمة)([2]). وقد وصفت المجلة المباني وصفاً دقيقاً.

٤- قُرَيَّة:

له شهرة قديمة وأول من زارها من الأوربيين الألماني (برنارد موتبز) عام ١٩٠٦م ثم زارها (سنت جون فلبي صاحب أرض الأنبياء) وتحدث عنها حديثاً وصيفاً حيث وصف قمة الجبل ووصف القصور ووصف الأفران وذكر الفخار والجداول المائية والأسوار الممتدة في السهل، وترتفع فوق قمة جبل تحفة السهول من كل جانب، والجبل قليل المصاعد والمنافذ تكتنف المزارع والجداول والحدائق جبلها من الشرق والغرب، والألوان التي زين بها الفخار لا زالت ظاهرة رغم تعرضها لعوامل التعرية. وزعم فليبي أنه لم يعثر على شيء يذكر إلا أن بعثة الآثار السعودية قالت: (لقد اكتشفنا العديد من الأدوات الحجرية خلال هذا المسح... ولعلنا نذكر أنه قد عثر في هذا الموقع من قبل على منقاش من الحجر الصوان يرجع للعصر الحجري الحديث)([3]). وقد تحدثت الأطلال عن قرية وجدرانها والكهوف والحقول والأفران والمعبد وتوزيع المياه والفخار.

([1]) الأطلال ع٥ ص٦٢.

([2]) الأطلال ع٥ ص٦٢.

([3]) الأطلال ع٥ ص٦٢، وانظر: أرض الأنبياء ٢٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥- المحيبل:

في الشمال الغربي لمدينة تبوك على بعد ٣٨كم وهي عبارة عن مستوطنة سكنية، ومن أهم المستوطنات الزراعية السكنية في أرض مدين([1]).

٦- روافة:

وهي في جنوب غرب مدينة تبوك على مسافة ١١٥كم وهي نبطية رومانية حيث تم بناؤها بين ١٦٦ – ١٦٩م وقد كتب عنها (سنت جون فلبي) في كتابه (أرض الأنبياء)([2]). ولما زرتُها عام ١٤٠٥هـ وجدت حجراً مستطيلاً يقرب من مترين عليه كتابة منظمة ولست أدري هل توجد الآن فإنني أخشى عليها من الأخذ بواسطة الإنسان أو السيل.

٧- الديسة:

وتبعد عن تبوك ١٨٠كم إلى الجنوب الغربي ويوجد بالمنطقة واجهات نبطية منحوتة بالصخر، وبقايا أساسات جدران مباني سكنية وربما تكون معاصرة لروافة.

٨- وادي العويند:

وبه كتابات ونقوش قديمة على الصخور يقع غرب تبوك على بعد ٥٠كم.

٩- النابع:

في حسمى غرب تبوك وهي مستوطنة سكنية زراعية قريباً من جبل اللوز من الجهة الشرقية على مسافة عشرة كيلاً وحالياً عبارة عن منهل للبادية حيث تتوفر به المياه في آبار قديمة وفيه مركز إمارة، ومدرسة ابتدائية.

([1]) الرياض ع١٠٢٥٨ في ١٤١٣/٢/٣هـ.

([2]) أرض الأنبياء ١٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٠- الصيباني:

على بعد عشرين كيلومتراً غرب حالة عمار، عبارة عن مستوطنة سكنية زراعية هامة.

١١- المعظم:

بركة قديمة كانت تسمى جفار المعظم غير أن المعظم الأيوبي قد بنى بركتها لأنها على درب الحجيج إلى الجنوب من تبوك على بعد ١٥٠كم وقد تطورت في عهد الأتراك فقد بنوا فيها قلعة ومحطة للقطار وبركة ضلعها ٦متر.

١٢- الأخضر:

من المحطات الكبيرة على درب الحاج الشامي وتقع بوادي الأخضر جنوب شرق مدينة تبوك على بعد ٧٥كم وتشمل على مباني للسكة الحديد القديمة ومسجد وبركة. وتم أخيراً اكتشاف بعض الآثار حولها.

١٣- طويل النبية والتركمان:

وهما على شكل تلال جنوب تبوك على بعد خمسة عشر كيلاً، ولما عُمرت المنطقة واحتاجوا إلى مكانهما وجدوا أن أحدهما يقوم على مبان من الحجارة.

١٤- العنبة: والهرمة:

وهما: عينان حولهما مزارع في الشمال من سفح جبل شيبان أعلى جبال تلك المنطقة وربما من أعلى جبال الجزيرة ويماثله جبل (وتر) القريب منه ويكسوهما الثلج شتاء، فيمكث شهراً أو شهرين. وعين الهرمة إذا نقص ماؤها يحفرون فيها فيلتقون بفوهة واسعة لا يصلون إلى حدها وقد احتقر بعضهم بئراً يبعد عنها سبعين متراً وعثر على جدولاً واسعاً مسقوفاً يذهب يمنة وشمالاً، وسار معه حتى احتجب النور عنه، وسكان تلك الأماكن يتحدثون عن مثل هذه المجاري المائية.

ويوجد حول العنبة آثار من المباني الحجرية شأنها شأن غيرها من تلك الديار والحقيقة أنك لا تسير طويلاً في تلك الديار حتى ترى معلماً من معالم الأبنية القديمة أو جدولاً زراعياً في منطقة تبوك وما حولها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا يدعوني إلى التأمل حول ذلك هل كانت القبائل العربية البائدة القديمة بادية ترتحل خلف الكلأ ومساقط الأمطار كما هو الشأن قبل مائة وخمسين سنة وما قبلها؟! قبل البعثة المحمدية.

إن المتدبر في تلك الديار ومعالمها يرجح أن المنطقة كانت بها عيوناً تجري، قريبة الماء وربما أن جداول الأنهار تجري، فالمنطقة منطقة زراعية قابلة للاستقرار وأن القبائل العربية القديمة تعيش حياة حضرية استقرارية بأدلة تلك الآثار ولأنها موطن حضارات بائدة مستقرة فنحتت الجبال بيوتاً، كما في مدائن صالح، ومدين (شعيب) وأيضاً أصحاب الأيكة، فأولئك الذين يخسرون الميزان لهم حضارة لأن المرتحلين لا يتعاملون بالموازين، ولا يعرفون الاستقرار التجاري. ومع نضوب الماء التدريجي تحول العرب من الاستقرار إلى الارتحال.

كالثموديين

الجزيرة العربية، مكتبة أثرية، تُشخَّص الحقب البشرية التأريخية، سيما شمال غرب الجزيرة، الذي تعاقبت عليه موجات الحضارات، التي سادت ثم بادت، كالثموديين، وأصحاب الأيكة، واللحيانيين والآراميين، والأنباط، ثم تتابعت الدول الإسلامية، وهي تدون أيضاً رحلات بعض الشخصيات.

وطبيعة المنطقة أغرت الأوائل بتدوين ما يعتلج في نفوسهم تلك الطبيعة الجبلية الصلدة، والصفائح الحجرية المصقولة التي تغري بالكتابة والرسم حيثما نظرت أو وقفت أو استراحت، أو سجلت رسالة. فقد رأيت كتابة في (درب البكرة) كُتِب فيها ((إن القوم قد ماتوا جميعاً)).

والآثار تنقسم إلى قسمين أحدهما: النقوش من كتابة ورسم. وثانيهما: الآثار العينية من نقود وآلات حرب، وأواني، وخزائن، وكان اهتمامي محصوراً في الأول، ولكن لقائي مع رفيق الدراسة عودة فرج السميري، نقلني إلى التواصل مع الصنف الثاني، حيث أن الرجل معني بالآثار العينية القديمة، وقد اشتهر في منطقة تبوك بمتحفه الشخصي، وطول التدبر فيها، جعل عند الرجل علماً وافراً وخبرة وثيقة الصلة.

وقد دعاني دعوة فورية – في لقاء بعد طول انقطاع – إلى متحفه، فلبيتُ فرحاً مسروراً. وإذا بالمتحف الشخصي كفيل بتأسيس متحف إقليمي.

والمتحف يشمل على كمٍ من ألوان الآثار، فهناك النقود التي تنسب إلى الساسانيين، وإلى العصور الإسلامية من العهد الأموي مروراً بالعباسي، وعهد صلاح الدين الأيوبي.

وهناك الأواني الفضية، والخشبية لمختلف العصور ورأيت عجباً من الحلل الفضية، وأدوات الزينة المعدنية، وأدوات التجميل من أحزمة، وبراقع، وقلائد، ومما يلفت النظر أن الرسوم عمل عليها صور البوم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في بعض العقود، حتى الأدوات الطبية لها نماذج متعددة، والمتحف يضم أصنافاً من الأدوات الحربية من السيف، والترس، والدروع والأنواع الأولى للبنادق والمسدسات.

ونظراً لأن المنطقة حافلة بالآثار حتى استقطبت كثيراً من المعنيين، وبعضهم يهملها، وآخرون تضعف نفوسهم، فحبذا لو عُمِل متحف تشرف عليه هيئة إقليمية بالتعاون مع قسم الآثار من وزارة المعارف، ويكون مكانه القلاع التركية التي حول السكة الحديدية، والمشروع يحتاج من بدايته إلى تبرع رجال الأعمال في المنطقة. ولو تمت الاستفادة من الرسوم حول الحدائق وهي صالحة لتكوين قرية سياحية تقام على امتداد آثار السكة الحديدية. وتستفيد من الشباب الجامعي الذين حصلوا على ليسانس من قسم الآثار والتأريخ ليشرفوا عليها، ويصنفونها.

تبوك في العصور الإسلامية:

توسعت رقعة الدولة الإسلامية الأولى فغزاها الرسول صلى الله عليه وسلم وغزاها من بعده أسامة بن زيد، وحدثت معركة بين يزيد بن أبي سفيان والروم في تبوك، وقامت لتبوك أهمية أخرى في عهد بني أمية إضافة إلى أهميتها السابقة حيث إن الخلافة في الشام (دمشق) مما يحتم أن تكون الطريق عامرة آهلة بالحركة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة والعاصمة دمشق الأمر الذي دعا الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى بناء المسجد الذي صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويضاف إليها المعبر والمسار الذي تفد إليه العرب في طريق ذهابهم للجهاد في سبيل الله وكذلك كثافة القبائل العربية المحيطة بتبوك.

وقد ازدهرت قرى مجاورة لتبوك منها المحدثة إلى الجنوب الشرقي من تبوك تبعد عنها بمرحلتين. وكذلك القرى في جنوب الشام والأردن الآن حيث استوطنها عدد من أعيان الحجاز فأسرة عثمان بن عفان استوطنت أيلة، وأسرة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس استوطنت الحُميمة، وقد رأينا آثاراً وكتابات تدل على أن علي بن عبدالله بن عباس زار تبوك فقد كُتب على أحد الأحجار الكبيرة ما يدل على أن الزيارة أو الاستيطان في عام ٨٥هـ.

وتبوك ظلت صامدة تتغير حسب التطورات على الدولة الإسلامية وتصحب حلقات التاريخ ونتائجه تنطبع عليها وتتأثر بها، فلما استقر الحكم الإسلامي في الشام فإنهم سلكوا الطريق الداخلي وهو المسار الذي يمر بتبوك وسمي بالداخلي للتفريق بينه وبين الطريق الساحلي، وقد دوّن المؤرخون القدامى الأحداث التي وقعت في تبوك وعبور الحاج في دربها مثل ابن رسته في (الإعلان) وكذلك ابن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خرداذابة في المسالك، وابن قدامة في الخراج وأشاروا إليها إشارات عابرة(١)، ما عدا الجزيري الذي تتبع رحلة الحاج من أوائل العهد الإسلامي حتى أوائل القرن الحادي عشر(٢).

وكما تأثر الشام بالاحتلال الصليبي وهيمنوا على الأردن والكرك بصفة خاصة وأخذوا يقطعون طريق الحجاج ويسلبونهم، ويقتلونهم بل تعرضوا للقوافل الكبرى التي تبعث بها الدول من مصر والشام مما جعل الطريق غير آمن لعدم استظلاله بظلال دولة إسلامية، لذا فإن الحجاج تحولوا إلى الطريق العراقي ومنهم من يأتي على السفن من طريق الوجه والموانئ الساحلية على البحر الأحمر.

وأشار إلى ذلك المقريزي فكان الاضطراب (من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلى أعوام بضع وستين وستمائة)(٣).

وأشار المؤرخون الأوائل إلى الطريق بين المدينة المنورة والشام فـ ((يمتد الطريق من المدينة إلى ذي خشب إلى السويداء إلى المر إلى ذي المروة إلى الرحيبة إلى وادي القرى إلى الحجر إلى الجنينة إلى الأقرع إلى المحدثة إلى تبوك))(٤). وهذه الطريق غير التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنها طريق الحاج من بعد ذلك، وهي التي رُصِفت عليها سكة الحديد الحجازية. والطريق التي عبرها الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب منها لكنها وعرة جداً.

ويبدو أن هذه الطريق عُرِفت في عهد الخلافة الراشدة بعد أن سلكتها الجيوش الفاتحة فهذا جميل بن معمر يسلكها في رحلته إلى الشام ومصر، ويلوي عنقه في كل منزلة إلى بثينة. ونظراً لاضطراب ترتيب القصيدة التي وصف فيها رحلته؛ فقد اضطرب ترتيب الأماكن في القصيدة، ولذا فإني أرتبها حسب معرفتي بها، فهي ما زالت تحمل هذه المسميات، وقد زرت جلّها وها أنا أوردها على الترتيب من الجهة الجنوبية القريبة للحجر؛ قرح، الحجر، الجنينة: قاع متسع ينبت ألواناً من الأعشاب يبعد عن تبوك ١٨٠كيلاً غرب طريق الحاج وقريباً منه وادي ذات طلاح موقع الغزوة التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم لتأديب قضاعة.

أما وادي الغضا فهو جنوب تبوك على بعد ٤٥كيلاً.

ثم تبوك ثم ذات الحاج شمال تبوك على بعد ٧٥كيلاً.

ثم أذرح، وهي مدينة أثرية في شمال غرب معان في المملكة الأردنية.

ثم الشراة وهي جبال مرتفعة جنوب الأردن في شمال غرب معان.

---

(١) انظر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص١٧١.

(٢) الجزيري، انظر: الدرر الفرائد.

(٣) سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدرب الحاج ١٧١.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك ١٥٠، قدامة بن جعفر الخراج ١٩١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم معان أكبر مدن الجنوب الأردني بعد العقبة وتبعد عن تبوك ٢٢٠ كيلاً. والقصيدة هي:

فعدتُ له والقومُ صَرْعَى كأنهم ... لدى العيس بالأكوَارِ خُشْبٌ مُطَرحُ(١)

أُراقِبُهُ حتى بَدا مُتَبَلِّجٌ ... من الصبح مشهورٌ وما كدتُ أُصْبِحُ

وليلةَ بِتْنا ذاتَ حاجٍ ذكرتكُمْ ... هُدُوَّاً وقد نامَ الْخَلِيُّ المصَحَّحُ(٢)

وبتُّ كَئِيباً لا دكاري وصُحبتي ... على مَشْرَعٍ فانهلَّتِ العَيْنُ تَسْفَحُ

ويومَ مَعانَ(٣) قال لي فعصيتُه ... أَفِقْ عن يثينَ، الكاشِحُ المتَنَصَّحُ

ويوم نَزَلْنا بالحِبالِ عشيةً ... وقد حُبِستْ فيها الشَّراةُ وأَذْرُحُ(٤)

ذكرتكُمُ فانهلَّتِ العينُ إنَّها ... إذا لم يكن صبرٌ أَخَفُّ وأَرْوَحُ

وليلَةَ عَرَّسْنا بأَوْدِيَةِ الغَضَا(٥) ... ذكرتُك، إنَّ الحبَّ داءٌ مُبرَّحُ

ويومَ تَبُوكٍ كدْتُ من شِدَّة الأَسَى ... عليكِ بما أُخْفِي مِنَ الوَجْدِ أُصْرِحُ

أَرى شجراتِ الدار خُضراً ولا أَرى ... سوى شجراتِ الدار شيئاً يروّحُ

أَمن أَجلِ أن حلت السكن وابتنت ... بثينة بندى غصنكن الملوّحُ

أَأُكْرِمُ أَصْحَابِي وأَبْذلُ ذا يدِي ... وأُعْرِضُ عن جَهْلِ الصَّدِيقِ وأَصْفَحُ؟

وأُكْثِرُ قولاً والحبِيبُ مُوَكَّلٌ ... سَقَى أَهْلَ جُمْلٍ حَيْثُ أَمْسَوْا وأَصْبَحُوا

أَجَشُّ هَزِيمُ الرَّعْدِ دانٍ رَبَابُه ... له هَيْدَبٌ جَمُّ العَثَانينِ رُجَّحُ(٦)

ذكرتُك يومَ النحر يا بثنُ ذكْرَةً ... على قَرَنٍ والعيسُ بالقَوْمِ جُنَّحُ(٧)

عواطِفَ بالعَيْنَيْنِ بينَ مُسِرَّةٍ ... لقاحا وأُخْرَى حائِل تَتَلَقَّحُ(٨)

---

(١) في المنتهى: العيش. في موضع: العيس. صرعى: يريد نيام.

(٢) ذات الحاج: موضع في شمال تبوك من منازل الحاج على بعد سبعين كيلاً. ويظهر أن ترتيب الأبيات في تقديم وتأخير لأن الترتيب أن يأتي بتبوك أولاً.

(٣) معان: جنوب الأردن على درب الحاج.

(٤) الشراة: جبال تمتاز شمال غرب معان في الأردن. أذرح: مدينة أثرية عامرة في العهد الإسلامي، شمال غرب عمان.

(٥) واد يقع جنوب تبوك وغرب وادي الأخضر وغرب سكة الحديد، على بعد ثلاثين كيلومتراً من تبوك.

(٦) الأجش: الغليظ الصوت، يصف المطر. والرباب: السحاب الأبيض. والهيدب: الحواشي. والعثانين: جمع عثنون، وهو أول مطر أو بين السماء والأرض منه، أو المطر عامة. والرجح: الثقيلة الممتلئة ماء.

(٧) قرن: جبل. والعيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة. وأجنح: مسرعة.

(٨) المسرة: المخفية، أي تتلقى اللقاح فتخفيه في رحمها. واللقاح: ماء الفحل، وفي المنتهى: لقاح، بدون نصب. والحائل: الناقة التي حمل عليها فلم تلقح، أو التي لم تلقح سنة أو سنتين أو سنوات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دُهـــنَّ بأَسْـــقَاطِ اللُّغَـــامِ كأَنَّـــه ... إذا قَطَّعَتْـــهُ الـــرِّيحُ قَـــزٌّ مُسَـــرَّحُ(١)

ويـومَ وَرَدْنـا قُـرْحَ هاجـتْ لِي البُكـا ... مـن الـوُرْقِ حَمّـاءُ العِلَاطَـيْنِ تَصْـدَحُ(٢)

ويـومَ ورَدْنـا الحِجْـرَ يـا بـثن عـادَنِي ... لـكِ الشـوقُ حـتى كِـدْتُ باسمـكِ أُفْصِـحُ(٣)

وليلـةَ بِتْنـا بالجُنَيْنَـةِ(٤) هـاجَني ... سَـنا بـارقٍ مـن نحـوِ أَرضِـكَ يَلْمَـحُ(٥)

---

(١) المنتهى: وهن، تحريف. والأسقاط: جمع سقط، وهو ما أسقط. واللغام: الزبد. والقز: الحرير. والمسرح: المرسل.

(٢) قرح: وادي القرى أو سوقها. الورق: الحمام. وحماء: سوداء. والعلاط: صفحة العنق.

(٣) الحجر: أرض ثمود.

(٤) اسم قاع في الجهة الجنوبية الغربية من المعظم على طريق القوافل من الحجر ويسمى الآن (المجينينة).

(٥) جميل معمر، الديوان ٤٨، تحقيق د. حسين نصار، الطبعة الأولى، دار مصر للطباعة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبوك في كتب الرحلات

والأدريسي المتوفى عام ٥٦٠هـ تحدث عن المنطقة في كتابة (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) فقال.

((وعلى ساحل بحر القلزم مدينة مدين([1])، وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب. ويحكى أنها بئر معطلة، وقد عمل عليها بيت وماء أهلها من عين تجري إليهم. وسميت مدين بالقبيلة التي كان منها شعيب، وبها معايش ضيقة وتجارات كاسدة.

ومن مدينة مدين إلى أيلة خمس مراحل.

ومن أيلة إلى الجار نحو من عشرين مرحلة.

ومن مدين إلى تبوك في البرية شرقاً ست مراحل.

ومدينة تبوك بين الحجر وبين أول الشام، وأول الشام منها على أربع مراحل في نحو نصف طريق الشام ولها حصن يطيف بها وشرب أهلها من عين ماء خرارة وبها نخيل كثير ويقال: إن أصحاب الأيكة الذين بعث الله إليهم شعيباً كانوا بها وكان شعيب من مدين.

والحجر من وادي القرى على مرحلة وهو حصن نظيف الحال بين الجبال وبها كانت ديار ثمود وبها بيوت منقورة في الصخر وأهل الحجر وتلك النواحي يسمونها الأثالب وهي جبال في ذاتها متصلة في العيان حتى إذا توسط المار بها كانت كل قطعة منها قائمة بذاتها يطاف بكل واحدة منها من غير أن يمازج بعضها بعضاً أو يختلط بعضها ببعض وبها الآن بئر ثمود ويحيط بالحجر من كل ناحية جبال ورمال لا يكاد أحد يرتقي إلى ذراها إلا بعد جهد ومشقة.

ومن الحجر إلى تيماء أربع مراحل ومن تيماء إلى خيبر أربع مراحل.

ومدينة خيبر مدينة صغيرة كالحصن منيعة ذات نخيل وزروع وكانت في صدر الإسلام داراً لبني قريظة والنضير وكان بها السموءل بن عاديا المضروب به المثل في الوفاء.

ومنه إلى المدينة أربع مراحل.

وبقرب خيبر جبل رضوى وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ورأسه من ينابيع الماء به كخضرة البقل وفيه مياه كثيرة وأشجار ومنه تحمل أحجار المسن إلى سائر الآفاق.

وفيما بينه وبين ديار جهينة وساحل البحر ديار يسكنها قوم من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، وهم يسكنون بيوت الشعر، وهم خلق كثير زيهم زي الأعراب، ينتجعون المراعي والمياه كانتجاع العرب لا فرق بينهم وبين العرب في خُلُقٍ ولا خَلْقٍ. وتتصل ديارهم مما يلي المشرق بوادي أرادان وهو من الجحفة على مرحلة، وبينها وبين الأبواء التي في طريقالحاج ستة أميال.

([1]) مدينة مدين ليست على الساحل وتبعد عنه أربعين كيلاً ويطلق عليها الآن (البدع).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن تيماء إلى دومة الجندل أربع مراحل.

ودومة الجندل حصن منيع ومعقل حصين وبه عمارة، وتتصل به عين التمر وبرية خساف من بادية السماوة. وبرية خساف وهي ما بين الرقة وبالس عن يسار الذاهب.

وتيماء حصن عامر وبنية أزلية، وهو أعمر من تبوك وبينهما أربع مراحل، وبين تيماء وأول الشام ثلاثة أيام، وبتيماء مياه ونخيل ومنه تمتار البادية وبه تجارات قلائل. ويسكن بين أيلة وتبوك إلى وادي القرى قبائل لخم وجذام وجهينة وبلي وبلادهم بلاد إبل وألبان وأسمان، وهم يسكنون ينتجعون مراعي هذه الأرضين ولهم كرم وبذل لما في أيديهم، وهم يسكنون بيوت الشعر وينتقلون من موضع إلى موضع لا يقيمون بمكان ولهم مصايف ومرابع يدورون عليها وينتقلون إليها مع الدهر وهم مترددون إليها([1]).

((قال ياقوت الحموي المتوفي ٦٢٦هـ صاحب معجم البلدان عن تبوك: تبوك بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة، وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال: إن أصحاب الأيكة الذين بُعث إليهم شعيب، عليه السلام، كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مدين، ومدين على بحر القلزم على ست مراحل من تبوك، وتبوك بين جبل حسمى وجبل شروى وحسمى غربيها وشروى شرقيها.

وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك أياماً حتى صالحه أهلها، وأنفذ خالد بن الوليد إلى دومة الجندل وقال له: ستجد صاحبها يصيد البقر، فكان كما قال، فأسره وقدم به على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بجير بن بجرة الطائي يذكر ذلك:

تبارك سابق البقرات، إني رأيت الله يهدي كل هاد

فمن يك حائداً عن ذي تبوك فإنا قد أمرنا بالجهاد

وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة، وكان ابن غريض اليهودي قد طوى بئر تبوك لأنها كانت تنظم في كل وقت، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمره بذلك([2])).

ولما استعاد المسلمون السيطرة على القدس وبلاد الشام من الصليبيين، وأقامت أسرة صلاح الدين الأيوبي (الدولة الأيوبية) أولت الطريق الداخل – طريق تبوك – العناية والرعاية، فحفرت الآبار، ومنها

([1]) الأدريسي، نزهة المشتاق من اختراق الآفاق ١/٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣.

([2]) معجم البلدان، ياقوت الحموي ٣:١٤ طبعة دار صادر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بركة المعظم التي تحمل اسم أبناء العادل الأيوبي وقد أشار إلى هذا ابن رشيد الأندلسي فذكر جفار المعظم، والأخيضر.

وزار محمد بن رشيد الأندلسي([1]) تبوك، مر بها في طريقة للحج في أول شهر ذي القعدة عام ٧٨٤هـ، وقال في وصفها: ((هي أدنى أرض الشام إلى المدينة، وهي أقصى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين دنونا منها بأميال خمسة أو ستة عبأ الناس الجيش، وتزينوا بالأسلحة ورتبت الرجال والفرسان وخلفهم الرواحل، ونزل كثير من الناس عن رواحلهم، وساروا بها يسوقونها وعبؤوها بجزل الحطب، حتى كأنها مراكب بحرية موسقة وذلك لتعذر الحطب بأرض تبوك إلا على بعد منها، ويذكر الناس أنهم إنما يعبئون الجيش عند دخولها عادة لهم، يزعمون فيها الاقتداء لأنه صلى الله عليه وسلم دخلها كذلك – والله أعلم – ولا شك أنه انتهى إليها وأقام بها ولم يتجاوزها وكانت مدة إقامته فيها عشرين ليلة، وهي آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سنة تسع من الهجرة فسار فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين لغزو الروم في شهر رجب، وعاد إلى المدينة في شهر رمضان، ثم أورد حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضيء النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي))، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين تبض بشيء من ماء، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل مسستما من مائها شيئاً؟)) فقالا: نعم، فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة، أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً)).

ثم نقل عن ابن وضاح قوله: ((أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالي تلك العين جناناً خضرة نضرة([2])، وعقب قائلاً: قلت: صدق صلى الله عليه وسلم فقد رأينا هذا الموضوع قد ملئ جناناً من نخيل وبينها يسير زرع للأعراب وهذه العين صهريج كبير مطوي بالحجر، يجتمع فيه ماء كثير، ويخرج منه إلى جفر آخر كبير، يجتمع فيه ما يسيل من ذلك، وماؤها كثير عذب، فاغتسلنا من هذه العين المباركة، وتضلعنا من مائها الطيب المبارك. وبمقربة من العين أصل شجرة يابس، فيه غصن كبير ناعم أظنها سدراً، يزعم الناس أنه صلى الله عليه وسلم رقد هناك فأحضرت الشجرة – والله أعلم – ولقد اتفق لي هناك أن أخذت يسيراً من لحائها بسكين الأقلام على حكم التبرك لما ذكر من أمرها، ولأني رأيت بعض من

([1]) محمد بن عمر بن رُشيد الأندلسي ٦٥٧ – ٧٢١هـ وكانت زيارته في عام ٦٨٤هـ، ورحلته ملئ العيبة فيما جمع بطول الغيبة)) طبع منها جزءان بتقحيق الأستاذ محمد الحبيب بن الخواجه.

([2]) هذا انبهارهم من مزارع في صحراء شاسعة، فكيف لو رأيا، المشاريع الضخمة التي كست الصحراء كلها في زمننا هذا على امتداد ١٢٠ كيلاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حضر هناك أخذ شيئاً منها متبركاً، فرأيت شخصاً قد أقبل إلي، لم أعرفه قبل، ولا بعد فقال لي: حتى أنت تفعل ذلك؟ فقلت: ولِمْ؟ وما تنكر من ذلك؟ فقال: إن كان حقاً ما ذكر فيقتدي الناس بك في الأخذ منها فيفنيها الناس، فيذهب هذا الأثر المبارك، فتكون سبب ذهابه، وإلا يكن فيقتدي الناس بك في باطل أو معنى هذا الكلام، فشكرته وانصرف))([1]).

والبلوي في رحلته عام ٧٣٧هـ يصف رحلته من مدينة معان إلى تبوك بقوله:

((ومهامـــه كـــالبحر لا أثـــراً فيهـــا لمفتقـــر ولا ســـنن

لـــو ســـار فيهـــا الـــنجم ضـــل فيهـــا حـــيران لا شـــام ولا يمـــن

إلى أن وصلنا تبوك التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلدها اليوم خراب، وعلى كل جدار غراب، فوردنا البئر المبارك التي فاضت ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففرحنا بنزولها، وسرحنا في ظل نخيلها ثم سرنا من مهامه تجمع بين النفوس والجزع، وتتصيد عنقاء البسالة في شرك الفزع إلى أن وصلنا إلى العلا بعد مدى بعيد وعناء شديد، وهي بليدة ذات منظر جميل، كثيرة المياه والنخيل، وبينها وبين تبوك مسيرة ثمانية أيام، نهاراً وليلاً وهي مسافة لها مهابة ومخافة تتعب فيها الركاب، وتفقد الرفقاء والصحاب، وتكابد الخطوب الصعاب وقديماً ضربت العامة بها مثلاً فقالت: ((ترك أبوك بين العلا وتبوك))([2]) وسبحان مغير الأحوال فإن الأمن والبناء العمراني، والحياة العلمية وتواصل الطرق والخيرات المتدفقة حولت ذلك المثل إلى ما هو متداول اليوم عند العامة تبوك تنسيك أمك وأبيك))([3]).

ونلحظ من قول البلوي أن الديار خالية وربما في أيام مجدبة هاجرت منها القبائل إلى بلاد الشام، ومصر، وربما أن الأمن مستتب في فترة من فترات المماليك.

وتحدث الرحالة العربي المشهور ابن بطوطة في رحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار:

((ثم ارتحلنا إلى معان وهو آخر بلاد الشام، ونزلنا من عقبة الصوان إلى الصحراء التي يقال فيها داخلها مفقود وخارجها مولود وبعد مسيرة يومين نزلنا ذات حج هي حسيان لا عمارة بها ثم إلى وادي بلدح ولا ماء به ثم إلى تبوك وهو الموضع الذي غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين ماء كانت تبض بشيء من الماء فلما نزلها رسول الله وتوضأ منها جادت بالماء المعين ولم يزل إلى هذا العهد ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عادة حجاج الشام إذا وصلوا منزل تبوك أخذوا أسلحتهم،

([1]) انظر: مجلة العرب ٧٨٥.

([2]) خالد بن عيسى البلوي، تاج المفرق ١:٢٧٨، تحقيق الحسن السائح لجنة التراث المشتركة بين الإمارات والمملكة المغربية.

([3]) الأصح وأباك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجردوا سيوفهم، وحملوا على المنزل وضربوا النخل بسيوفهم ويقولون هكذا دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينزل الركب العظيم على هذه العين فيروي منها جميعهم ويقيمون أربعة أيام للراحة ورواء الجمال واستعداد الماء للبرية المخوفة التي بين العلا وتبوك ومن عادة السائقين أنهم ينزلون على جوانب هذه العين ولهم أحواض مصنوعة من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام يسقون منها الجمال ويملؤون الروايا والقرب ولكل أمير أو كبير حوض يسقي منه جماله وجمال أصحابه ويملأ رواياهم وسواهم من الناس يتفق مع السائقين على سقي جمله وملء قربته بشيء معلوم من الدراهم ثم يرحل الركب من تبوك ويجدون السير ليلاً ونهاراً خوفاً من هذه البرية وفي وسطها الوادي الأخيضر كأنه وادي جهنم أعاذنا الله منها وأصاب الحجاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فانتشفت المياه وانتهت شربة الماء إلى ألف دينار ومات مشتريها وبائعها وكتب ذلك في بعض صخر الوادي ومن هنالك ينزلون بركة المعظم وهي ضخمة نسبتها إلى الملك المعظم من أولاد أيوب ويجتمع بها ماء المطر في بعض السنين وربما جف في بعضها وفي الخامس من أيام رحيلهم عن تبوك يصلون إلى بئر الحجر ثمود))([1]).

وصاحب رحلة الشتاء والصيف محمد الحسيني الموسوي ارتحل من المدينة ١٠٣٩هـ ولم تُحدد عودته وقد كتب في هذه الرحلة هذا التسجيل لها، وقد مات عام ١٠٧٠هـ ومما قاله عن منطقة تبوك، في رحلة العودة من دمشق:

((حتى أتينا على تبوك وهي على النصف من طريق الشام، وفيها عين ونخل وحائط، وهي آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها قلعة فيها بئر وشجرة توت، وحولها منازل للعرب ومزارع وأشجار على عيون وعريش ثم أتينا على المعز وهو قفر لا أنيس به .. ثم مررنا بالمضيق وهو مسلك حصر، كثير الأوعار والمحاجر حتى أتينا على الأخيضر وهو واد مثلث الجوانب، في جنوبية قلعة سليمانية بتاريخ ٩٨٨هـ وفيها عين تملأ منها ثلاث برك، تلاصق القلعة المبنية لحفظ البئر من دفنها أيام عصيان بني لام وبني عقبة، ثم اتينا على المعظم وهو واد فيه قلعة عثمانية، عمرت سنة ١٠٣١هـ غير أنه لم يكن بها ماء وقد أشرف على الدمار، وفيه يقول بعضهم:

يـا ذا المعظـم إن فيـك لقسـوة ... فـلأيَّ معـنى قـد سُميـت معظمـا؟

إن المعظـم مـن يغيـث وفـوده ... وأراك أفنيـت الأنـام مـن الظمـا

وعند القلعة بركة عظيمة متسعة جداً، يأتيها الماء من الأمطار ولها خمس وعشرون درجة، ولما وردناها وجدنا منها خمسة عشرة درجة في الماء الفرات ثم اتينا على الأقيرع ثم بشطب العجوز))([2]).

([1]) رحلة ابن بطوطة ٦٨، المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٩٦٤م.

([2]) محمد الموسوي، رحلة الشتاء والصيف ٢٣٥، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والعياشي، هو أبو سالم عبدالله بن محمد العياشي المغربي من أهل فاس المتوفى عام ١٠٩٠هـ.. كتب رحلته (ماء الموائد) وقد اقتطف الشيخ حمد الجاسر منها ونحن أخذنا أيضاً ما يخص المنطقة فقال:

العقبة:

((ثم ارتحلنا من السطح وأخذنا في نزول العقبة بعد طلوع الشمس، وهي عقبة كؤود، صعبة الهبوط والصعود، ولم لا وهي أيلة المشهورة، إلا أن الطريق بها منحوتة قد سّويت في أكثر الأماكن الصعبة، وبنيت حافاتها ببناء متقن.

ولما كان المحلّ معروفاً بتلصص الأعراب وحرابتهم تهيأ الناس، وأخذوا حذرهم، وأخرجوا أسلحتهم، خوفاً من عدوانهم، فإن الغالب أنهم لابدَّ أن يتعرضوا للركب في هذا الموضع لصعوبته، وتقدمت طائفة من الحجاج بمدافعهم أمام الركب، وتأخرت طائفة ((وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)).

ولم نر بها سارقاً ولا غائراً، ونزلناها على مهل، وبعد أن نزلنا من المنحدر الصعب جعلت الطريق تلتوي في شعاب كأنها أزقّة، يكثر فيها المخاوف والمتآلف، فَيُرَىَ البحر من بعيد فيظن قريباً، ولما وصلنا إلى البحر تأخرنا لدفن بعض الأشراف، مات بعد النزول من العقبة مطعوناً، وخشي أقاربه من جور الولاة إن أوصلوه إلى البندر فدفن هناك([1])....

ووصلنا إلى البندر عند الظهر، وفيه حصن حصين، في قرية على شاطئ البحر في سفح جبل، وبها آبار كثيرة، وفيها نخيل وسوق كبير، يحضره أهل غزّة، وتأتيه الأعراب بالإبل والغنم والسمن والعسل، والعلف للدواب. ووجدنا الفول رخيصاً أرخص ممن اكترى عليه من مصر، وبتنا بها، وبات المصري هناك، وأوقد بالليل نيراناً كثيرة، وضرب المدافع ورمى المحارق في الهواء، ولها منظر عجيب، وأسلوب غريب، كأنها شهب النجوم يرمى بها من الأرض إلى السماء، فتراها في الجو طالعة حتى ترى من أعالي هام شوامخ الجبال دونها. ثم تنعطف راجعة كأنها ثعبان، ثم يسمع لها صوت وتخرج منها شرارات من النار فإذا انقطعت تلك أتبعها بأخرى، وخروجهن فيما ترى من نار زرقاء كأنها نار الكبريت، تشتعل اشتعالا قوياً، فتطلع منها تلك الشهب، ولا نعلم صنعة ذلك وهي من الغرائب، والرامي بها وبالمدافع عادة المصري في كل منزل أقام فيه إذا أراد الرحيل.

وقد سألنا هناك وبحثنا عن اثر القرية التي كانت حاضرة البحر هل بقى من رسومها شيء فقد ذكر المفسرون أنها أيلة فلم نجد من يشفي لنا خبرها.

وقد ذكر لنا بعض الناس أن بأعلى الوادي أثر بناء كثير يشبه أن يكون مدينة ولعلها هي.

([1]) الرحلة: ١٦٧/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد أخبرنا كثير من متسوقة الأعراب الذين هنالك أنَّ وراء الجبل الكبير المشرف على القرية بلدة فيها نخل وماء، إلّا أنها خالية ويمكن أن تكون هي فإنها قريبة من البحر، والعلم عند الله.

وقال في وصف العقبة عند عودته من المويلح إلى العقبة: ارتحلنا من المويلح بعد الزوال، ونزلنا حيث تنعطف الطريق يميناً عن البحر، وفي الغد مررنا بعيون القصب، وفُتْنَاهُ غير بعيد ونزلنا، وفي الغد نزلنا مغارة شعيب قرب المغرب، وفي الغد ارتحلنا بعدما طلعت الشمس وارتفعت، وبتنا أعلى الوادي دون شرف بني عطية، وفي الذي يليه نزلنا أسفل الوادي قريباً من البحر حيث تميل الطريق إلى ظهر الحمار، وفي الذي يليه نزلنا العقبة ظهراً([1]).

ووجدنا أهل غزَّة وأهل معان قدموا بعنب كثير وفاكهة، وبات الناس بها تلك الليلة وأقاموا غداً وارتحلوا يوم الأحد التاسع والعشرين من محرم، وأقمنا بعده يوماً.

وزرنا – في ذلك اليوم – قبر الشيخ إبراهيم اللقاني([2])، وهو دون البندر في مقبرة هناك، معلم عليه بأحجار، وما عرفناه إلاّ هذه المرة دلَّنا عليه بعض أصحابنا الأفريقيين.

حفاير النخل – ظهر الحمار:

ثم ارتحلنا من العقبة، وسرنا في مسلك ضيّق، بين البحر والجبل، لا يمرّ فيه، إلاّ جمل إثر جمل، كأنه متن السراط، إلاّ أنه غير مستقيم، وقلما يخلو هذا المحل من لصوص، يتعرضون للركب فتشتدّ إذايتهم وتعظم نكايتهم، ولكن ذلك في الرجوع أكثر، ولم نر في يومنا هذا بأساً.

ونزلنا ظهراً بموضوع يقال له: ظهر الحمار، على بسيط من الأرض أحرش مرتفع، يطلع إليه من مسلكين لا يخلو من صعوبة، وتحته على شاطئ البحر أحساء كثيرة، في وسط حدائق نخل، وماء ذلك المحل كله طيب، وقد يسمى ذلك المحل في زماننا هذا حفائر النخل، ويكون فيها في ذلك الوقت رطب جيد([3]).

شرفات بني عطية – عش الغراب:

ثم ارتحلنا منه وخلفنا البحر يميناً، وسرنا يومنا في صعود إلى نحو العصر، فوصلنا إلى موضع يقال له شرفات بني عطّية، وبنو عطية، هم عرب هذه البلاد كلها في هذا الوقت، ويقال لهذا المكان أيضاً عش الغراب.

([1]) ((الرحلة)): ٢/٣٠٠.

([2]) ذكر أنه توفي راجعاً من الحج سنة ١٠٤٠ – ج١ ص١٤٤.

([3]) هذا الوصف ينطبق على حقل، الذي أصبح الآن مدينةً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غريبة:

تزعم العرب أنّ الإبل تنفر في هذا المكان، ويقولون: إنها تسمع صوت صقب ناقة صالح، وأنه في ذلك الجبل، وأن هنالك الصخرة التي دخل فيها لما عقرت أمّه، فالإبل إذا وصلت إلى ذلك المحل تسمع صوت العشار فتنفر.

ولا أدري من أين لهم ذلك، وهو بعيد، إذ ليست هذه ديار ثمود الذين عقروا الناقة، وهم قوم صالح عليه السلام.

أبو العظام:

ثم انحدرنا من الشرفات إلى محل النزول، ويسمى أبو العظام وبه ينزل المصري، ونزلنا به، وتسوقنا بعض نساء العرب بلبن وغيره، وأخبرونا أن من وراء الجبل الذي على يسارنا بلداً واسعاً فيه ماء جار، وأرض مخصبة، وربما عطش الركب في ذلك المحل فيأتيهم العرب بماء يبيعونه.

مغاير شعيب (مدين):

ثم ارتحلنا من هناك وسرنا يومنا في هبوط منحدر مع الوادي، لا نفارقه إلى أن نزلنا في المكان المسمى بمغاير شعيب عليه السلام، عند العصر، وأدركنا هناك أواخر المصري –كما هو شأننا في كل دار – وهي أحساء كثيرة في مضيق بين جبلين فيها نخيل، وماؤها طيب جدّاً حلو خفيف نافع، وتسوقنا بها أعراب مدين بأحمال كثيرة من العنب الجيَّد الأسود، وهو في غاية الحلاوة، وجاءوا برمان كثير، واشترى الناس العنب أولاً بدرهمين، ثم صار بعد ذلك رطل ونصف بدرهم.

ووقعت بين الأعراب عند نزولنا مهارجة، فقتل واحد وارتث آخر.

وبين الموضع الذي نزلنا فيه وبين مدين مسيرة نصف يوم، وهي بلدة على ساحل البحر كثيرة الفواكه والمياه الغزيرة، وسكانها أعراب أهل بادية، وكانت قبل ذلك مدينة(١)، وأخبرونا أن أثر البناء باق فيها إلى الآن. وعلى يسار منزلنا خارج المضيق مغاور يقال: إن فيها كان شعيب يأوي بغنمه، وبإزائه بئر كبيرة معطلة، وبجانبها بركة، ويقال: إن هناك كانت البئر التي سقى منها موسى عليه السلام غنم شعيب

(١) أشار قبل ذلك الأدريسي إلى كون مدين على الساحل، ولا علم لي بذلك وإنما مدين هي مغاير شعيب، وربما يريدون (شرمة) أو الخريبة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه السلام، وفي ذلك الوادي دوم طويل كأنه نخل، صنوان وغير صنوان، وعريش كثير في الوادي، وهو محل مخافة قلَّما يخلص من لصوص الأعراب(١).

عيون القصب:

ثم ارتحلنا من هناك، ونزلنا بعيون القصب، وهو ماء جار، في مضيق بين جبلين، في محل كثير القصب والدّيس، وفي أعلى الوادي نخل وأرض صالحة للحرث قلَّ ما يخلو ذلك المكان من أعراب نزول به، فيكثر الخوف، ويعظم ضررهم، سيما عند نزول الليل، فطلع أمير الركب ومعه الرماة حتى جاءوا أعلى الوادي فبقوا هناك حتى استسقى الناس كلهم، وأخذوا حاجتهم من الماء وروت الإبل، فرجعوا بعد العشاء.

وعلى شفير الوادي عند منزل الركب مسجد مبني بالحجارة المنحوتة ومنبر بإزائه.

المويلح:

ثم ارتحلنا منه، ونزلنا إلى ساحل البحر، ولم نزل نسايره إلى بندر المويلح، ونزلناه بعد العصر، وماؤه كثير، وفيه آبار كثيرة، وبساتين حسنة ونخل.

وهناك حصن كبير فيه عسكر وأمير، وتخزن فيه الميرة والفول كثيراً، وعلى بابه سوق كبير، يوجد فيها غالباً المحتاج.

وفيه مقاثي كثيرة من دلاع وبطيخ وغير ذلك.

وبه مرسى حسنة تنزل بها السفن القادمة من سويس، والقادمة من جدة، ومن القصير))(٢).

ومر بتبوك الشيخ إبراهيم الخياري المدني في سنة ١٠٨٠هـ، (١٦٦٩م) وقال: ((أشرفنا على تبوك المنزل المبارك، وشاهدنا قلعته المبيضة، ورأينا أهل الشام الواردين عليه للملاقاة مع ما معهم من الأمتعة والأسباب التي تعد للبس والكسوة، وما يناسب ذلك من الأزواد وأنواع الحلوى التي يتهاداها الحجاج بعد وصولهم إليها، وأنشدت هذين البيتين بعدما وقع لنا مزيد صفاء وأكيد محبة ووفاء ورخص لأدران السفر وإزالة ما يوجب الكدر:

قصدنا إلى وادي تبوك عشية ... لننشق عرفاً للشام يطيب

فمنذ بها صرنا أرينا محاسنا ... تسلي فتى الأوطان وهو غريب

---

(١) العياشة ١٦٩/١ ورحلة أبي مدين عبد الله بن أحمد الروداني الدرعي المتوفى ١١٥٧ وهو ينقل عن العياشي.

(٢) مقتطفات من رحلة العياشي من ٢٢ حتى ٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم ساق خبر غزوة تبوك وقال بعد ذلك:

((وأما ما يتعلق بنفس المكان المسمى بتبوك، فقد وصلناه ضحوة يوم الاثنين تاسع الشهر فرأيناه وادياً عذب الهواء والماء، متسع الجوانب والأكناف والأرجاء به قلعة عامرة البناء، محكمة الوضع شامخة الرفع مبنية بالحجر المنحوت بين الصفرة والحمرة بناء حسن الإلصاق بحيث لا يظهر ما بين الحجرين لولا الكمال بالنورة، وهي مشتلة على دهليز يقابل الباب في دكة لطيفة وبابها محكم فيه كتابة على قيشاني لفظها: (أمر بتعمير وتجديد هذه القلعة المباركة مولانا السلطان محمد خان غز نصره على يد العبد الضعيف محمد بن الناشف التذكرجي سنة أربع وستين وألف) وبعد الدخول أرض مربعة مفروشة بالحجر وعلى يمين الداخل إيوان معقود وفي الأركان أوضات ومقابل الباب والإيوان صورة مسجد مفروش بالبسط وفيه محراب وفي وسط الصحن صورة بئر يقال: إن ماءها نبع لا من المطر، وبجانبه حوض منقور من الحجر يملأ للتوضي والاستعمال ويشتمل على أوضات أيضاً في الدور الثاني وعلى مسجد غير مسقوف فوق المسجد الأول، هذا صيفي وذلك شتوي، وبأعلاها مدافع كبار يرمي بعضها عند وصول الحاج إلى ذلك المنزل، وقد نقل أهل التاريخ أن بها مسجداً مأثوراً ويقال على ألسنة الواردين: إن هذا المسجد الذي بداخل القلعة هو محل ذلك المأثور والله أعلم، وإلى جانب القلعة من الخارج على يمين الداخل بركتان إحداهما مربعة والأخرى مستطيلة ويقال: إن ماءها ينبع نبعاً من الأرض لا يؤتى به لا بآنية ولا بغيرها من الآلات وهو عذب كما علم وبالقرب من البركة بساتين مشتملة على أشجار عنب وليمون وتين كثيرة داخل البساتين وخارجها وهناك سوق مشتملة على أبنية قديمة ويقابل باب القلعة بناء مربع يقال: إنه معد للضعفاء والمنقطعين هذا ما يتعلق بالمكان وأما من يقدم إليه من الشام الملاقين للحجاج فإنهم يقدمون جماعات كثيرين مضاهين للحج بخيام عظام وعساكر ومدافع وسردار وكان في عامنا هذا موسى بيك ابن التركمان حسن المشهور بالشجاعة وينقلون من الشام كل موجود بها من غيرها فلم ينضج فلم ينقل وأما سائر النقليات والمخللات والأرزاز والحبوب والملابس بأنواعها والفرش الثياب فأمر كثير ويقوم بها سوق عظيم لم تر العين قبله مثله، والحبوب والملابس بأنواعها والفرش والثياب فأمر كثير ويقوم بها سوق عظيم لم تر العين قبله مثله، والحبوب والأجبان والدقيق ويعملون الرقاق الحواري وغيره مما يؤكل والبيض الكثير وما لا يسعنا شرحه)([1]).

وحاجي خليفة في كتابه (جهان) يمتدح من بين منازل الحاج محلة تبوك لكثرة نخيلها ومائها وكثرة الماء بها إنما هو من بركة الرسول صلى الله عليه وسلم ووفقاً لما ذكره حاجي خليفة فإن السلطان سليمان قد جدد القلعة هناك وبنى بركة كبيرة للماء))([2]).

([1]) مجلة العرب ج٣ ص٢ رمضان ١٣٧٨هـ.

([2]) المرجع السابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول محمد أديب: ((إن تبوك تعرف كذلك بعاضي خرما ويحدد المسافة بينهما وبين المنزل المعروف بقاع البسيط باثنتي عشرة ساعة ويقول إن النخيل البري ينمو هناك بكثرة. وأما القلعة والبركة بها فيرجعان إلى عهد السلطان سليمان، ثم يقول: إن في القلعة شجرة تين عظيمة حفر بجوارها عين ماء وفي البركة عين تتدفق بشدة وينبت بالقرب منها أشجار التين والرمان والسفرجل والعنب والباذنجان والبطيخ ويقال: إن في تبوك مسجداً حيث صلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جدده عمر بن عبد العزيز وأمام تبوك يسمى ثنية المدراري كان فيه كذلك مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وبهذه المناطق ينبت البعيثران بكثرة وكذلك الغابات لأن الماء يسيل هناك. وفي البقاع المجاورة فإن العرب يقيمون في أماكن يزرعونها وقليل من أكواخ البدو قد بقى حتى الآن حيث كانت تقوم القرى والحلل قديماً وغير بعيد من هذه المنطقة تقع القرية المسماة بسرغ وجميع هذه الأماكن تابعة للحجاز الذي تقع فيه مكة المكرمة والمدينة المنورة واليمامة ووفقاً لما يذكره الأصمعي فالحجاز اسم للمنطقة التي تشتمل الحرارة فجميع منازل سليم حتى المدينة تسمى الحجاز لأنها تحتجز بالجبال))([1]).

ويعلق موزل: لم توجد مطلقاً ولا توجد الآن أية غابات بالقرب من تبوك ولكن يوجد إلى الغرب والشمال الشرقي كثير من الغضا الذي يكون في هيئة أحراش ترى من بعيد كأنها الغابة الصغيرة ومنذ أنشئت سكة حديد الحجاز أخذت هذه الأحراش تتضاءل فقد كان الغضا يقطع ويرسل إلى المحطات المختلفة على طول الطريق أو كان يستعمل لعمل الفحم الذي ينقل إلى دمشق، وثنية المدراري أو المدار الحديثة الواقعة قريباً من قصير التمرة على نحو من عشرين كيلاً من تبوك، أما منازل العرب فتقوم بالقرب من حديقة الرايس وبالقرب من عين الجرثومة وبالقرب من بير القنا وفي كل مكان إلى الجنوب والغرب من محلة تبوك. أما قرية (سرغ) فتذكرنا بالمنزل المعروف بسرغ الذي يقع على مائة وسبعة كيلاً إلى شمال الشمال الغربي من تبوك([2]).

وينقل موزل عن يوسف الملكي بأن تبوك كانت تسكنها في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) قبيلة الحميد (الحميدات) التي كانت قد هاجرت إلى الشمال ثم عادت بعد فترة قصيرة([3]).

والشعراء يتحدثون عن رحلات الحج كثيراً ويوردون أسماء الأماكن مما جعلها متداولة معروفة ومنهم بدر الدين بن جماعة له قصيدة طويلة دون الأماكن التي عبرها في درب الحاج الشتوي الذي يقترب من

([1]) انظر: المرجع السابق ج٣ ص٣ لعام ١٣٧٨هـ.

([2]) انظر: المرجع السابق ج٣ ص٣ لعام ١٣٧٨هـ.

([3]) أ. موسل، شمال الحجاز ١٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ساحل البحر الأحمر وذكر فيها أيلة وحقل ووادي عفان، ومغار شعيب ووادي النبك، وأرض سلمى، وأزلم، والوجه:

في السطح أمست واستقرّت هنيهة ... وفي أيلة الفيحاءِ كان ضُحاها
إلى حقل سارت والغرام يقودها ... وبين حروف وردُها ومناها
لوادي عَفَان باشرت ثم يَمّمَتْ ... مغار شعيبٍ كي يزول ظماها
وقرت عيوناً بالعيون وراجعت ... وقد طلّقت أجفانُها لكراها
ولا تنس وادي النبك إذ نزلت به ... فروّت وسارت تستلذّ عناها
وفي أرض سلمى سَلّمَتْ ثم يممت ... كفافة تكْيفها شديد صداها
وفي أزلم حلّتْ وقد طاب عيشها ... ومنها إلى الإسطبل سار خُطاها
ومن بعدها جاءت إلى الوجه وارتوت ... وسارت إلى أكرا وطاب هواها(١)

والأرجوزة تفضل الأماكن أكثر:

ياما ترى في حقل من تغليب ... واطلع إلى الجرفين من قريب(٢)

ومن عادة الحاج أن يحمل السلاح إذا أقبل على تبوك كأنهم يقتدون بدخول رسول الله صلى الله عليه وسلم لها في غزوته، يقول الصلاح الصفدي(٣):

أتينا بالسلاح إلى تبوك ... وذلك عادة صارت فسارتْ
دخلناها بإيمان صحيح ... دياجي الشرك منه قد استنارت
لو أنّ جماعة الكفّار فيها اسـ ... تجاشت نحونا وبنا استجارتْ(٤)

والحقيقة أن الحجاج يصلون إلى تبوك بعد رحلة طويلة شاقة من بلاد المغرب ومصر وأقل من الشام، فيعتريهم الضعف وتهزل دوابهم، وتضيق صدورهم، فيرون كل شيء بمنظار أسود مما أكثر هجومهم القولي على البلاد والعباد، وقد وصف الصفدي قافلتهم لما بلغوا تبوك: ((تم قصدنا عين تبوك، والجمال من الهزال كالعنكبوت، وأشباحها كالآل الذي يلوح على بُعد في المهامة والمروت))(٥).

---

(١) الجزيري، درر الفرائد ٢:١٢٩٣.

(٢) انظر الدرر المنظمة ٢:١٢٩٥.

(٣) صلاح الدين الصفدي، أديب مؤرخ عالم له أشهر كتبه (الوافي بالوفيات) مات عام ٧٦٤هـ.

(٤) الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة ٢:١٤٦٠.

(٥) المرجع السابق ٢:١٢٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصفدي يسجل عادة أخرى هي التباكي أو البكاء عند بلوغ تبوك ولست أدري من أين أتت، ولست أدري كيف يقنع العلماء والمثقفون بتلك العادات ويسجلونها وتظهر في مواكبهم ولا يعالجونها:

أقول وفي الركب من براه الـ ـهوى وسواه حين يراه حاكي
إذا جاءت تبوك بنا المطايا (تبين من بكى ممن تباكى)([1])

ويقول في (حالة عمار) قبل أن يصل تبوك بثلاث مراحل:

جئنا لعمار ولم يُبْقِ الأذى فينا بقية ما يُباع ويشترى
فلو ابن عمار رآنا لم يقل: (أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى)([2])

ووادي القرى المشهور في العهد الإسلامي والدولة الأموية يصبح مهامه ومفاوز خالياً من الحياة ومن الناس ومن الماء يصفه الصفدي:

قد جعل الله من تبوك إلى الـ ـعُلا للورى مفازه
راكب تلك الطريق عندي كأنه راكب الجنازة
لكن لطف الإله أضحى لزائر المصطفى إجازه([3])

ويقول عنه أيضاً:

مررنا بوادي القرى ضحوة ودسنا به المهمة الأغبرا
فأمطرنا الله ذاك النهار فكان قِرانا بوادي القرى([4])

ويقول عنه شهاب الدين أحمد ابن أبي حجلة:

رأيت قرى ووادي القرى في مسيرنا وبُنيانها طوبٌ من تحته حجرِ
ولم يبق منها ساكن متحرك وليس بها للعين ماء ولا أثر([5])

([1]) المرجع السابق ٢:١٢٦٠.

([2]) المرجع السابق ٢:١٢٧٢.

([3]) الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة ٢:١٢٦٢.

([4]) المرجع السابق ٢:١٢٧٠.

([5]) المرجع السابق ٢:١٢٧٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول معتبراً بتاريخها وحالها القائِم:

أوادي القـرى هـذي القـرى أيـن أهلهـا ... ومـاؤهم فيهـا الـذي كـان منصّـبا

أظنّـك لمـا أن أكلـت لحـومهم ... شـربت عليهـا المـاء مـن بعـدهم شـرباً[1]

واعتقد أن كل ذلك يعود لجفاف الأمن لا الماء، وانعدام الدولة لا انعدام الإنسان، فقد فقدت تلك الديار الرعاية الأمنية والفكرية بعد الخلافة الأموية أو قبل انقراض الأمويين بعض الشيء، وطالها ما طال الجزيرة العربية من الإهمال الإداري، والاجتماعي والأمني والفكري، لا نقول عن قصد وتبييت نية سيئة وإنما عن عدم وعي وعن بعدها عن مواطن القوي السياسية بدليل أنها لما ظُللت بظلال الأمن، وأحيطت بالرعاية الاجتماعية وقامت فيها المدارس، تغيرت من حالة الفوضى إلى حالة الأمن فالحاج يسعد لما يبلغ تلك الديار.

ويقول الشهاب ابن أبي حجلة في وادي الأُخيضر:

غرقـت طعـامي بالأُخيضـر فاغتـدى ... يكـدر عيشـي رملُـهُ حـين يركـد

فمـا زالـت الزرقـاء يبـيضُّ وجههـا ... ووجهـك يـا وادي الأخيضـر أسـود[2]

والحقيقة إنها مهمة بعيدة عن المياه وتكثر فيها العواصف لخلوها من الغابات، وقد استعاذ منها ابن بطوطة ولكنها في أقل من عشرين سنة تحولت إلى حدائق غناء، ومروج خضر، ومزارع للقمح والشعير، قريبة الماء، سهلة التكلفة، يبلغ قيمة المشروع فيها قبل استصلاحه أكثر من مليون ريال كل ذلك نتيجة قيام دولة راعية للأمن أولاً وللفكر ثانياً، وللبناء ثالثاً فلا حياة بلا نظام وأمن، وقد سعيت جاهداً للحصول على مشروع في تلك الناحية ودعم طلبي الأمير عبد المجيد أمير المنطقة في تلك الأيام ووكيله الأستاذ أحمد الخريصي لكن قريبي وصديقي مدير الزراعة أبى ذلك ومنحت على طريق الأردن فسبحان مقسم الأرزاق.

ووادي الأخيضر يبعد عن تبوك ثلاثين كيلاً ويقول فيه الصفدي:

عبرنـا علـى وادي الأخيضـر عنـدما ... حثثنـا المطايـا واطمأنـت مواكبـهْ

وأحسـبُهُ أن كـان أخضـر إنمـا ... تلظـى بـه صَـبٌّ فجفـت جوانبـه[3]

---

(1) المرجع السابق ٢:١٢٧٠.

(2) الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة ٢:١٢٧٢، ١٢٧٣.

(3) المرجع السابق ٢:١٢٧٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول فيه:

لما ارتقى الرّكب من وادي الأخيضر في ... أمن ومنّ يُغَشَّي كل إنسان

لم نشك في سيرنا ضيماً ولا ظَمَأً ... وصاننا الله أنا ننزل الصّاني([1])

والذي يعبر الأخيضر الآن يلهج بالثناء والشكر للمولى سبحانه وتعالى على هذه النعمة التي أحيت ذلك الوادي، والذي يمثل مفخرة من مفاخر الدولة السعودية في استصلاح الأراضي ورعاية الوطن والمواطن وأعظم مجمع للماء في وادٍ يسمى الآن ((وادي المعظم)) يسيل فيه عدد من الأودية فهو يشبه السّد لأن المياه تستقر فيها زمناً طويلاً فلما حج المعظم أشرف الدين أبو الفتح عيسى بن الملك العادل سنة ٦١٠هـ([2]) أمر ببنائها وسميت ببركة المعظم. وقد زارها الشيخ الخياري عام ١٠٨٠هـ فقال عنها:

((المعظم واد حلو ماؤه، متسعة أنحاؤه، قد اشتمل على قلعة عظيمة محكمة البناء، مبنية بالحجر المنحوت الأصفر المايل للحمرة، وبجانب القلعة من خارجها على يسار الداخل، وبركة ماء مربعة متسعة لم تَر عيني قبلها في الكبر مثلها وربما يبلغ كل من طولها وعرضها مائتي ذراع بذراع العمل تخميناً وحدساً، وهي مبنية بالحجر من جنس ما بنيت به القلعة))([3]).

وقال عنها النابلسي عام ١١٣٤هـ: ((فوصلنا إلى قلعة المعظم بصيغة اسم المفعول، وهي قلعة خراب لا يسكنها أحد من عسكر الشام، ولا غيرهم، وكان لها جماعة من عسكر الشام سابقاً ينظرون فيها، فنقب الأعراب عليهم حايطها، ودخلوا عليهم فقتلوهم، فتركوها ولم يسكنها أحد بعد ذلك.... وهناك بئر ماء فيه ماء كثير... ثم سرنا في ذلك الوادي الوعر الكثير الرمال، وذلك الطريق الضيق المخفوف بالجبال إلى أن دخلنا المكان المعروف بالصاني واد في غاية الصعوبة من كثرة الضيق والأحجار التي فيه والأوعار الصغار والكبار فتضج فيه الحجاج عند الحصول من الطلوع والنزول، فلم نزل فيه سايرين نحو ثلاث ساعات، ودخلنا في مكان تسمية العامة جناين القاضي وهي مكان فيه رمل ووعر كثير، وأشجار الغيلان المشوكة (الطلح) بحيث تعلق الثياب فيفنيها، والأحمال فيلبيها، ويختطف العمايم عن الرؤوس، فيحترز فيه الرئيس والمرؤوس... ثم دخلنا في ذلك الوادي الكثير المضيق، الوعر الطريق حتى مضى من الوقت ثلاث ساعات فوصلنا إلى المنزل المسمى بالأخضر، ويقال له الأخيضر بالتصغير وفيه قلعة متينة البناء، لطيفة الفناء، يذهب في كل سنة إليها جماعة من عسكر الشام ينظرون فيها بركة الماء، خوفاً من الأعراب أن يستقوا منها، وهناك بئر عذب حلو بجانب البركة، وقد اشتهر أن هذا البئر حضره

([1]) المرجع السابق ٢:١٢٧٢.

([2]) المرجع السابق ٢:١٢٧٣.

([3]) الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة ٣:١٦٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخضر عليه السلام تزوره الناس فيتبركون به، ولذا سمي هذا لمنزل بالأخضر أو الأخيضر. وذكر بعض الناس أن هذا البئر الذي هناك في أسفله نهر جاري واسع كبير وأيوانات على حافتيه، وقد شاهد ذلك بعضهم، وقد أخبر هذا الرجل الذي أخبرنا بأنه كان رجلاً شجاعاً فدفع إليه بعض العسكر الذي هناك مائة غرش لينزل إلى هذا البير، فربطوه بحبل وأدلوه إلى البير، فرأى هذا النهر، ورأى هذين الأيوانين، فخرج وأخذ المائة غرش، وأخبر بذلك، وهذه القلعة مبنية في آخر هذا الوادي قبل أن يخرج الإنسان إلى هذا الجانب، وفم هذا الوادي يسمى نقيب الأخيضر، فإذا خرج الإنسان منه فكأنه خرج من تحت الأرض إلى وجه الأرض وهو ثقب مهول تزدحم فيه الحجاج غاية الازدحام من شدة الضيق والوعر والأحجار في ذلك الطريق إلى أن صعدنا إلى فلاة واسعة، وفضاء جوانبه شاسعة... ثم سرنا نحو ساعة في ذلك السهل الواسع، وبركت جمال الحجاج نحو ساعة حتى يتكامل الخروج من هذا النقب النكود والعقبة الكؤود ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى المنزل المسمى بمغاير شعيب ولا ماء فيه فنزل الحجاج هناك ونزلنا معهم إلى أن صلينا صلاة العصر فركبنا وسرنا سير الهوينا إلى أن مررنا نصف الليل على مكان كثير الرمل بحيث يثور فيه الغبار بمشي أخفاف الإبل، وحوافر الدواب الكبار والصغار... ويسمى ذلك الوادي وادي الأثل، وأن غباره يتكاثف فيه فليس له مثل ... .))([1]).

وقال عن تبوك: ((ثم أشرفنا على قلعة تبوك في ذلك السهل الواسع ثم نصبت الخيام بقرب القلعة، ولم نجد أهل الملاقاة من جهة الشام وصل منهم أحد على خلاف العادة، فانحصر الحجاج من ذلك غاية الحصر. هذه القلعة عظيمة البناء، مشرفة الأرجاء، مشرفة على هاتيك الجهات والأقطار، وفيها بئر ماء من أعذب الآبار، ويخرج منه الماء بالدواب والدولاب إلى خارج القلعة والبركة في الخارج، وهي بركة كبيرة واسعة))([2]).

وتستنبط من رحلة النابلسي هذه أن الحاج لم يتعرض لأي اعتداء من القبائل المحيطة بتبوك، وأن المعظم مملوء بالماء، وإن غابات كثيفة من (الطلح) شجر الغيلان كانت تكسو تلك الأودية وأن قلعة المعظم كانت موجودة قبل الحكم العثماني لكن يبدو أن العثمانيين قاموا بإصلاحات فيها لتشابه البناء مع القلاع العثمانية المتناثرة في المنطقة والتي تمّ عمرانها في عام ١٣٢٤هـ كما هو مدون على قلعة الأثيلي التي تقع على الطريق للمعظم من تبوك.

وبركة المعظم ما زالت محتفظة بشكلها العام وهي أشبه بسد صغير غير أن الطمر من الأتربة أخذ يتكاثر فيها. وطريق الحاج انحرفت عنها لأن الدرب البري المعبد اتخذ مساراً شرقياً ليمر بتيماء.

([1]) النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ٤٨٣، ٤٨٤. والمؤلف أشار إلى مكان يسمى (مغاير شعيب) وهذه التسمية تطلق على تلك الآثار في مدين (البدع الآن).

([2]) المرجع السابق ٤٨٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبركة المعظم تستحق أن يبني فيها سداً ضخماً، يؤدي إلى استقرار البادية، وإلى إعادة الغابات التي انقرضت وإلى تشجيع المزارع.

ونستنبط أن تبوك في هذه السنة لا أهمية لها فكان الكثير من أهلها مرتحل عنها إمّا للحروب أو هجرتها القبائل لمتابعة مساقط المطر ومنابت الكلا، لأن النابلسي لم يتحدث عنها ولا عن عمرانها ولا مزارعها ولا تجارتها.

وأكثر من فصّل المراحل حول تبوك الزياني في سنة ١٢٠٨هـ وذكر (عنيزة وعيون معان والعقبة – هي غير المدينة وإنما هي عقبة يتخللها الآن الطريق البري – والمدورة وهي قريبة من حالة عمار وكانت مركزاً للحدود الأردنية ولا زالت قريبة من حالة عمار وذات الحاج، والبوغاز الوعر – وهو مكان تحت الجبل يخترقه القطار، والدار الحمراء، ومداين صالح البئر الجديدة – وتسمى الجديدة)([1]).

وقد سجل الرحالة تشارلز دوغتي سنة ١٢٩٣هـ الأماكن التي يعبرها الحجيج فذكر (معان – بطن الغول – المدورة – ذات الحاج – تبوك – وادي المعز – الأخضر – الدار الحمراء مداين صالح – العلا)([2]).

وهذه الأماكن لا زالت معروفة ومحتفظة بهذه المسميات.

وفي أواخر العهد العثماني أعلن السلطان العثماني الرغبة في مد خط حديد الحجاز وقامت عدد من الجمعيات لجمع التبرعات، ثم فرضت ضريبة على كل حاج في نفس العام واستمر العمل فيه لمدة ثماني سنوات وتتبع المراحل التي يمر بها طريق الحاج الداخلي أو الشامي الذي يمر بمعان والمدورة وذات الحاج والمعظم وقد وصل أول قطار للمدينة المنورة عام ١٣٢٦هـ. وقد قامت في تبوك ورشة لهندسة القطارات ودليل على أهميتها فإن الورش لم تُقم إلا في درعا ومعان وتبوك.

وقد كانت تبوك تستقبل كبار الولاة والأمراء وربما نالها بعض الإصلاحات منهم وقد زاد من أهميتها أن حجاج مصر اتجهوا إلى الخط الداخلي بعد أن سار القطار من الشام إلى المدينة المنورة وأقام فيها إسماعيل باشا عشرة أيام. واستمرت أهمية تبوك بعد انقطاع الخط الحديدي وتدميره.

حيث أولت الحكومة السعودية درب الحاج رعاية خاصة فرصفت الطريق البري الممتد من المدينة المنورة ماراً بتيماء إلى تبوك وكان من أوائل الخطوط المعبدة في المملكة، وكانت تبوك البوابة الرئيسية لاستقبال الحجاج من بلاد الشام وتركيا ومصر، وكانت تقام أسواق خاصة في تبوك للحجاج وفيها التبادل التجاري حيث يحمل الحجاج معهم كثيراً من البضائع ويشترون كثيراً، وأقامت الدولة السعودية مدائن للحجاج، ومراكز للصحة ومراكز اتصالات، وإسعافات أولية، ومراكز أمنية.

([1]) انظر: الزياني، الترجمانة الكبرى ص١٨٦. بتصرف.

([2]) انظر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص١٧٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هاجس أمن الحج في الشعر

وأنت ترى أن هاجس الأمن للحج يتفاعل في ضمير الدول الإسلامية منذ العصور الأولى، وذلك لفقد أُسس المقومات له في الجزيرة العربية ومنها الأمن الشامل، فالدول تعرض عن الأرض والحياة البشرية لها إلا في زمن مخصوص هي أيام الحج فحسب، والدويلات الصغرى التي تحكم فيها يكون همها في المدن مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة وكل منهما تستقل فيها دولة قائمة بذاتها، أو تظهر بعض الولايات، أو الإمارات في الإحساء أو الإمارات القبلية على الأطراف، ودرب الحاج يفتقد الأمن الذي يظل بظلاله الناس، وما دام افتقدوا الأمن وعاشوا في صراع قبلي، وفتك بهم الجوع مما جعلهم يعترضون القوافل التجارية، أو قوافل الحجيج، وفقدان الإصلاح العمراني، والأمني وإيجاد عوامل الاستقرار يؤخذ على الخلافة العباسية. سيما أن جذوره بدأت من عهد الرشيد حيث الاعتداء على قافلة حجه، ولأن العباسيين لم يتعهدوا الجزيرة مهبط الوحي بما ذكرنا بل اندثرت معالم قرى كثيرة ظهرت في عهد الخلافة الراشدة وخلافة بني أمية. فلو عملت الدولة على استتباب الأمن لتولد الاستقرار والاستقرار يبني الفكر والفكر ينشر الإيمان والوعي.

وكتب الرحلات تدعو بالويل والثبور على تلك القبائل وأصحابها يتنعمون في معية المحامل المحمية، ولم يفكر كل من الشامتين ولا المسؤولين عن قيادة الحج ولا الدول الكبرى في كيفية القضاء على تلك الظاهرة المستديمة، وإنما رضوا بالاسترضاء المؤقت للقبائل على دروب الحج، وتعهد إليهم بحماية قوافل الحجاج بجعل معروف، يدفع لهم، وزيادة في الحيطة والحذر فإن قيادة عسكرية تصحب (محامل الحج) وكثير ما تتعرض تلك للنهب والسلب فقد انتزعت بعض القبائل ثياب الكعبة المشرفة من المحمل المصري، ولم تفد (الصرة)([1]) التي يدفعها المماليك والعثمانيون للقبائل، لأن موجات القبائل الجائعة التي تصارع من أجل لقمة العيش لما ترى الثراء والمال فلا قدرة لها على امتلاك نفسها. ذلكم ما يتعرض له المحمل المدجج بالقوة العسكرية، فكيف بجموع المسلمين الذين يعبرون في قوافل صغيرة أو الذين يقطعون البيد سيراً على أقدامهم، ولا يملكون راحلة ولا مالاً ولا أمتعة، وهم يشبهون رجال القبائل في الفقر مما جعلهم في منجاة منهم، ولكن أين هم من مهالك الطرق، ومن وحوشه وسباعه، وبرد الصحراء وحرها. وكانت القبائل تطلق على هؤلاء (الدراويش) وهم من الصوفية فهم الذين يعذبون أنفسهم ويحتملون مثل هذا.

ولما جاء العهد السعودي في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وأدرك الملك عبد العزيز يرحمه الله، ويرحم رجاله وبطانته الخيرة. أن معالجة الأمر على النهج القديم لا ثمرة له، فلم يعط (صرة) أي مالاً

([1]) في العهد المملوكي يسمى الدوك، وفي العهد العثماني يسمونها ((الصرة)).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للقبائل، وإنما أعلن الأمن أولاً، الأمن الشامل، فمن تعرض لإنسان من الداخل أو الخارج فالقصاص المباشر، أو حدّ الحرابة أو حدّ السرقة، فكان الأمن، ولو وقف عند هذا الحد لكانت المدة الزمنية للأمن محدودة وإنما بادر إلى القضية الكبرى، وهي الاستقرار فبناء الهجر قرب مواطن القبائل فاستوطنتها، وأقام البناء الفكري مصاحباً للتهجير وأسس المدارس، ومن تعلم حرفاً، عليه أن يعلمه لجمع من الناس، فانتشر التعليم في نواحي الجزيرة، وعمّ الأمن والاستقرار، ونما الفكر والوعي، فأصبح الحاج في أمن وسلامة، وخدمة وحماية، وحب وكرامة، وكأن الشعراء من الأقطار الإسلامية يذهلون أمام الواقع الجديد فيسجلون إعجابهم بهذه الفضيلة الكبرى، ففي حج عام ١٣٤٩هـ يسجل الشاعر المصري أحمد محمد الكناني:

عبد العزيز نشرت الأمن في بلد ... كانت نفوس البرايا فيه تنتهب
وقد أقمت حدود الله معتمداً ... على العدالة فارتاعت لها العصب
إذ ما رعوا حرمة البيت الحرام ولا ... خافوا الإله ولم تردعهم النوب
فأنت الذي لولاك ما أمن الـ ... حجاج بل أنت في الراحة السبب
صنت البلاد بعين منك فاعتصمت ... ممن يظنونها نهباً لهم نهبوا(١)

والشعراء من السعودية أخذوا يتغنون بظلال الأمن سيما أولئك الذين عايشوا اضطرابه والرعب المصاحب له، وعاشوا ظلاله الوارفة وأشهر أولئك الشاعر أحمد الغزاوي الذي يزخر ديوانه بسجل حافل لأعمال الخير: يقول في حج ١٣٥٢هـ أي بعد عام واحد من توحيد البلاد:

فمن كان من قبل السعود وبأسه ... يُطيق بلوغ الحج دون تزلزلِ
ومن كان يستطيع المناسك آمناً ... على نفسه ما بين جمع وجرولِ
ومن كان في الرؤيا يُصدّق أنه ... يروح، ويغدو في أمان مخوّلِ
ومن كان يمضي في (الجزيرة) وحده ... بأزواد تبرٍ في سلام ممثلِ
ومن كان يأتي للحجاز وقلبه ... يُرجّى نجاة: من حمام مُعجّلِ
ومن كان لا تُغري الثياب بحتفه ... ولو هي ساوت نصف حبة خردلِ(٢)

ويحج الشاعر العراقي محمد رضا الخطيب عام ١٣٥٤هـ فيذهل من الواقع الأمني ويسطر ذلك في قصيدة طويلة منها: يخاطب فيها الملك عبد العزيز رحمه الله:

---

(١) أم القرى ع٣٣٣ في ١٣٤٩/١٢/١٣هـ.

(٢) أم القرى ع٤٧٤ في ١٣٥٢/٩/٢٦هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد وجدت فيك الجزيرةُ سيداً ... علاها على رغم الأنوف وسادها
وكانت مواتاً قبل ذاك وإنما ... أبو فيصل نحو الحياة أعادها
ليجعل فيها الأمن والعدل ظاهراً ... ويمحو بآيات الصلاح فسادها
بأحكامه للشرع جاء معززاً ... وتلك من الذكر الحكيم استفادها(١)

والغزاوي يلح على الحجاج بأن ينشروا ما رأوه من الأمن في بلادهم وأن يذكروا الحقيقة. يقول من قصيدة في حج عام ١٣٥٠هـ:

نضحي في سبيل الله عنكم ... وندفع عن مصالحكم ذئابا
نذكركم وفي الذكرى انتفاع ... بحق يصدع الصم الصلابا
وقولٍ من صميم القلب فصل ... تطامن بالمودة واستطابا
حللتم في مغانينا سروراً ... ونلتم من أمانيكم رغابا
بأمن لا نظير له بأرض ... وعدل يوسع الجاني عقابا
وكان الجمع قبل اليوم يخشى ... من الفرد المناهل واليبابا
فهل حدثتموا بالصدق عما ... رأيتم: أم أحالوه أرتيابا(٢)

(١) أم القرى ع٥٨٨ في ١٣٥٤/١٢/١٩هـ.
(٢) أم القرى ع٣٨٣ في ١٣٥٠/١٢/٧هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

تبوك المعاصرة

- التنظيم الإداري.
- أمراء تبوك.
- التطور العمراني.
- التطور الزراعي.
- التطور التجاري.
- الإدارات الحكومية.
- الحياة الاجتماعية.
- الجمعيات الخيرية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التنظيم الإداري

الأجهزة التنفيذية في تبوك، ومنطقتها، قد واكبت النمو الإداري في المملكة، وأخذت تتنامى قدرات الإدارات، وهياكلها، وتكوينها، ويُسرع في افتتاح وإنشاء أجهزة تنفيذية أخرى كلما دعت الحاجة إلى ذلك وقد تكاملت الإدارات الحكومية في تبوك؛ فهناك الإمارة تأسست عام ١٣٤٦هـ، والمحكمة الكبرى تأسست عام ١٣٥٤هـ، والمديرية العامة للشرطة، ومديرية البلدية، مديرية الدفاع المدني، إدارة المرور، إدارة السجون، إدارة مكافحة المخدرات، فرع وزارة العدل الجوازات، الأحوال المدنية، إدارة التعليم للبنين، إدارة تعليم البنات، المديرية العامة للشؤون الصحية، الأشغال العامة، مكتب العمل والعمال، الخطوط السعودية، مكتب اتصال وزارة الداخلية، الاتصالات السعودية، البنك الزراعي، مديرية الزراعة والمياه، ديوان الخدمة المدنية، رعاية الشباب، مكتب مكافحة التسول، الضمان الاجتماعي، مؤسسة النقد، صندوق التنمية العقارية، بنك التسليف السعودي، المباحث العامة، الاستخبارات العامة، فرع وزارة التجارة، الغرفة التجارية الصناعية، إدارة المطبوعات، هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التأمينات الاجتماعية، فرع وزارة المالية والاقتصاد الوطني، الأوقاف، إدارة الطرق، مركز المعلومات، إلى جانب الجهاز الإداري الضخم الذي ينظم تنفيذ الإدارة في المدن العسكرية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمراء تبوك

بعد أن توحدت البلاد في ظلال العهد السعودي بعث الملك عبد العزيز رحمه الله بأول أمير هو:

١- محمد بن شهيل ١٣٤٦هـ، وقد استوطن قلعة تبوك وهي الدار ومقر الإمارة.

٢- عبدالله القنب.

٣- محمد الحميد.

٤- سليمان بن سلطان.

٥- سليمان ابن خرينق.

٦- الأمير سعود بن هذلول آل سعود.

٧- عبدالله السديري.

٨- عبدالله بن محارب.

٩- الأمير خالد السديري.

١٠- الأمير مساعد السديري.

١١- سليمان تركي السديري.

١٢- صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود.

١٣- صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبد العزيز آل سعود.

١٤- صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود.

وهؤلاء وغيرهم من رجالات الدولة خدموا المنطقة خدمة بارزة وقدموا العطاء وبذلوا الجهد. غير أننا نتحدث عمن رأينا لهم أثراً كبيراً وواضحاً في تبوك ومنطقتها وهم:

الأمير خالد أحمد السديري:

تسلم إمارة تبوك في عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م وخالد السديري رجل له مكانته لدى الأسرة السعودية الحاكمة وقد استطاع بحنكته وحكمته أن ينال رضا الأهالي والقبائل المجاورة، ومن المحامد التي تؤثر له تشجيعه للهجرة من البادية إلى الحاضرة عن طريق إلحاقهم بالوظائف الحكومية وتوزيع الأراضي السكنية وافتتاح المدارس.

وفي عهده تطورت مدينة تبوك وانتقلت من قرية صغيرة إلى مدينة نامية حيث قام بتخطيطها وتوزيعها، ومن الأحياء التي رأت النور في عهده الخالدية وسميت باسمه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويمتاز تخطيطها باستقامة مساراتها وتناسقها، وكذلك المنشية، وبنى دار الإمارة القديمة الذي عُوض بمبنى حديث، ومن آرائه أن تكون مدينة تبوك قاعدة عسكرية لتوسطها وربما استلهم الفكرة من أن مدينة تيماء كانت أول خط تموين وحماية يدعم الجيوش الإسلامية في عهد أبي بكر رضي الله عنه نظراً لتوسطها وبعدها عن الحدود المباشرة.

وقد أنصف صاحب أرض الأنبياء الأمير خالد حين قال فيه: (وإلى خالد هذا تدين مدينة تبوك بما تتمتع به حالياً من تقدم وثراء نسبي). وفي عهده تم افتتاح أول مدرسة أهلية لتعليم البنات عام ١٣٦٩هـ وظل أميراً حتى انتقل وزيراً للزراعة عام ١٣٧٦هـ ثم أميراً لنجران حتى توفي في عام ١٤٠٥هـ رحمه الله.

الأمير عبد المجيد بن عبدالعزيز:

ولد بمدينة الرياض في عام ١٣٦٢هـ وتلقى علومه الأولى بمعهد الأنجال بالرياض وتربّى تربية إسلامية على أيدي كبار العلماء، وقد سمع ورأى من مدرسة والده العملية وهو على قدر كبير من الثقافة والمعرفة والوعي والحكمة والأناة يتسم بالوقار وهدوء الطبع عُين أميراً لمنطقة تبوك في عهد الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله حيث صدر المرسوم الملكي في ١٤٠٠/٥/٢هـ.

وبتوليته الإمارة شهدت تبوك عهداً جديداً حيث قام بتقديم الخطط الفعالة لتطوير المدينة وقنع بها المسئولون في الدولة الرشيدة وأخذت تدعمه، ونفذت كثيراً من الطرقات الفسيحة داخل المدينة وعند مخارجها والطرق التي تربطها ببعض من مدن المنطقة، وقامت كثير من المتنزهات والنوافير والمعالم الجمالية. وشُيدت الأسواق التجارية، وأنشئت عدد من الجمعيات الخيرية والجمعيات التجارية والزراعية، وظل يواصل مسيرة التقدم والتطور ويتعهد مدينته تبوك التي يعشقها ويحبها ويميل إليها حتى بعد انتقاله إلى إمارة منطقة المدينة المنورة في ١٤٠٦/٥/١٥هـ.

الأمير ممدوح بن عبد العزيز:

ولد في مدينة الرياض عام ١٣٦٠هـ وتلقى تعليمه في مدارس الأنجال، وصحب والده وأخذ عنه، ثم واصل تعليمه حتى تخرج من الجامعة عام ١٣٩٧-١٣٩٨هـ ثم التحق بالدراسات العليا ونال درجة الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز بجدة قسم التاريخ، وسجل رسالة الدكتوراه في جامعة الإسكندرية بمصر.

تولى إمارة منطقة تبوك بموجب المرسوم الملكي المؤرخ في ١٤٠٦/٥/١٨هـ وقد تولى تنفيذ المشاريع، وبادر إلى معرفة الشرائح الاجتماعية والتقى بفئات الأهالي فجعل يوماً للقاء المفتوح، وآخر للجامعيين،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وآخر لرجال الأعمال وأصدر تعميماً بالتزام اللغة العربية الفصيحة والصحيحة في جميع الرسائل الرسمية مما أحدث توعية لغوية.

قام بتأسيس بعض الجمعيات وقام بزيارات وجولات متعددة على المدن التابعة للمنطقة، وله كثير من الطموحات التي دأب على تنفيذها، ثم صدر القرار بانتقاله إلى مجلس الوزراء برغبة منه.

الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود:

ولد في مدينة الرياض عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م وتلقى تعليمه في مدارس مهد العاصمة النموذجي. والتحق بجامعة الملك سعود ونال درجة بكالوريوس في التاريخ عام ١٣٩٠-١٣٩١هـ، وعمل في وزارة العمل مديراً الإدارة والبحوث ثم مدير عاماً للرعاية الاجتماعية، فوكيلاً للوزارة لشؤون الرعاية الاجتماعية.

ولما باشر العمل في منطقة تبوك أميراً لها قام بجولات تفقدية على الإدارات الحكومية هادفاً إلى معرفة القدرات والإمكانات ورفع مستواها وباحثاً عن أوجه النقص ليمد يد العون والمساعدة مولياً المشاريع كل جهده وطاقته ودعمه المتواصل. وقد عمد إلى وضع خططاً لتطوير تبوك ومنطقتها وقد تبين له الأمور الآتية:

- التقدم والبناء والتطور الذي شهدته المنطقة مع مثيلاتها من مدن المملكة يحتاج إلى قدرات إدارية لتحفظ له البقاء والثبات وربما فاقت البناء والتأسيس مثل إيجاد ما يحمي الأحياء القائمة من المصارف الصحية ويحل قضيتها غير المستعصية، وقد وعد سموه بسرعة إنجازها وما لبث أن صدر أمر سامي بتنفذ المشروع وهو الآن في حالة التنفيذ.
- وكذلك تواصل التقدم العمراني الذي تتنامى الحاجة إليه في تبوك ومنطقتها أمر له دوره الفعال، ومسؤولية الكبرى من حيث التخطيط أولاً ثم التنسيق، وإيجاد الموارد.
- وتبوك مزرعة المملكة العربية السعودية في منطقتها الشمالية والجميع في بلادنا يدرك بحمد الله ما تحتاج إليه الزراعة وما هي إلا كبرى مسؤوليات الأمير فهد بن سلطان في المنطقة ولن يكتب لها الازدهار إلا بتعهد سموه لها وإنشاء العوامل المساعدة للتقدم الزراعي والصناعي.
- والمواصلات التي رغم ما بذل فيها وما تم إنجازه في المنطقة فالضرورة تحتم إيجاد الطرق الزراعية وبعض الطرقات التي تخدم القرى والأهالي واعتقد أن وزارة المواصلات لديها الدراسات المستقبلية لحاجة المنطقة. وقد امتدت الطرق الفسيحة المزدوجة من داخل تبوك إلى الطرق الطويلة بما يقارب خمسين كيلاً في اتجاهي المدينة المنورة وحالة عمار.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- والفرد والمجتمع قد نالا حظاً وافراً من الرعاية التعليمية بقيادة خادم الحرمين الشريفين وتنفيذ الأميرين الجليلين السابقين، ولكن حتمية التعليم المستمر وسياسة التطور التي تسعى الدولة جاهدة لتحقيقها وتواصلها تستدعيان قيام بعض المرافق التعليمية مثل إيجاد بعض الكليات النظرية والتقنية لتعمل على تكوين الفرد القادر الذي يسهم في تكوين التنمية وبناء الحضارة، وإنا لننتظر مساعي سمو الأمير فهد ليكمل البناء.

وقد رأى سموه أن المنطقة في حاجة إلى افتتاح نادي أدبي يرعى الفكر والأدب في المنطقة وكذلك ضرورة إيجاد فرع لجمعية الثقافة والفنون.

- وقد أنشأ الأمير انطلاقاً من اهتمامه بالعلم وطلابه (جائزة التفوق العلمي) التي سميت باسمه (جائزة الأمير فهد بن سلطان للتفوق العلمي) حيث يعطي جوائز قيمة للبارزين والفائقين من طلاب العلم وطالباته في جميع المراحل الدراسية ويقام حفل سنوياً تحت رعاية الأمير، ويُدعى إليه جمع كبير من العلماء والأدباء، ورجاء الصحافة، وتُقام الندوات والمحاضرات في أسبوع الحفل.
- كما اعتنى سموه بالزراعة فوضع جائزة للمزارع المثالية التي تطبق نظم الزراعة الحديثة بدأت من عام ١٤١٣هـ.
- وقد استكمل ميناء ضبا في عهده، وتم افتتاح عدد من المشافي في أملج، والبدع، وضباء والوجه.
- وقد أولى الساحل رعايته سيما ساحل حقل لأهميته السياحية.
- وقد أسست في عهده مكتبة نسائية عامرة بالكتب.
- وفي عهده قام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بزيارة لمنطقة تبوك عام ١٤٠٨هـ، وقد لبست مدينة تبوك أبهى حللها، فزُينت بأقواس النصر، وتلألأت بالأنوار ذات التشكيل الهندسي والجمالي. واستقبله الأهالي في ردهات المطار وعلى الطرقات، وأقاموا له مهرجانا ضخماً في المدينة الرياضية في تبوك وخلال تلك الزيارة استقبل خادم الحرمين الملك فهد رئيس جمهورية اليمن علي صالح في مطار تبوك.

وفي غرة جمادى الأولى عام ١٤١٣هـ زارها الملك الحسن لثاني ملك المغرب، وجعلها المحطة لمنطلقه السلمي للتضامن العربي وتضميد الجراح بعد كارثة حرب الخليج عام ١٤١١هـ، فانتقل إلى عمان عاصمة المملكة الأردنية ثم عاد إلى تبوك، وقام بزيارة لدمشق عاصمة سوريا، وكرّ راجعاً إلى تبوك ثم قام بزيارة إلى مصر وتكللت مساعيه بتقارب بين أقطار العالم العربي، وإطفاء شعلة الفرقة والتباعد.

ومقام الإمارة في تبوك ومنطقتها جهاز متكامل يشرف على التنفيذ الإداري والإصلاحي واستقرار الأمن وتنفيذ المشاريع وقد أولته الدولة الرعاية المتواصلة وعهدت إليه برجال قاموا بحمل الأمانة، وقدموا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خدمات جليلة للمنطقة والأهالي ومن هؤلاء سعادة الأستاذ أحمد الخريصي وكيل الإمارة الذي بذل جهداً مشكوراً ولا زال وقد عمل زمناً طويلاً في إمارة منطقة تبوك.

ومن أوائل الإدارة الحكومية تأسست المحكمة الشرعية عام ١٣٥٤هـ. وتطورت المحكمة حتى ضمت الآن عدد من الشباب الذين نأمل فيهم خيراً كالقيام بالوعظ، والإرشاد، والتوجيه العام فضلاً عن القضاء الشرعي.

ثم إدارة الشرطة، ثم الدفاع في عام ١٣٥٦هـ ويسمى الجيش النظامي ووزارة الدفاع الآن وهو من أعظم عوامل التطوير في مدينة تبوك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التطور العمراني

النهضة العمرانية التي أطلت تباشيرها عام ١٣٥٠هـ والتي تلألأت بفعلها المدن في أرجاء الجزيرة العربية بفيض من عطاء بلادنا والحمد لله وتعاون الأشقاء وتآزرهم وتعاضدهم، تلك النهضة كان لتبوك ومنطقتها النسبة المعادلة مع شقيقاتها من مدن المملكة العربية السعودية ونحن نستقرئ التطور المتواصل لمدينة تبوك من خلال الواقع الذي تزدهر به تبوك. فقد تميزت تبوك بأهمية خاصة في العهد السعودي وكان لتناميها علاقة حميمة مع التطور الكبير لقواتنا المسلحة بقيادة الدولة الرشيدة، وتنفيذ صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام والنائب الثاني لمجلس الوزراء، فإن هذا الرجل لم يفض عطاؤه وخيره على المدينة العسكرية ورجالها فحسب ولكن زياراته المتتابعة لمدينة تبوك كان لها الأثر الأكبر على تطور المدينة، ولا سيما أن سموه رعاه الله أخذ يتعد تبوك من عام ١٣٨١هـ الأمر الذي جعل له مكانة خاصة بيت أهالي تبوك.

وكان إشراف سموه وتنفيذه لبناء المدينة العسكرية في تبوك وما صحبها من حركة تجارية وعمرانية وتقنية، كانت عوناً كبيراً في تقدم مدينة تبوك وأزهارها، فالمدينة العسكرية والقاعدة الجوية ومدرسة المدرعات، وغيرها من العمران الذي يلحق بالمدينة العسكرية جعلها درراً تتلألأ في أفق سهل مدينة تبوك، فهي مدينة كبيرة قائمة بذاتها مزدهية بحدائقها، رائعة بجمالها، تجوبها المسارات ذات التخطيط الجميل وتحلق في سمائها معالم جمالية، وتصطف في معابرها أطايب الأزهار وأروع الأشجار يتخللها النخيل المصحوب بالرعاية التقنية.

أحياء تبوك:

١- البلدة القديمة: ومنها القلعة وما حولها من مبان كانت تُبنى من الحجارة والطين ومن معالمها (مسجد التوبة) الذي صلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيه، وفيها العين المباركة، إضافة إلى القلعة المشهورة وتتخللها جادة سمو الأمير فهد بن سلطان أسواق تبوك القديمة. وكانت أسواق المواشي قريباً من القلعة، وقد أدركت ذلك. يليها من الشرق الأسواق التجارية الأخرى وعند طرق الأسواق من الجهة الشرقية الجنوبية قام مبنى الإمارة، وقريباً منه إلى الشرق مسجد الملك سعود وإلى الجنوب من المسجد قصر الأمير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- أم درمان (النزهة). ٣- الجُديدة: حيان صغيران تكثر فيهما المباني القديمة من الطين، ويبدو أنهما أول حيّين بعد البلدة القديمة، وربما أنهما مساكن لمن يعمل بسكة الحديد، وصيانة محطتها، وحراسة المنشآت فيها وأسر الحامية التركية.

٤- المنشية: وهي الحي الحديث في تبوك القديمة ويمتد من شمالها الشرقي إلى جنوبها الشرقي، وقام الأمير خالد بن أحمد السديري عام ١٣٦٩هـ بتوزيع الخالدية التي سميت باسمه وهي ذات تخطيط منظم تقع جنوب البلدة القديمة وتبلغ مساحة هذه الأحياء ٦كم,٢

٥- حي العزيزية: حي العزيزية يمتد بمحاذاة السكة الحديدية من الشرق وينقسم إلى قسمين العزيزة القديمة من الجهة الشمالية، والجديدة من الجنوبية.

٦- حي المنتزه: بجانب الهضبة جنوب الخالدية.

٧- حي الشيخ: نسبة للشيخ (صالح التويجري) الذي مكث قاضياً في تبوك ٢٦عاماً.

٨- حي البساتين: يقع في جنوب غرب تبوك، وهذه الأحياء نشأت على أنقاض بساتين ومزارع نخيل على مساحة ٧كم٢ تقريباً. وهي أحياء شعبية لا تخطيط لها مزدحمة بالسكان، غير أن البلدية أخذت تُعنى بها أخيراً.

ثم انطلقت النهضة العمرانية في عام ١٣٩٥هـ وزاد من وهجها تبني الدولة لها بتوزيع قروض الإسكان (البنك العقاري) الذي يدفع لصاحب الأرض دفعة أولى فإذا ثبتت جدّيته على مواصلة العمران فيدفع إليه قسطاً أكبر وهكذا يتزامن الدفع مع البناء حتى يكتملا ثم يعيدها المواطن على أقساط مريحة لمدة خمسة وعشرين عاماً. وقد ضاقت الأحياء القديمة بالسكان، فوزعت البلدية أراضي سكنية.

٩- هي حي الفيصلية: التي تمتاز بسعة أراضيها ٣٥×٤٠ تقريباً والفيصلية كونت ثلاثة أحياء تمتد من الجنوب إلى الشمال ومقسمة إلى (أ - ب - ج).

١٠- حي المهرجان: ويسمى بذلك لقيام الاحتفال الكبير لاستقبال الملك فيصل رحمه الله لما زار تبوك عام ١٣٩٣هـ من الأحياء التي وُزِّعت أراضية منحا وينقسم إلى (أ) و(ب) ويتوسطهما حديقة الملك عبد العزيز الكبرى التي أنشئت فيها المكتبة النسائية.

١١- حي سلطانة: الذي وزع على منسوبي الدفاع، فسميت باسم وزير الدفاع سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز، وهي في الجهة الشرقية.

١٢- حي السليمانية: بمحاذاة سلطانة إلى الشمال.

١٣- حي الورود: إلى الشرق وهو أحدث الأحياء، وتبلغ المساحة الكاملة للفيصلية وحي المهرجان وحي سلطانة، والسليمانية والورود ٣٠كم,٢

١٤- حي السعادة: في الجهة الغربية من تبوك القديمة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٥- حي الصناعية: في الجهة الغربية من تبوك القديمة جنوب حي السعادة ومساحة حي السعادة والصناعية ٥كم,٢

١٦- حي النهضة: على طريق ضبا في الجهة الغربية من تبوك ٤كم٢.

١٧- حي الصالحية: يسير امتداد لحي الفيصلية يفصل بينهما طريق حالة عمار وهي الجهة الغربية وفيه الأسواق المركزية للخضار والفواكه ويحده من الغرب خط السكة الحديدية ومساحته ٤كم,٢

١٨- حي العليا: يقع جنوب تبوك قريباً من المدينة العسكرية والمطار، وهو أحدث الأحياء وتبلغ مساحته ٤كم٢ تقريباً.

١٩- حي المصيف: الممتد شرق طريق حالة عمار وبمحاذاته من الغرب حيان جديدان وقد رصفت طرقاتها ووضع عليها القار وتمت الإنارة وقد بدأ العمران فيها وتبلغ مساحتها جميعاً ١٢كم٢.

الأحياء الشعبية التي قامت على أنقاض بساتين زراعية:

٢٠- حي الرحيل.

٢١- حي الشيخ كريم.

٢٢- حي أبو سبعة.

٢٣- حي الرويعيات.

وهذه بطون من قبيلة بني عطية لهم مزارع في تلك الأراضي قديماً وحولوها إلى مساكن وسميت بأسمائهم. والأحياء متجاورة في الجهة الغربية الجنوبية لتبوك وقد رصفت شوارعها ووضع عليها القار، وأنيرت طرقاتها وتبلغ مساحتها ٦كم٢.

٢٤- المدينة الصناعية: وأسواق الأنعام في الجهة الشمالية الغربية من تبوك تبتعد عنها قليلاً، قريباً من (دمج) وتبلغ مساحتها ٥كم٢.

ونحن إذا أضفنا المخططات التي بدأ فيها العمران المصيف والحيين المحاذيين له ومساحتهما ١٢كم٢ فإن مجمل المساحة العمرانية ٨٣كم٢ فإذا ضممنا إليها المساحة العسكرية التي تحتل المنشآت فيها ٣٠كم٢ تقريباً فإن المساحة العمرانية في مدينة تبوك كاملة ١١٣كم٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إسكان قوى الأمن الداخلي بتبوك:

في ظلال حكومة خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين ورعايتهما للفرد السعودي ولا سيما حراس الأمن ورجاله فإن إنجازات الخير تتوالى لدعم قوات الأمن الداخلي بتسخير الوسائل المادية لدعم القوة البشرية ولتكون عوامل مساعدة لها لتأدية واجباتها ومسؤولياتها.

ووفقاً للتوجيهات السامية فقد قام صاحب السمو وزير الداخلية وسمو نائبه بتنفيذ برنامج الإسكان استجابة لاحتياجات الأمن في ربوع البلاد وليكون وسيلة رئيسية لتجسيد سياسة وزارة الداخلية لدعم النواحي الاجتماعية والتعليمية.

ويعتبر مشروع إسكان قوى الأمن الداخلي بتبوك أحد المشاريع التي تم إنجازها حديثاً وسيوفر هذا المشروع إسكاناً لحوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة نسمة في ٥٧٦فلة سكنية. يقع المشروع على مدخل مدينة تبوك من الجهة الشمالية قرب مدينة الملك فهد الرياضية وتبلغ مساحة الأرض المخصصة للمشروع مليون متر مربع، شيد المشروع على جزء كبير منها كمرحلة أولى. وقد وزع المشروع الذي تبلغ مسطحات مبانية أكثر من ١٥٦ألف متر مربع إلى حي كبير يحتوي بالإضافة إلى الفلل السكنية مسجد جامع ومدرسة للبنين ومدرسة للبنات وروضتين للأطفال ونادي وصالة احتفالات ومركز صحي ومركز تجاري وأسواق ومبنى للإدارة وآخر للخدمات من مياه وكهرباء وهاتف.

وقد بلغت التكاليف الإجمالية للمشروع (٥٤٠) مليون ريال سعودي واستغرق تنفيذ المشروع أربع سنوات. وروعي في تخطيط المشروع توفير بيئة سكنية مريحة وجذابة حيث قسم المشروع إلى مجموعات من الفلل تطل على مساحات مرصوفة ومضاءة مع توفير حركة مشاة وحركة سيارات وتفادي تعارضها، وقد تم تصميم الفلل السكنية والمباني العامة لتلائم طبيعة الحياة الاجتماعية وعادات المملكة العربية السعودية وجميع الفلل المباني مفروشة ومؤثثة بالكامل.

كما تم توفير الخدمات العامة داخل المشروع من شبكات للمياه تغذي من بئرين ارتوازيين داخل الموقع بعد تنقيتهما، أما شبكات الكهرباء فتُغذى من شركة كهرباء تبوك. ويُغذي المشروع بالخدمة الهاتفية من مدينة تبوك هذا بالإضافة إلى شبكات للصرف ومحطة لمعالجة مياه الصرف الصحي حيث تستخدم المياه المعالجة لري الحدائق والأشجار في الطرقات.

وقام مكتب التخطيط الشامل لمنطقة تبوك بدراسة الخصائص الإسكانية وعدد أنماط الوحدات السكنية وهي:

١- الطراز العربي القديم فالبيت مكوّن من دور واحد، متعدد الحجرات يراعى في تفصيله قسماً للرجال وقسماً آخر للنساء ويغلب أن يكون له مدخلان أحدهما للرجال والآخر للنساء، ويغلب أن يكون من الطين قبل عام ١٣٩٠هـ ولكنه بدأ يتحول إلى الطوب الأسمنتي حتى اختفى الطين تماماً من مدينة تبوك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- ثم جاء عهد الفلل المكونة من دورين من الخرسانة والطوب الأسمنتي، ويكتفي صاحب الفلة بالإقامة في الدور الأرضي، ويحاول أن يستثمر الطابق العلوي حتى إذا ما زاد عدد أسرته استوطنه كاملاً وهذا اللون يغلب على جلّ المنازل السكنية في تبوك.

٣- وقد شُيّدت المباني المتعددة الأدوار التي تتكون من شقق حيث يُوزّع كل دور إلى أربع وحدات أو ست أو ثمان وهذه المباني تتكون من ثلاثة أدوار أو أربع أو ست إلى ثمانية أدوار.

إلى جانب بعض القصور الحديثة للأثرياء والوجهاء في البلد وقد بُني بعض منها في المزارع القريبة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الزراعة

إن الذي يجوب أرجاء الجزيرة، ويرى الأشكال الأسطوانية الفضية تسطع يتذكر قول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ونحن نقول لنا الصوامع البيض يشرقن في الضحى ويضئن في الليل وتشع الحياة في دياجي الفقر بين الربوع الإسلامية.

إن النهضة الخضراء التي تشهدها بلادنا الحبيبة، والتي بسطتها دولتنا الرشيدة على أرضها بقوة الإرادة، وجدية العزيمة، ومصداقية العطاء، وعمق التفكير، وقدرة التخطيط.

إن هذه النهضة الخضراء التي نعدها معلماً من معالم العصر الحديث، فالناس إذا ما ذكرت الصناعة، فإنهم يولون وجوههم حيث اليابان، وبدأت النظرات تحدق إلى بلادنا العزيزة فإذا ذكرت الزراعة، والتغذية الإنسانية فإن الناس سينظرون إلينا نظرة إعجاب وتقدير.

والزراعة في بعض البلاد تقترن بالفقر لاعتبارات كثيرة، وتشير في بعض البلاد إلى الغنى والاقتصاد المزدهر، فإذا ما كانت الزراعة معتمدة على العلم والتقنية، والأبحاث المتواصلة، فإنها تؤدي إلى الرفاهية، والنماء الاقتصادي للفرد والدولة معاً، لأنها تعتمد على غزارة الإنتاج، وانخفاض التكلفة، ونحن لو نظرنا إلى رقعة المساحات المزروعة في آسيا وإفريقيا لاعتقدنا أنها تعادل ١٥٠% أو أكثر من المساحات الزراعية في أمريكا وأوروبا ولكن ما زالت أمريكا الإمبراطورية الكبرى للقمح.

وربما إن تقدم أمريكا كان السبب في تردد الشائعة التي تتضمن عدم قدرة العالم الثالث على استيعاب الإنتاجية الزراعية وتقنيتها، وتعليميتها وخبرتها ومن ثم لن يكون النتاج بقدر النتاج في الدول المتقدمة، لذا فإن المزارعين في العالم الثالث هم الفقراء، ومزارعي العالم الصناعي هم الأغنياء، وهذه الفكرة يرددها خبراء الدول المتقدمة وأخذها مثقفوا العرب قضية مسلمة لا ريب فيها.

ومن نتائج النهضة الزراعية في المملكة العربية السعودية تحطيم هذه المسلمة. فالزراعة إذا رعتها الدول، واستقطبت المجتمع ليكون عاملاً منتجاً رابحاً مستفيداً، فسيكون العطاء والنماء.

والمزارع السعودي اعتمد على أدق التقنيات وأحدثها، وقد استفاد أيضاً من تجربة أعظم المزارعين في أمريكا وليس في ذلك من ضير ولا غضاضة، فإن أمريكا تتلمذ الآن على الحركة التعليمية في اليابان، وقبل هذا وذاك فإن الحكمة ضالة المؤمن، وهذا يثبت بطلان الاعتقاد السائد أن العالم الثالث له ظروفه التي لا تناسب الأخذ بالتقنية، لأن الاشتراك في كل ما يلائم العقل ويتولد عنه، وما ينسجم مع الإنسان وإنسانيته، صالح للفرد والمجتمع في كل زمان ومكان قابل للتكيف والتعديل في اتجاهه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتقدم الزراعي في بلادنا يحتاج إلى المزيد من الرقابة والمتابعة التي تلتزم الدراسة الميدانية، ومحاولة المعالجة بدأ من حفر الآبار والآلات وإصلاحها، ومعرفة خصائص التربة، ونشر الوعي الشعبي الزراعي، وكل ما يتضمن التواصل لتنامي الزراعة واستمراريتها، وتفوقها، وهذا ما تعمل به وزارة الزراعة فقد أصدرت كثيراً من النشرات وهناك عدد من مراكز الأبحاث ولكن نطلب المزيد منها والمختصة لمعرفة خصائص كل منطقة.

وفي بداية النهضة الزراعية أخذ الكثير يسرد العقبات التي سوف تعترض المزارع السعودي، مثل صعوبة الأرض وصحراويتها، وعمق المياه، وكلفة استخراجها والاستفادة منها، ولكن كل أمر في حياة الإنسان يقوم على الكَبَدِ، والمعاناة لكي يتاح لعقل الإنسان التصدي لها وتذليلها، وقد واجهت أوروبا العديد من المشكلات، وعدم الخصوبة في أرضها في بداية النهضة ولكنها مع ذلك تنامت زراعتها وإنتاجها بفضل التقدم العلمي والتقني حيث تفتق الفكر الإنساني عن العوامل المساعدة على تسخير الأرض وتذليل العقبات.

والزراعة في تبوك تتمثل فيها أغلب الصعوبات ومع ذلك فإنه لا جدال بأن تبوك والقرى المجاورة لها صالحة للزراعة حيث توجد مقومات الزراعة من التربة الخصبة والغزارة في المياه، وسهولة المواصلات، وأشار المؤلفون القدامى إلى مكانتها الزراعية وخير دليل بقايا الجداول في آثار (رجوم شوهر) والجداول في (قُرَيّة) إلى جانب الجداول المائية حول التلال المتفرقة في تبوك وعلى ضفاف الحواجز الصخرية الممتدة من رايس حتى العجيجات، وغيرها الكثير.

أما الدراسات الحديثة حول الزراعة في تبوك فإنها أثبتت فاعليتها وجدواها الاقتصادية وقد بدأ النشاط الزراعي الحديث في تبوك عام ١٣٧٨هـ غير أن الذي قام بالزراعة نفر محدود، ومنهم من استثمر الأرض الزراعية، فوزعها إلى أرض سكنية، وباعها كمثل حي المنتزه وحي البساتين تلك المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية، فهي توزيع أراضي دمج على وجود التقنية، والتوجيه والإرشاد وزاد الأمر أن الأرض وزعت على فقراء ولم يُختار المكان المناسب الصالح للاستثمار واقتصر نجاحها على أفراد محدودين رغم إقبال الأهالي وتنافسهم وبذلهم ما يملكون.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الانطلاقة الزراعية، حيث قامت على دراسة مستفيضة من الدولة ممثلة في وزارة الزارعة، واعتمدت على الدعم المادي والتقني من الدولة، والقروض الوافرة من البنك الزراعي، ووضع حوافز وضوابط كان لها دورها الفعال في نجاح الزراعة في منطقة تبوك.

وتطورت الزراعة في المنطقة تطوراً كبيراً، فشهدت نهضة زراعية، وإقبالاً من المواطنين، فازداد عدد المزارعين حتى بلغ أكثر من خمسمائة مزارع في مساحة تقرب (٤٠٠٠٠) دونم أغلبها مزارع حديثة لا تقل عن مائة دونم، وما زال النمو والتطور، والتفوق الانتاجي، وحسن تدبير المياه والاستفادة من الأرض، وتسخير التقنية الحديثة الزراعية في تنامي مستمر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمزارع الحديثة استهلت زراعتها بالتنقيط وتحولت أغلب المزارع القديمة إلى الأساليب الحديثة واعتمدت مزارع الحبوب على الري المحوري.

وقد اهتدى المزارعون إلى استخدام البيوت الجاهزة البلاستيك لحماية المحصولات التي لا تتحمل التقلبات الجوية من أشجار خضار وفواكه، وهي مكيفة صيفاً وشتاء، ويبلغ عدد بيوت (الفيبروجلاس) في مدينة تبوك أكثر من مائتي بيت.

وفي تبوك عدد من المزارع المتقدمة كمزرعة (أسترا) الواقعة بين تبوك والبئر على طريق حالة عمار، وتعتمد اعتماد كلياً على التقنية الحديثة والدراسات المعملية، والخبرات المتطورة، لذا فإن نتاجها في درجة عالية من التفوق والجودة والغزارة، وقد عرف عنها تصدير الزهور التي طرحت في أسواق الخليج ودول أوروبا، وكذلك اشتهرت بالخيار التبوكي، والبرتقال الذي يسمى (المندلينا) وغيرها من الفواكه والخضار، وأخذت في تصدير عسل النحل كما لديها مزرعة لتربية المواشي وتسمينها تفيض على مدينة تبوك، وتغطي احتياجات المدينة العسكرية، وقد قامت بتربية طيور السمان وتوزيعها في الأسواق المركزية بمدن المملكة العربية السعودية.

وهناك مزارع أخرى لها دورها الكبير في تصدير الشمام والطماطم، واشتهر الشمام التبوكي بمذاقه الحلو حتى أصبحت الثلاجات السيارة تنقله إلى المنطقة الغربية والشرقية.

أما المشاريع الزراعية فهي تمثل الحضارة الزراعية ولا أقول النهضة الزراعية وكان لاتساع السهول في أحضان تبوك دوره الفعال في نجاح المشاريع الزراعية من القمح والشعير والأعلاف، وتربية المواشي، وتصنيع وتعليب الألبان، وقد شيدت وزارة الزراعة الصوامع في مدينة تبوك لتخدم الإنتاج وتستقبله، وتوفر مؤنة النقل على مزارعي المنطقة الأمر الذي دفع بالمزارعين والمواطنين إلى مضاعفة الجهد ومما يدعو إلى الاطمئنان انتشار الوعي الزراعي، ورواج الثقافة بمقوماتها، حتى أصبحت ثقافة شعبية.

ويبلغ عدد المشاريع في منطقة تبوك أكثر من (٣٢٢) مشروعاً زراعياً مساحة كل مشروع أربع كيلومتر موزعة في منطقة تبوك وحظ تبوك منها (٢٢٤) مشروعاً، منها ما يختص بالدجاج البياض واللاحم وتسمين الأغنام وتربية الأبقار، وتبلغ المساحة ما يزيد على (١,٧٠٠,٠٠٠) دونم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شركة تبوك للتنمية الزراعية:

الموقع: تقع الشركة شمال تبوك على بعد أربعين كيلاً متراً بمحاذاة الطريق البري الدولي إلى الجهة الغربية منه.

وقد أنهت شركة تبوك للتنمية الزراعية موسمها السادس في زراعة القمح فأصبحت إنجازاتها كما يلي:

١- حفر ١١١ (مائة وأحد عشرة) بئراً.

٢- تركيب ٢٠٠ (مائتين) رشاش محوري يروي الواحد منهم ٥٠ (خمسين) هكتاراً.

٣- تركيب ٣ (ثلاثة) أنظمة ري طولية يروي الواحد منهم ١٢٥ (مائة وخمسة وعشرين) هكتاراً.

٤- تسوير أرض المشروع بشبك يزيد عن ١٠٠ (مائة) كيلومتراً.

٥- تهيئة مساكن للعاملين بالمشروع بطاقة استيعابية قدرها ١٣٠ (مائة وثلاثين) شخصاً.

٦- إنشاء مخازن وورشة ومستودعات تفي بحاجه المشروع.

٧- توفير جميع المكائن والآليات والمعدات اللازمة للعمليات الزراعية.

٨- شق وتعبيد ورصف طرق داخل المشروع بمعدات وعمال الشركة يصل طولها إلى ٢٠٠ (مائتين) كيلومتراً.

٩- إنشاء حاسب آلي في المركز الرئيسي لضبط وتسهيل أعمال الشركة في الشؤون الإدارية والمالية والفنية.

١٠- إنشاء حاسب آلي في مكتب الشركة بالرياض مختص بسجل المساهمين.

١١- توزيع الشهادات النهائية ونقل الملكية من خلال مكتب الشركة بالرياض.

١٢- تحقيق ٢١٠٠٠ (أحد وعشرون ألف) طن من القمح خلال الموسم الأول ١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ بمعدل ٤طن للهكتار.

١٣- تحقيق ٦٣٤٠٠ (ثلاثة وستون ألف وأربعمائة) طن للموسم الثاني ١٤٠٤- ١٤٠٥هـ بمعدل٦,٢ طن للهكتار.

١٤- تلبين عشرات الآلاف من قش القمح لموسم هذا العام ١٤٠٤- ١٤٠٥هـ.

١٥- زراعة وحصد وتلبين عشرة دوائر من حشائش السودان يصل إنتاجها إلى حوالي ١٥٠٠٠٠ (مائة وخمسين ألف بالة).

وللعلم فإن جملة ما تم إنجازه حتى الآن بالنسبة للمشاريع القائمة لا يتجاوز ثلث ما هو مخطط للمستقبل.

وتبلغ المساحة العامة للشركة ٣٥,٠٠٠ هكتار.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المساحة المزروعة	٣٥٠,٠٠٠ كم٢.
المساحة المزروعة قمح وشعير	١١,٠٠٠ هكتار.
الفواكه	١٠٠٠ هكتار.
زرع حتى الآن	٢٥٠,٠٠٠ شجرة فواكه.
وفي نهاية العام	٥٠٠,٠٠٠ شجرة فواكه.

وفيها أعلاف كالبرسيم، حشائش السودان، رودس، زيادة على تبن الشعير والقمح.

فيه عدد من أشجار الزيتون فيما يقارب ٢٧٠٠ شجرة.

زراعة البطاطس وكان الإنتاج يقارب ٧٥٠ طناً.

وقد بلغ عدد المشاريع الزراعية والحيوانية في منطقة تبوك.

٣٠٩ مشروعا للقمح والأعلاف منفذ منها ١٣٠ مشروعاً.

٦٤ مشروعاً فاكهة ونخيل.

١٧ مشروعاً تربية وتسمين أغنام منفذ منها ٥مشاريع.

٣ مشاريع لتربية الأبقار منفذ منها اثنان.

٢٧ مشروعاً للدجاج البياض واللاحم منفذة جميعها.

٥ مشاريع بيوت محمية (مكيفة) منفذ منها ثلاثة مشاريع.

١ مشروع طيور السمان (فري) منفذ([1]).

([1]) منطقة تبوك ١٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التجارة في تبوك

وتأريخ تبوك التجاري قديم قدم تأريخها فاستمرت الأهمية التجارية تصحبها عبر الأحقاب التاريخية القديمة والحديثة، وقد أسلفنا عن مركزها التجاري القديم. أم الحديث فإن هناك عوامل كثير جعلت التجارة تزدهر فيها ومنها: أنها تقع على الطريق البري الدولي الذي يربط المملكة العربية السعودية بالأردن وسوريا وفلسطين ولبنان وتركيا ودول أوروبا، وكذلك فهي قريبة من الحدود الأردنية وهي عاصمة إدارية لعدد من المدن والقرى في شمال غرب الجزيرة، وكذلك ترتبط بالمدن المجاورة بشبكة مواصلات حديثة، إلى جانب الكثافة السكانية.

والتجارة في تبوك تأخذ أشكالاً متنوعة فهناك المراكز التجارية القديمة التي تتمثل في السوق العام الذي يتوسط المدينة ويرتكز فيما يسمى بالبلدة القديمة أي تبوك القديمة، وقد تمّ إنشاء أماكن حديثة للتجارة مثل الأسواق المركزية التي تضم أغلب المتطلبات وتقع في جنوبها وشمالها الشرقي وقد افتتح السوق الدولي في شمال غرب تبوك ويمتاز بتنظيمه وتهيئة أماكن لترفيه الأطفال، وتكثر المراكز التجارية التي تعنى بالعمران والمواد الصحية، ويتوسط المدينة سوق كبير لتجارة الخضار والفواكه والتمور والأسماك.

وقد بدأت الحركة التجارية تتكاثر في الطريق المسمى بشارع الخمسين الذي يفصل حي السليمانية وسلطانة من جهة عن أحياء المهرجان والفيصلية الشرقية من جهة أخرى، وتكثر الأماكن التي تُعنى بإصلاح العربات والآلات بجميع أنواعها. ويوجد في تبوك الكثير من الوكالات العالمية التي تتعامل مع الدول الأجنبية والعربية لتسويق العربات، والمعدات الزراعية، والآت الكهرباء المنزلية والصناعية إلى جانب أسواق المواشي من الأغنام والإبل التي تمد المدن والقرى والبادية المجاورة لتبوك. ومن هنا تأسست الغرفة التجارية الصناعية التي تخدم التجارة في تبوك ومنطقتها.

الغرفة التجارية الصناعية([1]):

أهدافها:-

١- إبلاغ التجار والمصانع والمزارع بالأنظمة والقرارات والتعليمات ذات العلاقة بالأمور التجارية والصناعية والزراعية، وتوجيه التجار، وأصحاب المصانع والمزارع إلى أفضل مناطق التصدير والاستيراد.

٢- جمع ونشر كافة المعلومات التي تتصل بالتجارة والصناعة والزراعة وإعداد البحوث المتعلقة بذلك.

٣- رفع المقترحات والتوصيات إلى المسؤولين من أجل حماية الإنتاج الوطني من المنافسة الأجنبية.

([1]) انظر: كتاب المسؤول والإنسان للأمير عبد المجيد بن عبد العزيز

انظر: نشرة الغرفة التجارية لجمادى الآخر ١٤٠٦هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- التعرف على المشاكل التي تواجه الزراعة والصناعة والتجارة، ودراستها بهدف إيجاد الحلول الملائمة لها.

٥- تبصير رجال الأعمال إلى فرص الاستثمار الجديدة في النواحي التجارية والزراعية والصناعية بالمنطقة.

٦- تشكيل اللجان الفرعية المتخصصة من بين المشتركين لإعداد التوصيات والمقترحات التي تساعد على إيجاد الحلول والبدائل.

٧- دعوة استقدام الوفود التجارية والصناعية والزراعية وإتاحة فرص الاجتماع برجال الأعمال في المنطقة.

والغرفة التجارية والصناعية من المجمعات ذات الفعالية والحركة الدائبة فقد بلغ عدد المنتسبين إليها (٢٦٠٠) من رجال الأعمال وستة وعشرون مصنعاً، وقامت بدورات تدريبية تخدم البيع والإدارة التجارية والمحاسبة وإدارة المستودعات، وهي تقوم بإصدار نشرة دورية اقتصادية.

وقد قامت نهضة صناعية مزدهرة في المنطقة تخدم التجارة والزراعة أو هي ثمرة للوجود الزراعي والحركة التجارية ومن هذه المشروعات الصناعية:

١- صوامع الغلال ومطاحن الدقيق التي تستوعب جميع إنتاج المنطقة من القمح.

٢- مصنع لإنتاج أنابيب الري بالتنقيط بأنواعه والأغطية البلاستيكية.

٣- مصنع لإنتاج الأعلاف.

٤- مصنع لإنتاج الصناديق الخاصة بتعبئة الخضار والفواكه.

٥- مصنع غربلة البذور.

٦- مصنع للألبان.

٧- مصنع للأكسجين والأثلين والأيدروجين.

٨- مصانع أوتوماتيكية للبلاط والرخام والبلوك([1]).

وفي تبوك عدد من الإدارات الحكومية المساعدة على التنمية ومنها:

([1]) انظر: كتاب المسؤول والإنسان، الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المواصلات

يمر بتبوك خط بري دولي عبر التاريخ القديم والحديث، وزادت أهميته في العصور الإسلامية؛ لأن الخط البري الذي يمر بتبوك يمثل درب الحجيج الشامية وتعهدته الدول الإسلامية بكثير من الإصلاحات.

وعلى نفس الدرب الأول أُنشئ الخط الحديدي الحجازي الذي يربط المدينة المنورة بتبوك مروراً بالمملكة الأردنية الهاشمية فدمشق ثم بإسطنبول.

وقد تعطل الخط الحجازي في الحرب الكونية الأولى، ولما توحدت البلاد السعودية تحت ظلال الملك عبد العزيز رحمه الله أخذت العربات التي تنقل المسافرين والحجاج والبضائع تسير عبر الطريق البري، ولكن سرعان ما اهتمت الدولة بالخط البري ورصفته ومهدته ووضعت عليه القار فكان من أول الخطوط في المملكة العربية السعودية، وأصبح الخط البري الذي يربط المملكة بالأردن .. وسوريا ولبنان وتركيا وأوروبا.

ثم أخذت الدولة تنشئ الطرق الفرعية التي تصل تبوك بمختلف مدن المملكة العربية السعودية فإلى جانب الخط الحجازي هناك الخط الذي يصل تبوك بتيماء وحائل والرياض وقد جُهز حديثاً ويختصر الطريق إلى الرياض بأكثر من ثلاثمائة كيلاً، ويتفرع من تبوك خط آخر يتجه إلى الشرق ويخدم عدد من القرى ويستمر حتى يرتبط بالجوف وطريف وعرعر والقريات والمدن في الشمال الشرقي للبلاد.

ويتفرع من تبوك خط بري يتجه غرباً إلى ضبا طوله (١٨٥)كيلاً فيخدم المدن الساحلية التابعة للمنطقة ويُسهل ورود البضائع إلى تبوك من المرافئ الساحلية، ويخدم القرى والبادية في حسمى ويُيسر الوصول إلى الآثار القديمة مثل روافة ويخدم المنطقة الزراعية، في وادي الديسه، ومركز (شقراء) وينطلق الطريق عبر الساحل إلى الجهة الشمالية ليصل لشرما والشيخ حميد، ومقنا، والبدع، والشرف، وحقل، وينطلق إلى الجنوب ليصل نحو الوجه ومدينة أم لج، والقرى بين المدينتين.

وكذلك يتفرع من تبوك طريق بري يتجه إلى الشرف ثم يتفرع إلى فرعين أحداهما يتجه إلى حقل ثم إلى الدرة مركز الحدود ثم إلى العقبة في الأردن والشعبة الثانية تتجه إلى البدع، ومقنا والشيخ حميد، وشرما وكلها على ساحل البحر الأحمر.

وهناك عزيمة صادقة من وزارة المواصلات لإنشاء عدد من الطرق الزراعية والتعبيد المستعجل وتغطيته بالقار لعدد من القرى المجاورة في الحرة وحسمى والمعظم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاتصالات السعودية([1]):

من ضروريات الحضارة المعاصرة وسائل الاتصالات الفعالة الناجحة التي تخدم الوقت الإنساني، والجهد الذاتي والجماعي، وتوفر المال والعمل، وتسهل سبل التجارة، وتعين على التقدم الصناعي والزراعي، الأمر الذي جعل المملكة تضع الاتصالات ووسائلها في مقدمة الخطط الخمسية، كيما تكون قاعدة من قواعد انطلاق النهضة أولاً، ثم تبلور الحضارة وتكون إحدى معطياتها، فعقدت الدولة العزم وأجرت الدراسات، وتعاقدت مع الشركات الاستشارية وتنامت مع الزمن حتى اعتمدت الدولة السعودية الخطة الناجحة والنافعة وبتنفيذها عمت الاتصالات أرجاء المملكة العربية السعودية، وتدفقت ينابيع الاتصالات الداخلية والخارجية معاً، وأصبحت إحدى قنوات الخير للبلاد، وصار في ميسور كل مواطن سعودي أن يهاتف من بداخل المملكة العربية السعودية ومن بخارجها في الشرق والغرب والجنوب والشمال من أجزاء المعمورة الأرضية بل ويهاتف من يعبرون آفاق الفضاء، ولكي لا تخضع لعوامل متغيرة فإن الدولة ممثلة في وزارة البرق والبريد والهاتف قد سخرت ألواناً من التقنية الحديثة والمتطورة لتحصل على درجة عالية من الخدمة، ولتكون هناك وسائل بديلة.

وقد كانت النهضة شاملة لأرجاء البلاد من مدينة وقرية ومزرعة أيضاً، ومنطقة تبوك جزء عزيز من هذه البلاد لذا حظيت باهتمام الدولة ومسؤولي التنفيذ للاتصالات فنالت حظاً وافراً مما يسّر اتصالها بالعالم.

وقد تنامت الاتصالات في تبوك ومنطقتها في إطار التطور الذي شهدته البلاد السعودية وحسب مقتضيات القدرات والتقنية والاحتياجات وملاحقة التنامي والتطور والتغيير التكنولوجي.

البرقيات:

وقد بدأت الاتصالات في تبوك ومنطقتها بتأسيس أول مركز لاسلكي في تبوك وقريب من الحوانيت الرئيسة داخل البلد في عام ١٣٣٦هـ مع امتداد سكة الحديد الحجازية وبداية التشغيل فيها ثم أخذت تتطور حسب مقتضى الحاجة ((وكان المستخدم آنذاك هو نظام المخابرة أو (المورس) والذي استبدل فيما بعد بمراسلة من طراز (آر. سي. إيه) وفي عام ١٣٩٩هـ استخدمت أجهزة التلكس الحديثة من طراز (أوليفتي، سيمنز)، وهي مبرقات عربية ولاتينية، ثم أدخلت في الخدمة أحدث ماكينات التلكس المزدوجة (عربي – لاتيني) وكان ذلك في بداية عام ١٤٠٣هـ))([2]).

([1]) استمدت المعلومات من التقرير السنوي للاتصالات لعام ١٤٠٤_ ١٤٠٥هـ.

([2]) انظر، التقرير السنوي ١٤٠٤هـ ص٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما التلكس فإن أكبر الإدارات الحكومية ورجال الأعمال والقطاع الخاص قد نالوا ما يبتغونه من الخدمات التلكسية حتى بلغ مجموعها أكثر من أربعمائة خط.

الهاتف:

أما الهاتف فإنه استهل خدماته في تبوك عام ١٣٨١هـ (كان أول هاتف يدوي ماجنيتو) يعمل في مدينة تبوك عام ١٣٨١هـ من خلال مقسم يسع ١٠٠ خط فقط، وفي عام ١٣٨٥هـ ركب مقسم آخر بسعة ٣٠ خط (ماجنيتو) وظلت هكذا حتى عام ١٣٩٩هـ ومنذ هذا التاريخ توالت اهتمامات وزارة البرق والبريد والهاتف بمنطقة تبوك، فأنشأت شبكة حديثة، وزُوِدت مدينة تبوك بمقسم آلي من طراز (هيتاشي) بلغت سعته ١٠٠٠ خط بالإضافة إلى أربع عشرة دائرة أقمار صناعية مكنت المواطنين من الاتصال بمدن المملكة الأخرى، وفي منتصف عام ١٣٩٩هـ نفذت وزارة البرق والبريد والهاتف مشروع شبكة الميكروويف مباشرة لتأمين الاتصال الخارجي.

ومع تزايد تطور المدينة واتساعها لم تفِ سعة هذا القسم باحتياجات المواطنين المتزايدة للخدمة الهاتفية، فكان لزاماً على وزارة البرق والبريد والهاتف وضع خطة شاملة لمواجهة هذا التطور، وفي رجب عام ١٤٠٠هـ تم افتتاح مقسم آلي جديد من طراز (بي. آر. أكس) بسعة عشرة آلاف خط أخرى على مرحلتين إلى جانب تركيب مقسم ترانزيت من طراز (إيه أكس. آي) ثم توجت هذه الإنجازات بتركيب معدات الهاتف السيار في نهاية عام ١٤٠٣هـ وبدأت الخدمة في نهاية شهر صفر عام ١٤٠٤هـ([1]).

ولم تنحصر الخدمات الهاتفية على تبوك بل عمت مدن المنطقة وقراها الداخلية والساحلية معاً وهي: تيماء، القليبة، حالة عمار، حقل البدع، الخريبة، ضبا، الديسة، شواق، الوجه، بدا، الكر، أبو القزاز، أم لج، والشبحة، مقنا، البئر، العيينة، الجهراء، المويلح، شرما.

الهاتف السيار:

وقد شهد الأسبوع الأخير من شهر صفر عام ١٤٠٤هـ مولد خدمة الهاتف الآلي السيار بمنطقة تبوك حيث تم تركيب أول هاتف سيار بعد اكتمال الإجراءات الفنية لهذه الخدمة من تركيب وحدة مقسم الهاتف السيار والهوائيات المساعدة وتجهيز مركز للتركيبات والصيانة بكامل أجهزته ومعداته([2]).

([1]) التقرير السنوي عام ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ ص٢.

([2]) التقرير السنوي للاتصالات ١٤٠٤هـ ص١٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد تم تركيب محطتي لاسلكي للهاتف السيار خلال عام ١٤٠٥هـ إحداهما على طريق تبوك حالة عمار والأخرى بحالة عمار ووزارة البرق والبريد والهاتف تسعى إلى تغطية جميع المدن في المنطقة بخدمة الهاتف السيار، وقد بلغ عدد خطوط الهاتف السيار أكثر من مائة خط([1]).

([1]) المرجع السابق ٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إدارة الأوقاف بتبوك

وأهم عمل تقوم به رعاية المساجد القائمة والمحافظة على الجوامع والمساجد الأثرية، وإنشاء المساجد والجوامع في المنطقة الآهلة بالسكان، ورعاية المساجد بالأثاث والتنظيم والتنظيف، ومتابعة أعمال الموظفين في المساجد والجوامع وتعيين الأئمة والخطباء والمؤذنين والخدم.

وقد قامت الوزارة بجهد متواصل لبناء الجوامع والمساجد فقد تم إشادة الجامع الأثري (التوبة) الذي صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وجامع الاخوياء، وجامع الملك فهد بالفيصلية ويتسع لثلاثة آلاف مصل، وجامع الملك عبد العزيز في مبنى مصلى العيد السابق، ومسجد العيد الذي يتسع لمائة عبد العزيز في مبنى مصلى العيد السابق، ومسجد العيد الذي يتسع لمائة ألف مصل وجامع سلطانة الجديد إضافة إلى جانب عدد من المساجد التي وافقت الوزارة على بنائها من قبل أهل الخير وتجدر الإشارة إلى أن في تبوك أكثر من مائة وخمسين جامعاً ومسجداً، وتمدها الوزارة بالمصاحف اللازمة من مطابع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، وقد عهد إلى إحدى المؤسسات الوطنية بالإشراف على نظافتها، وإصلاح ما يطرأ من العطل فيها([1]).

التعليم

إدارة التعليم في تبوك:

كانت بداية التعليم تعتمد على الكتاتيب، كتعليم القرآن الكريم، ومعالم الكتابة والقراءة، والخط، وكانت أول مدرسة في مدينة تبوك أسست عام ١٣٥٦هـ مديرها (محمد علي كابلي) في عهد الأمير عبدالله السديري وعدد طلابها لا يتجاوز الأربعين.

وبدأ التعليم الحكومي في تبوك بمدرسة ابتدائية عام ١٣٦٠هـ وتسمى المدرسة السعودية، ثم توالى تأسيس المدارس فأنشئت أول مدرسة متوسطة عام ١٣٨٠هـ ثم افتتح مكتب إشراف عام ١٣٨٥هـ ليتولى الإشراف على هذه المدارس ويضم تحت إدارته ثلاث عشرة مدرسة وتأسست أول مدرسة ثانوية في عام ١٣٨٦هـ.

([1]) أخذ عن التقرير السنوي للأوقاف في تبوك لعام ١٤٠٧هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونظراً للنمو المتزايد في إعداد الطلاب، وافتتاح المدارس، وضرورة إيجاد إدارة قادرة على توجيه دفة التعليم، فقد تحول مكتب الإشراف إلى إدارة تعليم عام ١٣٩٨هـ.

ويتبع إدارة التعليم في تبوك كل من حقل والبدع وضباء، والوجه، وتيماء وأملج والقرى التابعة لكل مدينة، وقد افتتح فيها خمسة معاهد للمعلمين، وقد مرت إدارة التعليم بمراحل تنامى متواصلة وبدرجة مذهلة، وتبين هذا التطور الإحصائية التي صدرت من وزارة المعارف لعام ١٤١٢هـ حسب الجدول الآتي:

القطاع / المرحلة	تبوك	تيماء	حقل	ضباء	الوجه	أملج	المجموع
ابتدائي	٤٣	٢١	١٩	٢٣	١٧	٣١	١٥٤
متوسط	١٨	٥	٨	٩	١٠	١٠	٦٠
ثانوي	٩	٣	٢	١	١	١	١٧
المجموع	٧٠	٢٩	٢٩	٣٣	٢٨	٤٢	٢٣١

تعليم الكبار:

وبلغ عدد المدارس التي تعنى بتعليم الكبار ٣٣ مدرسة وعدد طلابها ١٠٨٧ طالباً كما بلغ عدد طلاب المدارس الابتدائية ١٦٥٤٥ والمتوسطة ٥٢٥٥ والثانوية ٢١٣٥ طالباً.

المعهد العلمي بتبوك:

أسس عام ١٣٨٤هـ بأمر من سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ يرحمه الله ويمثل إشعاعاً فكرياً إسلامياً فله نشاطه الفكري حيث استقطب عدداً من رجال الفكر لإلقاء محاضرات وندوات في المنطقة سيما بعد تكوين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٥هـ فأصبح ممثلاً لها، وأسست فيه أول قاعة محاضرات في مدينة تبوك فاستقطبت الأنشطة الثقافية في تبوك.

وقد ضم عدداً من أعضاء هيئة التدريس الذين لهم مكانة مرموقة وقد واصل بعضهم دراساته العليا حتى نال درجة الدكتوراه والمعهد أكن له حُبّي وتقديري فقد كنت من الدفعة الأولى التي التحقت به دارساً ثم درّستُ فيه سنة واحدة ثم استملت إدارته من عام ١٣٩٤هـ حتى عام ١٤٠٦هـ حيث حصلت على الدكتوراه وانتقلت لأكون عضواً لهيئة التدريس في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ثم انتقلت إلى كلية اللغة العربية بالرياض.

- الكلية المتوسطة أسست عام ١٤٠٦هـ وتسمى الآن كلية إعداد المعلمين، ويقضي الطالب فيها أربع سنوات وفيها تخصصات مختلفة تناسب مقررات الدراسة في المرحلة الابتدائية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- المعهد الثانوي التجاري ١٤٠٢هـ.
- المعهد الثانوي للمساحة ١٤٠٣هـ.
- مركز التدريب المهني ١٣٩٨هـ.
- المعهد الثانوي الصحي ١٤٠٥هـ.
- دار الملاحظة ١٤٠٦هـ.
- مركز الخدمة لرعاية الأمومة والطفولة ١٤٠٦هـ.

إدارة تعليم البنات في منطقة تبوك:

لقد أصدرت إدارة تعليم البنات كتاباً إحصائياً عام ١٤١٢هـ يبين تاريخ المدارس وعددها وتنامي المباني المدرسية وأعداد الفصول وبيانات أخرى تبرز الأعداد المتنامية للمعلمات والطالبات والإداريات ويتضح أن المدارس الابتدائية داخل تبوك أكثر من خمس وعشرين مدرسة بما في ذلك المدارس الابتدائية داخل المدينة العسكرية وتضم أكثر من تسعة آلاف طالبة، وقد تميزت الرئاسة العامة بالمباني ذات الطابع الإسلامي، والتي تمثل نسبة عالية في تغطية احتياجات المدارس وما زالت تواصل المسيرة ويجدر بنا أن ننوه بالجهد المبذول من قبل الدولة، لأن السياسية التي أنتهجتها قد أتت ثمارها فالتعليم الابتدائي قد شارف على الاكتفاء الذاتي من بنات الوطن ففيه أكثر من ثلاثمائة وخمسين معلمه ابتدائية. ومن الخير أن نشير إلى مدرسة تحفيظ القرآن الابتدائية وإقبال الطالبات عليها وهذا يؤكد حرص المجتمع السعودي على تمسكه بدينه وعقيدته وغرس ذلك في نفوس الأمهات لتفيض به على الأبناء والبنات.

التعليم المتوسط للفتاة:

أمّا التعليم المتوسط فإنه يجسد السياسة التعليمية التي تعمل على تأهيل الفتاة السعودية لتكون رائدة التعليم في بلادنا الغالية. فكان من الخير أن يكون التعليم المتوسط يوجه لكي يخدم التعليم الابتدائي مما جعل ولاة الأمر يقررون الأولوية لمعهد المعلمات المتوسط ففتح عام ١٣٨٧هـ وكان له دوره في تغذية التعليم في المنطقة ثم تلاه افتتاح المتوسطة الأولى عام ١٣٩٠هـ. وتنامى التعليم المتوسط حتى بلغ إحدى عشرة متوسطة في مدينة تبوك وحدها وأغلبها في مباني حكومية ثابتة وحديثة ويحصل على التعليم فيها أكثر من ألفي طالبة وفيها أكثر من ستين معلمة سعودية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التعليم الثانوي:

أما التعليم الثانوي للفتيات فقد انطلق بمستهل عام ١٣٩٣هـ بالمدرسة الثانوية الأولى ثم افتتحت المدرسة الثانوية الثانية عام ١٤٠٣هـ حتى تجاوزت خمس مدارس ثانوية وكذلك هناك ثانوية في المدينة العسكرية وأخرى في القاعدة الجوية ومع تطور التعليم في المملكة طُوِّر معهد المعلمات ليصبح تعليماً ثانوياً، وتضم هذه المدارس أكثر من ألف طالبة.

والاهتمام العالمي بمحو الأمية مشهور وكثرت حوله الدراسات والمناهج وطرق التربية المتبعة فيه كالدولة السعودية، بذلت جهوداً تشكر عليها وجعلت مدارس محو الأمية تقترب من المدارس الأخرى وعمت أرجاء المدن وتشعبت في الأحياء، وغزت القرى مما جعل هذه الجهود تثمر ثمارها الطيبة. وقد أسست أول مدرسة لمحو الأمية في تبوك عام ١٣٩٢هـ وأخذت تتنامى وتزداد أعدادها حتى بلغت ٢٧ مدرسة في تبوك حسب التقرير الإحصائي لعام ١٤١٢هـ.

وقد بلغ مجموع المدارس في منطقة تبوك ٢٠١ من ابتدائي ومتوسط وثانوي ومنها وثانوي ومنها ١٣ تابع لوزارة الدفاع، ١٢ لمدارس أهلية، ٣ تابعة للجمعية الخيرية.

كلية التربية للبنات:

وتضم خمسة أقسام:

الدراسات الإسلامية، والدارسات الأدبية، القسم الإنجليزي، الفيزياء، والرياضيات وفيها دائرة تلفزيونية مغلقة، وتضم عدداً من المعامل المتكاملة وفيها أكثر من ثلاثين عضواً لهيئة التدريس، ويبلغ عدد الطالبات فيها أكثر من ألف طالبة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحياة الاجتماعية

النمو السكاني:

كانت تبوك قرية صغيرة قبل العهد السعودي وظل الحال حتى عام ١٣٦٠هـ وكانت أهمية إدارتها تكمن في كونها مركزاً جمركياً على الحدود وأمنياً لعشائر قبيلة بني عطية التي تحيط بها من جميع جهاتها، وقد دأبت الإمارة فيها على نشر الأمن والاستقرار، فانتعشت الحركة التجارية في تبوك ولحقت بها الحركة العمرانية، وقد استفادت عائلة آل غريض من ذلك فاستثمرت الأراضي، وكونت المباني وشاركها قليل من بني عطية، وبعض القادمين لتبوك مبكراً من أبناء المملكة.

وقد استفاد أهل البادية من بني عطية من تلك الحركة فأخذت قوافلهم تتجه إلى تبوك لقربها لمساكن القبيلة بدلاً من الذهاب للأسواق الخارجية، وأخذ بعضهم يُعجب بها ويستوطنها.

وقد بادرت الدولة السعودية إلى تشجيع هجرة البادية، فافتتحت المدارس التي كانت تصرف لكل طالب أربعين ريالاً، وأتاحت فرص العمل، مثل الالتحاق بالقطاع العسكري أو القطاع المدني.

ووزعت الأراضي السكنية على الناس، ثم حدثت مجاعات أهلكت الحرث والنسل، فهاجر كثير من أهل البادية إلى تبوك واستوطنوها ومن الظواهر المشاهدة أن كل عشيرة من بني عطية أخذت تستوطن الجهة من تبوك المواجهة لموطنها في البادية. وهذه الظاهرة رأيناها في أغلب المدن في المملكة وقد استقطبت الحياة الحضرية جلّ أبناء القبيلة حتى أنه لم يبق إلا فئة قليلة جلهم من متقدمي السن أو من اعتاد على حياة البادية لأن كل شاب يفضل الالتحاق بالعمل الحكومي على النصب والكدح في البادية فهو يرى كيفية المعيشة الحضرية، والرواتب الجارية المجزية، والتعليم، فيفضلها على الحياة الرعوية، ولذا فإن ظاهرة انطلاق الشباب بعد أن يشبوا عن الطوع إلى المدن معروفة لدى البادية، وتؤثر في حياتهم، ويتبع ذلك أن الشباب أولئك الذين التحقوا بالحياة الحضرية يتزوجون من بنات البادية، وينزلون بهن للحاضرة، فتكون الهجرة من الجنسين معاً، ولم يمكث إلا الآباء والأمهات وليس لهم من يخدمهم، ويربي مواشيهم، فيضطرون إلى أن يهاجروا للحاضرة.

ومنذ سنوات عديدة أقامت الدولة التعليم الابتدائي في القرى المجاورة للبادية إضافة إلى مدارس الخيام التي تلاحق البادية، فاستقطبت الأبناء ومن ينهي المرحلة الابتدائية ينتقل إلى تبوك ليكمل دراسته فتنتقل الأسرة معه أيضاً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مع هذا ظلت بعض الأسر في البادية لكن هؤلاء يؤثرون على مسيرة أبنائهم التعليمية، فالأبناء يخرجون لهم في كل أسبوع، ويمدونهم في عرباتهم بالماء والأعلاف والغذاء فيشغلونهم عن التحصيل العلمي، أو يستنزفون دخل أبنائهم في الأعمال الوظيفية.

ليست الهجرة إلى تبوك من قبيلة بني عطية فحسب ولكنها استقطبت قبيلتي بلي والحويطات وغيرهما على تلك الشاكلة، وإن نافست المدن المجاورة لهم تبوك على تلك الهجرة مثل العلا والوجه وضبا والبدع وحقل لكنها بنسب أقل كما توضحه الدراسة الصادرة من بلدية تبوك التي اقتبست منها الصفحات التالية:

السكان في منطقة تبوك:

وتبوك في نمو متواصل من ناحية العمران والتطور الزراعي وازدياد القوات المسلحة والوفود عليها مضطرد، ولذا فإن السكان في ازدياد مستمر، وقد بلغ عدد سكانها حسب آخر إحصائية مائتان وخمسون ألف نسمة ويمثل الذكور في مدينة تبوك ٥١,٢٣٢%. بينما يشكل الإناث ٤٨,٧٦٨% نسمة وإن من تخطوا سن الخامسة عشر حوالي ٤٨,١٦٦ نسمة وإن من هم دون تلك السن حوالي ٥١,٢٦٨% نسمة.

وإن المتعلمين في مدينة تبوك من الذكور يمثلون ٧٨,٣% منهم ٣٢,٩% حاصلون على الابتدائية و٢٣,٣% يحملون مؤهل متوسط و١٣,٥% خريجي ثانوي بينما الحاصلون على تعليم عال تقدر نسبتهم بحوالي ٨,٦%.

أنماط الاستيطان بمنطقة تبوك:

يوجد في منطقة تخطيط تبوك ١٤٢ مدينة وقرية ومستوطنات أخرى، وفيما عدا تبوك والبلديات الخمس الأخرى، فإن معظم المستوطنات صغيرة من حيث المساحة والسكان. ويتراوح تعداد سكان ستة منها ما بين ٥٠٠إلى ٢,٠٠٠ نسمة و٦٩ منها ما بين ١٠٠ إلى ٥٠٠ نسمة في حين أن ٦١ منها تحتوي على أقل من ١٠٠ مواطن. ويتمركز حوالي ٦٧% من السكان في مدينة تبوك والمراكز الحضرية الخمس الكبرى.

إن غالبية المستوطنات الأصغر بالمنطقة تقع في منطقتي السهل الساحلي وجبال الحجاز الفرعيتين. كما أن لدي منطقتي سهل تبوك وتيماء الفرعيتين الداخليتين عدداً أقل من المستوطنات خارج المدينتين الرئيسيتين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقع معظم القرى والمستوطنات البدوية الصغيرة جداً في جبال الحجاز، ومن الصعب خدمتها. كما أن نمط الاستيطان الغالب في منطقة التخطيط، وخصوصاً في المناطق الجبلية، يجعل توفير المرافق والخدمات العامة أكثر تكلفة وأقل كفاءة مما هو ممكن.

وعلى الرغم من معوقاتها الحالية فإن نمط الاستيطان الحالي بالمنطقة يوفر إطار عمل وأساس لتطوير نظام هرمي للمراكز الحضرية يتفق مع استراتيجيه الاستيطان الوطنية.

تعتبر مدينة تبوك مركزاً إقليما سوف تستمر كذلك. وتوفر المدن الكبيرة الخمس الأخرى خدمات إلى مناطق فرعية واسعة وينطبق عليها تعريف مراكز مناطق. ويوفر إطار العمل هذا أساساً لتطوير نظام ممكن لمراكز أصغر.

السكان بمنطقة تبوك:

التقديرات الحالية للسكان: قدر عدد سكان منطقة تخطيط تبوك في عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) بـ ٢٦٢,٠٨٠ نسمة. وأن ثلاثة أرباع السكان ثابتون، ومنهم ٨٩% تقريباً يعيشون في تبوك وفي مراكز المناطق أو المراكز الكبيرة الخمسة.

ولقد شمل تعداد السكان سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) حوالي ٦٤,٧٢٠ نسمة من السكان الرحل.

قدر عدد سكان تبوك بـ ١٢٦,٢٠٠ نسمة. وهذا يمثل ٤٨% من إجمالي سكان منطقة التخطيط. أما مراكز المناطق الخمس فتحتوي على ٤٨,٥٦٠ نسمة تمثل ١٨,٥% من إجمالي سكان منطقة التخطيط.

يلخص الجدول الموضح أدناه تقدير عدد السكان الحالي. ويوضح الجدول التوزيع الحالي للسكان على المراكز الرئيسية، ويؤكد عمود ((النسبة المئوية من المجموع)) الأهمية الكبرى لمدينة تبوك التي تحتوي على ٤٨% من سكان المنطقة عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جـــدول: تقـــديرات الســـكان حســـب المنطقـــة – منطقـــة تخطـــيط تبـــوك ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)

المنطقة	السكان	النسبة المئوية من المجموع
مدينة تبوك	١٢٦,٢٠٠	٤٨,٢
مراكز المناطق	٤٨,٥٦٠	١٨,٥
تيماء	٩,١٢٠	٣,٥
ضباء	٥,٣٤٠	٢,٠
الوجه	٨,٦٠٠	٣,٣
حقل	٧,٨٠٠	٣,٠
مستوطنات أخرى	٢٢,٦٠٠	٨,٦
السكان الرحل	٦٤,٧٢٠	٢٤,٧

المصادر: المسح الاجتماعي الاقتصادي لتبوك: ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

المسح الاجتماعي الاقتصادي لمنطقة تبوك: ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥م).

أنماط السكان بمنطقة تبوك:

لقد ازداد عدد سكان منطقة التخطيط ٧٨,٠٠٠ نسمة خلال الفترة منذ إحصائية السكان الأخيرة لعام ١٣٩٤هـ(١٩٧٤م) إلى عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م). ولقد كانت نسبة الزيادة ٤٢% أقل من النسبة التي حققتها المملكة بشكل عام (حوالي ٤٧%) خلال نفس الفترة، فلقد تم منذ عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) هجر ميناء ضبا القديم ومن المرجح أن يكون سبب انخفاض عدد السكان هو أن قسماً كبيراً من السكان المقيمين هناك قد هاجروا بدون حلول سكان جدد محلهم. وتبين النتائج المستخلصة من المسح الاجتماعي الاقتصادي أن قسماً كبيراً جداً من مواطني ضبا ((كانوا يعيشون هناك بشكل دائم)) كما وأن المستوطنات الصغيرة شهدت نمواً محدوداً وأن عدد السكان الرحل بالمنطقة قد انخفض بحوالي ٢٤٠٠٠ نسمة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحياة الاقتصادية:

كانت الحياة المعيشية تعتمد على نوع من المزارع التي تغلب عليها زراعة النخيل وبعض الحبوب الموسمية في تبوك والقرى المجاورة لها والمتباعدة عنها ومع كثرتها وحبهم للأعمال الزراعية غير أنها لم تغن شيئاً، فهم يعتمدون على الرعي في أغلب حياتهم، ويقومون ببعث القوافل، لتعود بالحبوب وألوان التجارة من الشام، ويفدون إلى العلا وتيماء لجلب التمور وكذلك إلى ضبا من أجل الإتيان بالضروريات التي تزرع في الساحل والتي ترد عن طريق المرافئ الساحلية.

ولما توحدت البلاد في ظل الدولة السعودية المباركة، أخذ التغيير يدب في الحياة الاجتماعية، فالتحق الناس بالوظائف الحكومية، وأخذوا يعملون في عروض التجارة، وهاجروا من البادية طلباً للعلم والرزق، وشجع ذلك السياسة التي تبنتها الدولة لتوطين البادية، ومما أجبر بعضهم للهجرة مع حبهم للحياة البدوية أن المنطقة تعرضت لجفاف شديد في ١٣٧٨هـ هلكت الأنعام خلالها حتى سميت (بسنة العظاميه) الأمر الذي جعل الكثير يذعن للتوطين، فكان خيراً لهم، حيث تعلم أبناؤهم، والتحقوا بالحياة المعاصرة، وانطلق التغيير الاجتماعي، غير أن الاعتماد كله على الوظائف الحكومية، ولا موارد داخلية إلا التجارة، وكانت الأعمال العمرانية للمدينة العسكرية والمنشآت العمرانية احتضنت الكثير منهم، فكان الرجال يعملون ويتعلمون عن طريق المدارس الليلية، ومكافحة الأمية، وربما كان اجتهاداً ذاتياً.

أما الأبناء فإنهم واصلوا مسيرة التعليم في المدارس الحكومية المتناثرة، التي لم تفِ بحاجة المدن والقرى فحسب بل تجاوزته إلى أن تنتقل مع البدو وتلاحق خيامهم أينما حلوا أو ارتحلوا.

ونتيجة لذلك فقد هجر الناس البادية، فلا تجد فيها إلا طاعناً في السن يسعي أبناؤه لإرضائه، أو من لديه هجرة مائية يزرع ويربي الماشية حولها، أو من يملك قدرة على أن يربي المواشي وقت الربيع بجوانب مدينة تبوك، ثم يعود في الصيف بحيث لا تؤثر على مسيرة تعليم الأبناء، وهذا شأن كثير من المدن والقرى في الجزيرة العربية، حيث الاستماع بمناظر الطبيعة وجوها الجميل بعيداً عن الصخب، وتلوث الجو داخل المدن، فيقيمون الخيام في الأراضي المجاورة للمدن ويستقرون فيها أيام الربيع، وربما يخرجون إليها في فترات الراحة الأسبوعية طوال أيام السنة.

وكان من المشاكل التي أدركتها الدولة في هذه المرحلة، أن مدينة تبوك من المدن الاستهلاكية التي يقل نتاجها عن متطلباتها، وأن العمالة تعتمد على مرحلة النهضة، فكيف إذا انحسرت الشركات ألا تحدث بطالة عمالية؟.

نعم شعرت الدولة بذلك، فكان أن أخذت على عاتقها وضع الخطط الكفيلة باستمرار الحياة السليمة، فبادرت إلى إرساء قواعد الزراعة، فوزعت كثيراً من الأرض البور، ونفذت الخطة الزراعية التي تعتمد على القطاع الخاص بمساعدة الدولة المالية والفكرية، وتمخضت حركة اقتصادية، واستهوت المواطنين للزراعة، والعمل في الصناعات المساعدة، والناتجة عنها والتجارة فيها، مما حولت البلد من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مستهلك إلى منتج، وأفسحت المجال لليد العاملة وأصحاب الخبرة واستثمروا جهدهم، وتكونت الجمعيات التي تدفع بالمزارع والزراعة والصناعة إلى طريق التقدم والازدهار، وأصبحت تبوك ومنطقتها مزرعة انتاجية تهفوا إليها قلوب رجال المال والأعمال والمستثمرين.

التركيبة الاجتماعية:

وتركيب السكان في تبوك يتكون من الذين يستوطنون تبوك وهم الغرضان ويطلق عليهم الحميدات، وعددهم قليل، فقد ذكر أصحاب الرحلات قبيل توحيد البلاد تحت ظلال الحكم السعودي، أنهم لا يتجاوزون ستين بيتاً ومنهم من قال أنهم لا يتجاوزون أربعين داراً، وقيل أن عدد سكانها لا يتجاوز المئتي نسمة([1]).

وهؤلاء يشتركون مع القبائل العربية بالمنطقة في كثير من العادات والتقاليد والروابط الاجتماعية كالزواج بينهم وصلة الأرحام، وكذلك بينهم علاقات تجارية، مما كون روابط راسخة.

وتحيط قبيلة بني عطية في عصرنا هذا وقبل توحيد البلاد بمدينة تبوك من جميع الجهات، وقد أخذت في الاستيطان والهجرة إلى الحاضرة مع إطلالة العهد السعودي حتى كادت البادية تنقرض من المنطقة، وانتقلت إلى مدينة تبوك بعاداتها وتقاليدها وكذلك استوطن تبوك كثير من القبائل المجاورة مثل الحويطات وبلي، وجميع القبائل متقاربة في عاداتها وتقاليدها، غير أن واقع تبوك يحتم انحسار كثير من التقاليد والعادات لظروف كثيرة، ومنها اختلاف ظروف الحياة بين البادية والحاضرة، وظروف مدينة تبوك ذاتها، فهي من المدن المفتوحة الأبواب، حيث تستقبل كثيراً من الأجناس من مختلف مناطق المملكة ومن خارجها.

وتتأثر بالطريق البري الدولي، ومما زاد في اضمحلال العادات القبلية، أن تبوك اشتهرت بكونها منطقة عسكرية، وكان الدفاع تركيبة اجتماعية تمثل جميع مدن المملكة السعودية وقراها وقبائلها، وكان رجال القوات قبل بناء المدينة العسكرية يستوطنون المدينة بأسرهم مما أحدث تمازجاً وتآلفاً وتقارباً، ولا سيما أن جميع الوافدين لمنطقة تبوك يجمعهم الدين الإسلامي، فيسيرون وفق تعاليمه، ولذا فإنهم اتفقوا على ما يدعو إليه الدين وانحسرت العادات التي تغايره أو تعارضه من الوافدين والمقيمين معاً.

وكذلك فإنهم يشتركون في لغة واحدة هي اللغة العربية، ولذا لجأ الناس إلى الكلمات الفصيحة وأحجموا عن اللهجات المحلية والوافدة فتقارب الناس في لهجاتهم وكيفية النطق، ونتيجة لهذا التلاحم فإن الدارس الاجتماعي للشرائح الاجتماعية للشرائح الاجتماعية في تبوك يرى بوضوح عدم هيمنة عادات

([1]) انظر: أقوال الرحالة في الفصول السابقة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتقاليد أبناء المنطقة على غيرها. ولكن المتخصص من الباحثين ربما يكشف عن وجود عادات وتقاليد وارتباطات وثيقة بين أفراد البطون والعشائر، ربما تنبئ عن ارتباط بالقبيلة بشكله الكلي.

والثبات على المعتقد الديني، والتمسك بالموروث الشعبي الذي يتراءى من خلال العشائر والبطون يقف حاجزاً ضد الانزلاق في بعض المخاطر، والانهيار الخلقي وإن كان في حاجة إلى بناء مصدات جديدة ومتنامية لتقف في وجه التيارات التي لا تنحصر في جو أي مدينة من المدن فحسب، وإنما تتسرب في جميع المجتمعات الإسلامية والعربية، وقد ثبتت بعض الموروثات، وطرأت ظواهر اجتماعية جديدة بعضها يميل إلى الخير، وقليل منها يُخشى عواقبه.

غير ان الصلة متواصلة والقرابة عامل من عوامل الترابط والتكوين الاجتماعي في تبوك ولكنها انتقلت من القبيلة إلى البطن والعشيرة، ورغم تباعد منازلهم إلا أنهم يميلون إلى الارتباط بالزواج، والولائم، وقليلاً مما تجد ارتباط الزواج بأسر خارجية.

ورب الأسرة هو المهيمن في مجتمع تبوك بيده السلطة المنفذة، وله دور فعال في زواج الأبناء والبنات، لذا فإنها تتمحور نحو الرجل وأبناء عمومته وأقاربه وربما أن إصرار أبناء القبائل على التزاوج من القريبات كان أهم عاملاً في عدم تمازجهم مع الشرائح الأخرى في المجتمع.

ويتميز المجتمع في تبوك بالوعي التام نتيجة التعليم، والامتزاج الحضاري، فيصعب وجود شعوذة وخرافات وانحرافات، وإن أي طارئ يطرأ سرعان ما يندثر لأنه يوضع تحت المراقبة فيناقش ويحدث حوله جدلاً حتى يتبين خيره من شره.

ويتصف أهالي المنطقة بالقناعة والطيبة فلا يحملون أحقاداً، ولا يلحون في طلب، ولا يكررونه أو يتمادون فيه، وهم يميلون إلى الصراحة والوضوح، إن أحب الفرد منهم ظهر حبه، وإن كره أعلن كرهه، ولا يماري، شديد في إخلاصه، ذو مروءة وأنفة شأنه شأن أبناء الجزيرة، وأصبح الكرم خصلة عالقة في نفوسهم يتوارثونها حتى أسرفوا وتجاوزوا الحد فيها.

وقد أدرك تلك الخصال فيهم الأمراء من آل سعود وغيرهم، فأعلنوها في مجالسهم ومنتدياتهم وقد وصفها الشعراء في المنطقة من الإخوة الوافدين الذين عاشوا في التعليم زمناً طويلاً وكذلك تغنى بهذه الخصال شعراء المنطقة من الشباب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مشاكل الزواج في تبوك:

والقبائل التي تحيط بالمنطقة تميل إلى الزواج المبكر في الأعم والأغلب، وهذا أمر يدعو إليه الشارع الحكيم ويجب أن نسير على منهجه لما فيه من العصمة للشباب من الزيغ والانحلال الخلقي والفساد وبما أن البيئة هنا تتصف بالتحفظ وبالتربية الخاصة التي يميلها الآباء والأمهات إلى أولادهم منذ الصبا حتى بلوغ سن المراهقة. لذا يندفعون إلى هذه العادة الطيبة، إلا أن لها أضرارها إن لم يتروا في الاختيار ولها فوائدها العظيمة والكثيرة إذا تم التكافؤ بين الزوجين وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب إلى الزواج المبكر فقال عليه الصلاة والسلام: ((أيما رجل تزوج في حداثة سنه عج شيطانه يأويله عصم دينه)) ويقول عليه الصلاة والسلام: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)) ويتراوح الزواج ما بين سن الخامسة عشر حتى العشرين للفتيات ويندر من تتجاوز هذا السن وحدد الأمر بالزواج لمن يجد الباءة. والباءة تعني كل دواعي الزواج المعنوية والحسية.

فعلى هذا يجب أن نفكر قبل زواج أولادنا في الاستعداد الشخصي بالنسبة للزوج هل نضج فكرياً وجسمياً؟ وهل استعد لتحمل هذه المسؤولية الكبيرة ثم نفكر في الزوجة كذلك وفي التجانس والتكافؤ بينها وبين حال الزوج جسمياً وثقافياً وتربية وبيئة.

والواقع أن التكتلات القبلية والعصبية ما زالت موجودة فتجد الأقارب يتجمعون ويأخذ كل قريب وهذا نابع عن رغبة من ولي الأمر ذاته وغالباً ما يتم الزواج بعد عملية الإقناع لأسرته أما القسر والعضل والإجبار فهي نادرة وقليلة وكادت أن تنحسر، والالتزام بالزواج من الأقارب يحتاج إلى توجيه وإرشاد وأن لا نحجر على الشاب والشابة في الزواج من قبيلته وأسرته فحسب والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: ((إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساداً كبيراً)). وكلما كثرت الأصهار وتنوعت القبائل ازداد التعارف وقويت الروابط وزال النزاع والخلاف القبلي والله تعالى يقول: ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا))([1]) وإن الالتزام بالزواج من العائلة ذاتها يؤدي إلى ضررين ظاهرين:

الضرر الأول: قد لا يتوفر التكامل في التكافؤ من حيث العقلية والمستوى العلمي والفكري والثقافي ويترتب على هذا عدم الاستقرار وكثرة النزاع والخلافات فلا تستقيم الحياة الزوجية المطلوبة.

الضرر الثاني: قد ثبت الضعف في النسل وقد قال الشاعر العربي قديماً.

([1]) الحجرات ١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد أيّد الطب الحديث كون الزواج من الأقارب يسبب الضعف في الأولاد وانتقال العاهات الخطيرة أو المستديمة بسبب الوراثة لهذا يوجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: ((تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس)).

تكاليف الزواج:

تنقسم التكاليف الزوجية إلى ثلاثة أقسام:

١- المهر.

٢- الحلي والصيغة وأثاث البيت.

٣- حفلة الزواج.

أما بالنسبة للمهر فإن المهر في هذه المنطقة لم يتجاوز حده المعقول عند الأكثرية من المواطنين في هذه المنطقة إلا النادر الذي لا حكم له ولكن المشكلة تكمن في ولي الأمر حيث يأخذ المهر الأب قل أو كثر علماً أن الشارع ينص على أن المهر هو ملك للزوجة فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((فلها المهر بما استحل من فرجها))، ولم يكن المهر معقداً فيجزي القليل والكثير ويمكن أن يجعل منه مقدماً ومؤخراً وقد يكون المؤخر سبباً في إيجاد المشاكل عند الخلافات الزوجية فلا هو الذي يُثبت الزوجة ولا هو الذي يجعل الزوجة تُسرح بإحسان فيكون سبباً لمضايقتها.

الحلي والزينة: بدأت هذه الظاهرة تتعمق في الإفراط والتبذير وتظهر وتنتشر حتى أثقلت هذه العادة كاهل الشباب وحرمتهم لذة الزواج وقلبته من سعادة إلى شقاء مما أدى إلى إحجام الكثيرين عن الزواج خوفاً من هذه التكلفة الجائرة. ويحتاج الأمر إلى توعية المواطن إلى أن الصيغة والذهب تقليد لا جدوى وراءه ولا فائدة بل هو سبب من أسباب عرقلة الزواج والعبرة تكمن في الزوجة ذاتها والمفخرة يكون في دينها وأخلاقها وأمانتها وثقافتها، قال عليه الصلاة والسلام: ((تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)). والزيّنة من الكماليات فإذا زاد عن الضروريات وكان هناك فضل مال لا بأس بها. وأما بالنسبة لتجهيز البيت وأثاثه فهذا أمر مطلوب ولابد منه لكل زوج ونحن نؤيده لاستقرار الزواج ولسعادة الزوجين لكن بقدر المستطاع بلا إفراط ولا تفريط: ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها))([1]) فليزم البعد عن التفاخر والتقليد وإبطال المظاهر التي تزول سريعاً وترك التكاليف الكثيرة

([1]) البقرة ٢٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاكتفاء بما تيسر فكانت العادة سابقاً في الجزيرة العربية في سجادة وجمل وما يشبه ذلك ثم يُذْبَح خروف أو تُنْحر ناقة تقدم قبل موعد الدخول بساعات وليس فيه شروط ولا تعقيد.

حفلة الزواج: هي رأس المشكل في هذه المنطقة وهي أعقدها وأشدها على الزوج وعلى أقاربه لأن تمكّن العادات والتقاليد في نفوس وطباع السكان واعتقادهم بأن مخالفتها عار تُعاب به القبيلة أو الأسرة ويؤثر على سمعتها ومنزلتها في المجتمع.

يبدأ الزوج وأقاربه بالإعداد قبل شهر أو أكثر ويهيئون المستلزمات من خيام وفرش وأثاث وأواني فهم في حالة إرهاق وتعب شديد لا يحسدون عليها ثم يحضر المدعوون وكل واحد معه شاة تساوي خمسمائة ريال أو أكثر (معونة) ويبدأ تجمعهم من غداء يوم الأربعاء ويستمر لعشاء الأربعاء وغداء الخميس وعشائه وغداء الجمعة وعشائها فيكون قد قدموا ست وجبات رئيسية أضف إلى ذلك وجبة الإفطار لكل يوم لمن كان بعيداً عن المدينة ولا شك أن عملية الطبخ وتكاليفه كثيرة تقدر بثلاثة آلاف ريال كما أن الدعوة تشمل الأهل والجيران والأصدقاء والمعارف فهو ملزم بأخذ الاحتياط لأكبر عددٍ يمكن حضوره فيضطر إلى ذبح عشرة من الأغنام أو أكثر ويطبخ قدوراً من الأرز وإذا حضر وقت الوجبة فوجئ بالعدد القليل وهكذا في بقية الوجبات فيكون قد خسر خسارة مالية مع التعب والشقاء وذهب الطعام مع النفايات، فلا يستفاد منه وهذا العمل مخالف للتعاليم الإسلامية فإن الله تعالى نهانا عن الإسراف والتبذير ويقول الله تعالى: ((كلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين))(1) ويمكن البعد عن هذا الإسراف بحفلة صغيرة متواضعة في يوم الزفاف فقط فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنه وطعام الثالث، سمعة ومن سمع سمع الله به)) وقد أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفيه بسويق وتمر وقال لعبد الرحمن بن عوف أولم ولو بشاة.

الإعانة: الإعانة أمر مستحسن ومستحب يميل إليها الناس لما فيها من التكافل الاجتماعي وقد سأل أحد الأفراد الإمام أحمد بن حنبل فقال: إن لي قريباً فهل من صلة الرحم أن أستدين وأعينه أو أتركه فأمره بإعانته وقد أمر رسول الله أصحابه أن يجمعوا الشباب يريد الزواج وهو فقير فقال: ((اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب)) فجمعوا له وذهبوا به إلى القوم فزوجوه وقد سار على هذه السنة الحميدة بعض قبائل هذه المنطقة ولكن للأسف تطور الأمر إلى الإفراط وإلى تكليف الإنسان نفسه أكثر مما يطبق فقد كان يقدم مبلغاً رمزياً أو شاة إن استطاع حتى تطور الأمر الآن إلى تقديم الإعانة من الإبل حتى بلغ المقدم منها لزواج واحد وأربعين رأساً ولآخر عشرين رأساً وهذا فيه من المضايقة على المعين وعلى المتزوج لأنه مدان بها وهذه الحالة أسميها استنزاف مالي للمجتمع فهي عبء ثقيل على المتزوج وعلى المدعوين وتذهب هذه الذبائح هدراً لا فائدة منها علماً أن أغلب أهل الدعوة لا يزيد دخله على

(1) الأعراف ٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ألفي ريال ولا يخلو كل أسبوع من ثلاثة أو أربعة متزوجين وفي نظره أن من العيب عليه أن لا يقدم المعونة (القود) ويذهب راتبه على هذه الحالة ويضطر إلى أن يستدين.

وهذا (القود) لا فائدة فيه وهو من الإسراف وقد يأتي بالقود على كراهة للضيق المالي وكما قيل: ((مكره أخاك لا بطل)) وربما حدث تنافس. والواقع أن هذه المعونة تذهب هدراً فلا المتزوج جمعها واستثمرها وسدد بها ديونه أو استهلكت استهلاكاً واقعياً أو احتفظ بها صاحبها فلم يستدينها وأني أرى أن حل هذه المشكلات والمعوقات يمكن في حملة واسعة في ترشيد الناس ووعظهم في المساجد وخاصة في خطب الجمعة وكذلك عن طريق الإمارة بإصدار تعميم تحدد الحفلة لليلة واحدة فقط وتعممه على المراكز والأحياء داخل البلدة ويكون العمدة هو المسؤول عنها أو شيخ القبيلة وقد سبق أن تكرمت الدولة بمعالجة الرمي بالسلاح الحي في الحفلات للزواج فلاقت قبولاً وارتياحاً وعدل الناس عنها علماً بأنها كانت عادة متبعة في الزواج، ونظراً لكثرة الأسلحة بعد حرب الخليج فقد عادت مرة أخرى، وكانت النتيجة أن حدثت مآسي كثيرة من إصابة عن طريق الخطأ ثم قتل وقد قتل أحد الأفراد صباح زواجه فأصدرت الإمارة منعاً صريحاً التزم به الكثير.

الأعياد:

وفي الأعياد، ولا أعياد عندهم إلا العيدان الإسلاميان عيد الفطر المبارك وعيد الأضحى، وتُقام الزينة في البيوت والدور، وتضاء الأماكن العامة والطرقات، وتعد الإمارة في الأحياء ميادين فسيحة مزدانة بالأضواء. تقام فيها الألعاب الشعبية لعدد من أقاليم المنطقة لكثرتهم في تبوك ويُقام مركز أكبر للألعاب تشرف عليه الإمارة ويحضر جانباً منه الأمير أو من ينيبه.

وقد دأب الأمراء من آل سعود أو نوابهم بإقامة حفل إفطار في قصر الإمارة ضحى يوم العيد لأن الناس يتوافدون بعد الصلاة مباشرة للسلام على الأمير وتهنئته بالعيد ثم يقبلون على طعام الإفطار وفي صباح العيد تقفل الحوانيت، ويلبس الناس أفضل حللهم وترى الطرقات وقد ازدهت بالبنين والبنات الصغار في مرحلة الطفولة وقد أخذوا يتنقلون إلى بيوت الأقارب وهم في أجمل حلل ويلبس الرجال الثياب والغترة الحمراء أو البيضاء، والعقال الأسود اللون والعباءة ذات القصب الجميل، ويتطيبون بأفضل أنواع الطيب، ويحضرون طيب العود الذي يدار على الجلساء في مداخن صغيرة جميلة.

وفي اليوم الثاني يكثر خروج الناس في جماعات عائلية أو شبابية في رحلات إلى ساحل حقل، أو يخرجون إلى الأماكن البرية المجاورة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتجرى السباقات بين الخيول وكذلك بين الهجن، وتحلى كلها بالزينة وينتقلون من مكان إلى مكان ويهزجون أهازيج الفرح وهم فوق خيلهم أو إبلهم ويكون السير متقارباً لا بقصد المنافسة إلا أحياناً. ولهم في الأعياد أغاني وحداء يميل إلى الحماسة.

وفي الأعياد يتزاورون ويتآلفون ويكون البشر مرتسماً وتنحر الذبائح وتكثر الخيرات التي يقدمها كل بيت.

وفيها تلبس أجمل وأحلى الملابس ويكون الإعداد لها مسبقاً للرجال والنساء والأطفال.

وفي الليل يكون السمر حيث يجتمعون، فمنهم من يستمع إلى الأحاديث والقصص ومنهم من يؤدي الألعاب الليلية المتعارف عليها مثل (البدع) عند بني عطية و(الرفيحي) عند الحويطات وبلي، إضافة إلى الألعاب الشعبية الأخرى التي تناسب الأطفال والشباب والرجال والنساء فالكل له لعبة تناسبه وتكون النساء في معزل وستر عن الرجال.

والسابق في يوم العيد على الهجن أو الخيل له نظام خاص فإذا كان على الخيل فإنها تحلى بالزينة على السرج وعلى المقدمة.

أما الهجن فإنه يحمل عليها (الشداد) المركب وهو من الأخشاب الصلبة ذات القوة يتضمن مكاناً للراكب وأطرافاً يعلق بها ما يحتاج حمله مثل الخرج وله شقان صغيران توضع فيها الملابس الخفيفة وبعض مستلزمات السفر وهو مصبوغ بالألوان المتعددة، وله عدد من الأطراف الملونة التي تنتهي كل منها بما يشبه الوردة ويمتد من أعلى الدابة حتى يقترب من الأرض.

وكذلك توضع (الغرضة) وهي معلم جمالي يوضع على مقبض المركب الخلفي وتكون ملونة وممتدة إلى ما يقرب الأرض وهي أطول من الخرج أما في الأمام فتعلق (الدويرع) على الرقبة وهي مأخوذة من الدرع الذي يلبسه المقاتل غير أنها من الجلد المقسم إلى أقسام هندسية جميلة.

المقود أو الزمام ويسمى (الرسن) مصبوغ بعدد من الألوان وله معالم على شكل الورود ويشبك من خلف الرأس وأمامه وجوانبه.

الأماكن الترفيهية:

الخضرة والماء والمعلم الجمالي رموز الحضارة الإسلامية؛ اعتنى بها الآباء انطلاقاً من قصورهم ودورهم وتفننوا بتجسيم الحيوانات، وتلوين النوافير والحدائق المنزلية أو بالغوا في جماليات الدهاليز، وهي مداخل القصور وأوصوا بها؛ لأنها الصورة الأولى التي تعبر عن القصور وساكنيها، ومروان بن الحكم أول من قام بوضع البلاط في الطرقات العامة في المدينة المنورة، وجمال بغداد وروعتها وحدائقها، أمر يدعو إلى العجب، وفي زماننا المعاصر ازدادت أهمية الوسائل الترفيهية لتحد من طغيان التقنية واستحواذ العقلانية،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصخب الحياة، لذا فإن الحدائق والتشجير والملاعب ووسائل التسلية ضرورية من متطلبات المدن، وأنزلوها منزله الرئة من الإنسان، وفضلاً عن ذلك فإن تبوك أحوج ما تكون إلى الحزام الأخضر الذي يخفف من قوة الأعاصير الترابية الوافدة من الجهة الغربية والتي تحمل الأتربة بكثافة كثيرة ومؤثرة، من أجل ذلك عمد ولاة الأمر ورؤساء البلديات إلى ابتهال كل قطعة أرضية غير مملوكة ووضعوا المعالم الجمالية فيها، وغرسوها بالأشجار الجميلة، كما وضعت أمكان للزراعة في الطرقات المستحدثة وقامت بزراعتها بألوان الورود والأزهار.

واعتنت بالمعالم الجمالية في جميع الطرقات داخل المدينة، وزينتها البلدية بالنوافير والمعالم الجمالية، والنافورات الملونة والعالية حتى بلغ عددها أكثر من ٣٢ نافورة، وأولت الأحياء رعايتها فجعلت في كل حي من الأحياء حديقة بعضها زرع والبعض الآخر ينتظر، ومن الحدائق ما هو أكبر وأعم فيأوي إليه أهل المدينة كمثل حديقة الملك عبد العزيز التي تحتل مساحة كبيرة في قلب المدينة. وتحتوي كل حديقة من الحدائق على ألوان من ألعاب الأطفال إلى جانب أرصفة لسير المشاة.

ومن المشاريع ذات الأهمية وذات الحياة النابضة المشروع الترفيهي لحرم سكة حديد الحجاز بتبوك التي تفصل المدينة إلى قسمين كبيرين وتخترق المدينة من جنوبها حتى شمالها، ويتراوح عرضها ما بين ١٣٠ إلى ٢٥٠ متر، وتتجه العزيمة إلى تكوين مسطحات خضراء ومسطحات خرسانية، ورخام على شكل دوائر، وبناء مخيمات من النوع الثابت ومسطحات مائية وممرات للمشاة، وحديقة للحيوانات، ومركز حضاري للمحاضرات والندوات، وأفنية للاحتفالات الشعبية، ومكتبة عامة، ومتحف يجمع آثار المنطقة، ومن الخير إيجاد الخدمات الضرورية مثل الهاتف والبريد والأكشاك، والمطاعم الخفيفة.

وعمدت البلدية إلى الجهة الشمالية من حرم السكة فأخذت بإنشاء المسطحات الخضراء وتركيب المظلات، وبعض ألعاب الأطفال وعليه إقبال من الأهالي بكثافة كبيرة الأمر الذي يدعو إلى مواصلة الجهد وإنجاز المشروع متكاملاً ولو كتب له ذلك لجعل من تبوك لوحة فنية.

وقد أخذت البلدية بترميم القلاع التركية الممتدة بمحاذاة السكة الحديدية فانتزعت عنها القرميد الأحمر المتهالك ووضعت آخر جديد، ونزعت الأحجار المتداعية وجعلت عليها أرقاماً لتعيدها في مكانها الأول، وشرعت بإصلاحها من الداخل ليستفاد منها، وعملت على تجميل مداخلها، ووضعت الأرصفة حولها.

وكذلك فعلت بالقلعة القديمة لتبوك حيث أعادت بناء المتهدم وأنشئت متنزهاً قريباً منها.

أما الحزام الأخضر فإن الدراسة الاستشارية فيه نسمع عنها من القديم وكانت تكلف أربعة آلاف ريال ثم أربعين ألف ريال حتى بلغت الملايين، غير أن الأمير عبد المجيد لما رأى من تأخره فإنه شرع بالمشروع بأن وضع عمالاً يزرعون الأشجار الثابتة على شكل غابة وكتب لها النجاح وهي مظلة وإحدى الحواجز المفيدة لمدينة تبوك من الجهة الغربية ولكن تحتاج إلى مزيد من الرعاية والإشراف والتوسع، وحبذا لو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استفادت البلدية من مياه الصرف الصحي وقامت بمعالجتها وتنقيتها أو الاستفادة من مجاري المدينة العسكرية ووزعتها عن طريق المجاري الضخمة على المزارع المجاورة، وقامت بزراعة ألواناً من الأشجار حول المدينة وبذلك تستفيد من المياه التي تذهب هدراً وأحدثت أضراراً لوجود طبقة تمنع تسرب المياه للأعماق. ومن أكبر المشاريع الترفيهية، الأستاد الرياضي في تبوك الذي يستوعب أكثر من عشرة آلاف نسمة ويحتوي على ميادين لألوان الرياضة كملعب كرة القدم، ومسابح وغيرهما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجمعيات الخيرية

وقد تأسس فيها عدد من الجمعيات الخيرية ومنها:

١- جمعية الملك عبد العزيز الخيرية:

تأسست عام ١٤٠١هـ برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز، وقامت بعدد من الأعمال الخيرية طوال السنوات الماضية، ولا زالت تواصل أعمال الخير، وقد أسست روضة أطفال ومدارس أهلية ذات مستوى جيد، وكذلك معهد للصم والبكم وهذا المعهد ضم أخيراً إلى وزارة المعارف. وقد وضعت لها أهداف أهمها: تقديم العون والمساعدة العينية والمالية إلى الأفراد والأسر الذين تثبت حاجتهم واستحقاقهم بعد إجراء بحث اجتماعي لهم على ضوء الحالات الآتية:

أ- المرض أو الوفاة أو العجز أو ما يشبه ذلك.

ب- الكوارث التي يتعرض إليها الأفراد والأسر كالحريق والسيول وتهديم المنازل والحوادث ذات النتائج السيئة أو غيرها من الحالات المشابهة.

ج- الاشتراك والمساهمة في المشروعات الخيرية مثل (معونة الشتاء أو كسوة العيد).

د- المساهمة عن طريق تقديم العون المالي في نظافة أماكن العبادة ومغاسل الموتى وما يشبه ذلك من أعمال خيرية.

هـ- المساهمة والمشاركة عن طريق إصدار نشرات صحية لتجنب الأفراد والأسر من عدوى الأمراض المنتشرة.

و- المساهمة والمشاركة وتقديم المساعدات لأي مشروع ترى الجمعية أنه ذو أهمية بالنسبة للوطن والمواطنين ويتفق مع أهداف الجمعية المشار إليها أعلاه.

ز- تنظيم مشروعات ترى الجمعية أن الهدف منها تقديم خدمات اجتماعية وثقافية للأفراد والأسر كبرامج الأمومة والعجز والطفولة وما يشبه ذلك([1]).

٢- جمعية الملك خالد الخيرية النسائية:

تأسست عام ١٤٠١هـ برئاسة حرم الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز الأميرة سارة العنقري وتهدف إلى إعانة الأسر وتعليم المرأة لعدد من المهن:

([1]) التقرير السنوي، السنة السادسة ١٤٠٦ _ ١٤٠٧هـ ص٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مثل الخياطة والتدبير المنزلي وتعليم اللغة الإنجليزية وقد عمدت إلى الأسواق الخيرية وكذلك طلب زيادة عدد من الأطباء للمنطقة وتقوم بجهد تشكر عليه.

٣- الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم:

مواكبة لانتشار الوعي الإسلامي والعمل على نشره، وتعهد شباب البلاد بمدارسة القرآن وحفظه، فقد قامت الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، في تبوك عام ١٤٠٣هـ وصدر الترخيص لها في عام ١٤٠٤هـ برئاسة فضيلة الشيخ عبد العزيز الحميد، والجمعية قدمت خدمة متواصلة للقرآن الكريم في مدن المنطقة فهي القائمة على تدريس القرآن الكريم في المساجد على شكل حلقات بلغ مجموع المنتسبين إليها (١١٢٩) طالباً، وقد عملت لها بعض الموارد الذاتية مثل المكتبة الإسلامية ومثل هذه الجماعة نتمنى لها من الأعماق البقاء والخلود، ومواصلة المسيرة فهي نور القلوب وحافظة التوازن والاعتدال لشباب الأمة.

٤- لجنة أصدقاء المرضى في منطقة تبوك:

إن الهدف الأساسي للجنة أصدقاء المرضى هو هدف إنساني واجتماعي حيث ينطلق من مبادئ عقيدتنا الإسلامية السمحة التي تدعو إلى الرحمة والتراحم وانطلاقاً من ذلك يمكن تفسير القواعد التي وضعتها اللجنة كخط عمل لها يمكن إدراجه وفق التفسير التالي:

١- زيارة المرضى في المستشفيات وتقديم الهدايا والورود لهم في المناسبات والأعياد إضافة إلى الزيارات الدورية اليومية المعتادة.

٢- دراسة أحوال المرضى الاجتماعية والمادية للمشاركة في إيجاد الحلول لها كالمساعدات المادية والعينية لأسر المرضى المعدمين.

٣- التنسيق مع الضمان الاجتماعي في دراسة أحوال المرضى المنقطعة بهم السبل.

٤- مساهمة اللجنة في تخفيف العبء على المرافقين لهم إذا كان المرافق من خارج مدينة تبوك وفي حاجة إلى معونة.

٥- ترتيب أولويات الإعانة للمرضى حسب حالة المريض الصحية ودرجة خطورة حالته من عدمه ويكون ذلك على ضوء التقارير الطبية للمريض.

٦- إتاحة الفرصة للمريض لشرح شكواه والتي قد تكون بداية حالات نفسية نتيجة قلق على معيشته أو ظروف صعبة يمر بها وتحيط به والمساعدة على حلها.

٧- المساهمة مع إدارة المستشفيات عند الحاجة في الحصول على فصائل الدم النادرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨- الاستفادة من برامج وزارة الإعلام ووزارة الصحة في التوعية الصحية.

٩- طبع النشرات والكتيبات الخاصة بالتوعية الصحية في المناسبات مثل الأسبوع الصحي والمناسبات الصحية الأخرى.

١٠- يحق للجنة إضافة ما تراه من أعمال تعتبر متممة لأهدافها ومحققة لرسالتها الإنسانية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

الحياة الفكرية والأدبية

المتأمل في بداية النهضة الفكرية والأدبية في المنطقة يرى أن أهم العوامل في تناميها الأمن الذي مدّ ظلاله على المنطقة في العهد السعودي حينما توحدت البلاد في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣١٥هـ، وقد صحب الأمن الاستقرار والهجرة من البادية إلى الحاضرة فألتحق الأبناء بالمدارس، وتوافد إليها الكثير من أبناء الجزيرة من نجد والحجاز والجنوب وفيهم المتعلم والمثقف ومن القضاة والعلماء والأمراء ومنهم الضباط الذين نالوا حظاً من الثقافة هؤلاء كان لهم سهم في مسيرة التعليم والتثقيف، ثم افتتاح المدارس وانتشارها، وما صحبها من وجود الكتب، ومن وفود المدرسين من البلاد العربية.

ومن العوامل الأخرى في تكوين النهضة المعرفية سهولة المواصلات، واتصال البلاد بالأقاليم داخل الجزيرة العربية، والمدن الرئيسية، فقد قام الطريق البري الدولي من مكة المكرمة والمدينة المنورة حتى تبوك ومنها ينفذ إلى المملكة الأردنية الهاشمية وبلاد سوريا ولبنان مما يسر وصول الكتب والمجلات والصحف.

ولم تلبث المنطقة أن استقبلت الصحف وأخذ بعض الشباب يقوم بمراسلتها والكتابة فيها، ثم ازدهرت مدينة تبوك وتطورت وأصبحت عاصمة للمنطقة الشمالية الغربية، فكثرت المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية وبعض المعاهد مثل المعهد العلمي وكلية التربية للبنات وكلية إعداد المعلمين، وصحب هذه المعاهد والكليات تواجد فئة من العلماء الأفاضل الذين قاموا بحركة علمية منظمة وتوجيه جيد لأبناء المنطقة وكانوا يوجهونهم للمجلات والكتب والقصص الأمر الذي جعل كثيراً من الشباب يتجه للكتابة وملاحقة الإصدارات الحديثة وكثيراً من هؤلاء المعلمين يقول الشعر وينظمه ويتذوقه فيتأثر به تلامذته بل تجاوز الأمر لأن يعلمهم أصول العروض والقافية ويمرنهم على النظم وإني لأذكر منهم الأستاذ أحمد مكي الجيلي فكان شاعراً أزهرياً عالماً، وأخذ يقرض الشعر، ويطلب من تلاميذه معارضته وربما يكون إيجاز بيت أو تخميس وهكذا وكان من أبنائه الشاعر مسلم فريج العطوي، ومن الأساتذة الذين كان لهم دور في المنطقة والحركة الأدبية الأستاذ محمد أمين قره على المدرس في معهد تبوك العلمي والذي يتحلى بأخلاق فاضلة وصلاح وتقى وعلم وافر ويقرض الشعر فكان يتأثر به التلاميذ والشباب ويعلمهم قول الشعر ويطلب منهم الممارسة وتكرار التجربة.

وهؤلاء لم يكن همهم التعليم فحسب وإنما كثير منهم شعر بالنهضة السعودية وعاش تطورها، وأحب المواطن وتفاعل معه، وألف البلاد وأهلها وانطبع ذلك في تجاربهم الإبداعية كثيراً فقد وصفوا التقدم العمراني والزراعي والصناعي والعلمي والتعليمي، وقد ظهرت انطباعتهم في قصائد شاركوا بها في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المناسبات الوطنية وهي كثيرة جداً غير أن جمعها يصعب الآن وأذكر منها قصيدة (فكر وعرفان) للأستاذ محمد أمين قرة علي ألقاها في قاعة المعهد العلمي بتبوك أمام الأمير عبد المجيد لعام ١٤٠٢هـ ١٤٠٣هـ. ويقول فيها:

هـذي تبـوك تَبْـكُ مـن خيراتهـا ... فـالأرض نشـوى والعطـاء نمـاء
مـن كـل دانيـة الثمـار كأنهـا ... والزهـر يسـكب عطرهـا الفيحـاء
شـهد العـداة بنهضـة جبـارة ... والحـق مـا شـهدت بـه الأعـداء
سـعدت تبـوك بخيرهـا وأميرهـا ... ولهـا بفضـل جهـوده إنمـاء
قـد صـير الإعمـار فيهـا جنـة ... غنـت بحسـن جمالهـا الورقـاء
هـذي تبـوك قصـورها في جنـة ... وهواؤهـا عنـد السـقيم دواء
ونميرهـا العـذب الفـرات كأنـه ... عنـد المناهـل رحمـة وصـفاء
صـافيتها حبـاً وبـادلني الهـوى ... فيهـا الكـرام لأنهـم سمحـاء
أهـدى الثنـاء – بمـا نظمـت – لأهلهـا ... فبنـو عطيـة كلهـم كرمـاء
فـيهم طمـوح ثقافـة وحضـارة ... ومـن البـداوة فطنـه وذكـاء
عاشـرت مـنهم مـن أحـب فجـادني ... مـنهم وفـاء صـادق وإخـاء
لمـا رأى الـرحمن حسـن فعـالهم ... وبـدا صـلاح بيـنهم ودعـاء
أهـداهم عبـد المجيـد أمـيرهم ... فتـآزرت مـن فضـله نعمـاء

ومنهم الدكتور محمد الشنطي الذي ظل مدرساً في ثانوية تبوك حتى حصل على درجة الدكتوراه وكان يوجه الطلاب للأدب وكتابته ومنهم الشاعر الدكتور عبد الجبار الزيدي سوري الجنسية وله عدد من القصائد يصف بها تبوك والطبيعة فيها. وقد ساعد على التوعية الثقافية والمعرفة وجود المكتبات فقد افتتحت وزارة المعارف المكتبات في المدارس والمكتبة العامة ومن المكتبات العامة في تبوك الآن:

١- المكتبة العامة وهي تحوي على كثير من الكتب المهمة غير أنها ينقصها التنظيم ويرد إليها كثير من الكتب والدوريات ويؤمها الشباب للإطلاع.

٢- المكتبة النسائية أسسها الأمير فهد بن سلطان، ولها مبنى جميل في حديقة الملك عبد العزيز بالمهرجان.

٣- مكتبة المعهد العلمي وتحتوي على كثير من المراجع والمصادر الدينية والأدبية وهي منظمة تنظيماً جيداً.

٤- مكتبة في قيادة المنطقة الشمالية الغربية وفي النوادي مثل نادي الضباط ونادي القاعدة الجوية ومدرسة المدرعات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥- مكتبة كلية التربية للبنات، وتحتضن عدداً من المراجع في مختلف التخصصات.

٦- هناك مكتبات في بعض مدارس تعليم البنات.

وقد قامت في تبوك عدد من المكتبات التجارية التي تؤمن الكتاب وتزخر بعدد من الإصدارات الحديثة وهناك عدد من المكتبات الخاصة المشتهرة في المنطقة مثل مكتبة علي محمد العامري وغيره من الذين حصلوا على التعليم الجامعي.

* وقد وجدت المطبعة في تبوك على شكل فردي من الدوائر الحكومية، والمدارس وقد أخذت الإصدارات تأخذ شكل المجلات والدوريات وبالذات المدرسية وهي تميل إلى الثقافية والمعرفة أكثر من ميلها إلى الإعلام والدعائية.

ثم افتتحت المطابع الحديثة ذات القدرات العالية مثل مطابع مدرسة المدرعات التي أسهمت إسهاماً جيداً في كل ما يؤدي إلى يؤدي إلى الخير والمعرفة وطبعت بعض الكتب الصغيرة والدوريات والنشرات والتقارير السنوية عن الجمعيات.

ومنها المطابع الخاصة ذات القدرة الجيدة والمستوى الرفيع وكان أقدمها مطابع الرحاب، ومطابع الشمال ومطابع العادل ومطابع الغريض وكلها ذات إمكانيات جيدة قادرة على طباعة الكتب الجيدة.

ومن المؤثرات في الحركة الفكرية والأدبية في تبوك توافد الكثير من رجال الفكر والعلماء والأدباء وأساتذة الجامعات إلى تبوك وانتظام كثير من الندوات والمحاضرات وقد أسهمت إدارة الدعوة والإرشاد باستقدام الكثير من رجال العلم إلى المنطقة وكذلك جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فهي تبعت بالكثير من العلماء والأساتذة إلى زيارة المعهد وزيارة المنطقة وإلقاء المحاضرات والندوات مع وفود من طلابها، وقد أقام معالي مدير الجامعة الدكتور عبدالله التركي عدد من الندوات والمحاضرات في قاعة المعهد العلمي وقاعة المحاضرات في قيادة المنطقة ومن أوائل من حضر الشيخ محمد الراوي وأبو بكر الجزائري، والدكتور عبدالله المصلح، والشيخ عبد المجيد الزنداني، والشيخ أحمد محمد جمال والشيخ عبد العزيز المسند، والدكتور مصطفى محمود إلى جانب كثير من المحاضرات والندوات التي تقام في المعاهد والنوادي الرياضية والمسارح المدرسية.

والصحافة السعودية لها دورها في إثراء الفكر والأدب بما تنشر للكتاب والشباب في المنطقة ولها كثير من المكاتب الفاعلة والتي تستقطب المواهب والقدرات الأدبية.

كل هذه الأمور تمثل العوامل الناجحة في النهضة الأدبية والفكرية في المنطقة حيث وجد فيها عدد من الأدباء والكتاب والمؤلفين، والشعراء والذين يميلون إلى كتابة القصة والمسرحيات وقول الشعر، وأشهرهم علي محمد العامر الذي أتمنى أن يجمع مقالاته في الصحف ويصدرها في كتاب فهي تمثل التطور الحضاري لمنطقة تبوك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومنهم من اعتنى بالتربية كالأستاذ محمد صالح المنيف مدير الثانوية المطورة بتبوك، فله كتاب (نظام التوجيه التربوي في المملكة العربية السعودية). وله مخطوط بعنوان (تطور طرق التربية عبر العصور الإسلامية).

وللأستاذ عبد الفتاح الريس مشاركات صحفية يغلب عليها الاتجاه التربوي.

ولي بحث بعنوان (دور التربية في تنمية الطفل السعودي) شاركت به في ندوة (الطفل والتنمية) التي أشرفت عليها وزارة التخطيط وقد نشر البحث ضمن مجلدات البحوث التي نشرتها الوزارة في ستة مجلدات. ولي محاضرة بعنوان (التوجيه التربوي) طبعتها إدارة التعليم في القصيم.

ومنهم الدكتور موسى مصطفى العبيدان عضو هيئة التدريس في كلية إعداد المعلمين بتبوك ورئيس قسم اللغة العربية فيها، وله كتاب (ضباء في الماضي والحاضر)، وله كتاب مخطوط رسالة الدكتوراه وله مشاركات صحفية.

ورجال الفكر والأدباء في منطقة تبوك بذلوا جهداً فكرياً لتطوير تبوك وإصلاحها عن طريق الكتابة في الصحافة، ومعالجة القضايا التي تصحب تنامي وتطور المدن، واتصلوا بالمسؤولين عن المرافق العامة، يشرحون المشكلات، ويقترحون الحلول وفق سياسة الدولة السعودية مفتوحة الأبواب، والقارئ للأدب في تبوك ومنطقتها يعيش الواقع الذي صحب تطور وتنامى تبوك... . .

ومن أوائل الصحفيين ما دل عليه الخبر في صحيفة البلاد عام ١٣٦٩هـ ... . ويتضمن الخبر وصول الأمير خالد السديري إلى تبوك، وقد ذكر في الصحيفة أن الخبر صادر عن مراسلها (حسن شحاته في تبوك) وقد استلم بعض إدارتها.

ومن الصحفيين المشهورين في تبوك: (علي محمد العامر)، وله مشاركات كتابية كثيرة في أغلب صحف المملكة مثل (المنهل)، و(البلاد)، و(المدينة)، و(الجزيرة)، و(الرياض) ... . وهو يعالج كثيرا من القضايا التي تمس المنطقة، ويتحدث عن تاريخها وتطورها، غير أن الرجل لم يجمع مقالاته في كتاب مطبوع، وله مشاركات شعرية في عدد من المناسبات الوطنية ... .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أدباء من منطقة تبوك

١- مسلم بن فريج العطوي:

ومن الشعراء الأستاذ: مسلم بن فريج العطوي الذي نال البكالوريوس في كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في عام ١٣٩٥هـ. وقد التحقق بالدراسات العليا غير أن ظروفه لم تسمح له بمواصلة الدارسة حتى الآن. .

وقد عاش في خضم المسؤولية الإدارية في إمارة منطقة تبوك ... .

ومن أوائل قصائده مطولته في (غزوة تبوك) وهي ملحمة طويلة ألقاها في إحدى المناسبات العامة، وقد أوردتها عند الحديث عن غزوة تبوك في الصفحات السابقة.

والشاعر فرد من أهالي تبوك الذين يسعون ويتمنون أن يكون الوالي لتبوك من الأسرة السعودية ليقوم بتنفيذ الحكم والإصلاحات، لما اشتهروا به من عدل وأناة، ومساواة للرعية، وتنفيذ للمشاريع ذات الحياة والحيوية، والجدوى الاقتصادية والإنمائية، فكان خبر تولي الأمير عبد المجيد بشري سارة وخبر خير استبشر به أهالي المنطقة ولا سيما وهو أول أمير من أبناء الملك عبد العزيز، وقد عبر الشاعر مسلم العطوي عن هذه الفرحة بقوله:

بزغ الضياء من المشارق يظهر ... والطير تهمس لحنها بل تجهر

عشب الوهاد تفتقت أزهاره ... من أصفر يزهو عليه الأحمر

هبت صبا نجد فذي نفحاتها ... بنسيمها يشفى العليل الساهر

تلك الروابي بالثياب تزينت ... بالحب والإخلاص أضحت تزخر

اليوم يومك يا تبوك فزغردي ... عهد جديد بالحفارة يجدر

كل الحناجر أطلقت أنشودة ... ونشيدها (عبد المجيد الظافر)

بالعدل والإصلاح يحكم بيننا ... عن ساعد الإيمان سوف يشمر

والشاعر شأنه شأن الشعراء الذين يستقون من الواقع المعاصر، ويرنون إلى المستقبل بنظرة إبداعية فيتمنى الأماني، لعلها تبلغ قلب المسؤول، فيلبي، وأحياناً يعلن الشاعر صراحة متناهية، يرضي بها الوالي، ويرضى بها الجمهور، فيجهر بالمطالب لا سيما والوالي في أيام ولايته الأولى، فيقول الشاعر مخاطباً الأمير في مستهل ولايته وبالتحديد في ١٤٠٠/٦/١٢هـ:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهنا مطالب نحوكم نفضي بها ... مَنْ غيركم بالبت فيها يجسر؟
أنتم لها والشعب هذا شعبكم ... من حبكم ترقى تبوك وتكبر
أين الميادين الفسيحة عندنا ... أين النوافير العظيمة تهدر
أين الشوارع وسعت أركانها ... من كل شتل في الرصيف تشجر
أين المصانع يكفهر دخانها ... أين الحدائق والحزام الأخضر
أين المشافي بالنظافة تعتني ... يشفي المريض ويستريح الخاطر

وقد لامست هذه الأبيات قلوب الجماهير فأعجبوا بها أيما إعجاب فكانت أمنية وطنية تحققت في بضع سنين.

وفي القصيدة يسدي الشكر والعرفان للملك خالد رحمة الله والملك فهد حينما كان ولياً للعهد والأمير عبدالله على ما اختصوا به منطقة تبوك من المشاريع والبناء والعمران:

الخالد المغوار يسقي جذرها ... بالفعل والرأي السديد يدبر
بالساعدين يقيم شامخ مجدها ... بهما الصعاب وكل خطب يصغر
اليمنى فهد للعلى متحفز ... واليسرى عبدالله ما يتأخر

وتبوك بوابة الشمال كما يحلو للبعض أن يسميها، قد استقبلت جمعاً كبيراً من الملوك ورؤوساء دول العالم العربي والإسلامي، فالملك سعود زارها في عام ١٣٧٣هـ، وزارها الملك فيصل في ١٣٩٣هـ والتقى بالملك حسين فيها، وزارها الملك خالد وشهد شاعرنا هذه الزيارة وهتف بشعره معبراً عن لسان الحضارة التي أرست قواعدها في تبوك ومنطقتها ضمن الكيان الكبير لبلادنا الغالية:

الخالد اليوم يرعى الشعب عن كثب ... الشب والشيخ حول القائد التحموا
تزهو تبوك على البلدان وافتخرت ... أضحى يرفرف في أجوائها العلم
ثوب قشيب ترامى في خمائلها ... رياً يداعب حيناً ثوبها النسم
كل الحناجر تشدو اللحن مذ هبطت ... مواكب العز والأمجاد بينهم
أما القلوب فرفت تحت أضلعها ... فالود والحب في الأجواف يضطرم
الكل يهتف بالتكبير مبتهجاً ... إن كان عيد فإن اليوم عيدهم
الله أكبر ما أبهى سعادتنا ... الغيث ينزل في صحرائنا يسم

والشاعر بعد أن تمنى، ورأى أمانيه تتجسد أخذ في رسم لوحاتها مشيداً بالأيادي الكريمة التي بنت وأشادت هذه الحضارة الشامخة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيقول في الملك فهد:

يا نهضة الخير عمت كل ناحية ... في كل صقع ينال الفرد إحسانا
الفهد يرسم بالتخطيط رفعتنا ... يرعى البلاد وبالتوجيه يرعانا
دستور العدل والإسلام شرعته ... من حاد عنه لزيغ نال خسرانا
رأى سديد وعبد الله ساعده ... عند الملمة يدعو الشهم سلطانا

وفي القصيدة يصف تبوك:

تكلم تبوك تثنت في خمائلها ... أضحى الأديم بثوب الوشي مزدانا
كم من حدائق سر العين منظرها ... أسدت إلينا شذى عطر وأفنانا
كم من مصانع شيدت في مرابعنا ... كم من مدارس إذ ما العد أعياناً

ومن القصائد التي ترسم لوحة الحضارة من جميع شرائحها، وتلقي ظلالها على شريحة النهضة الزراعية قصيدته في موسم الحصاد في شركة تبوك للتنمية الزراعية في ١٤٠٤/٨/٢٢هـ ... . بعنوان: (مناجاة مع حادي العيس).

يا حاديَ العيسِ تستهويه بيداءُ ... يمضي سريعاً تقود العيسَ وَجْناءُ
مهلاً رويدك إن البيدَ معْشبةٌ ... ارفق خطاك فهذي الأرضُ خضراءُ
إن كنت تعهدُ تلك البيدَ مقْفرةً ... تكسو البطاحَ ووجهَ الأرضِ صحراءُ
فاليوم أضحت بحالٍ لست تعهدُها ... يزهو بها الزرعُ والأغصانُ غنّاءُ
اهتزّ منها أديمُ الأرضِ مغتبطاً ... في لمحة العين زانت فيه أنْحاءُ
يا حادي العيس هل نجوايَ تسمعها ... فالصوت رجْعٌ وفوقَ الأرضِ أصْداءُ
إن كنت تحسَب هذا القولَ معجزةً ... صعْبُ الحدوثِ وما يحويه إطراءُ
فانظر تبوك تباهي اليوم منظرها ... كما تباهت بثوب الدل حسناءُ
تلف الحقيقةَ للأبصار واضحةً ... ما تشهد العين للبرهان أجْلاءُ
فرشٌ رقيق من الديباج زينها ... مع وشْي سندس والجنّاتُ فيحاءُ

* * * * * * * * * * *

هلاّ رأيت فجاجَ الأرضِ إذْ كسيتْ ... قمحاً تضيق به في الأفْق أرجاءُ
إما تمعّنْتَ تلْقى كلَّ سنْبلةٍ ... بالرأس تعلو شموخاً وهي شمّاءُ
إذْ ما غشاها نسيمٌ ثم داعبها ... مالت وعادت يشد الجذعَ أرساءُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بحـرٌ تلاطـم في البيـداء لجّتُـهُ ... مـن شـدة العمـق لـمرأى العـين زرقـاءُ
حـين القطـاف إذا الإينـاعُ أبدلـه ... أغـلالَ تـبْرٍ، روابي الأرضِ صـفْراءُ

* * * * * * * * * * * * * * *

أكْـرِمْ بيـومٍ بـدا والحفْـلُ يشْـهده ... يـومٌ سـتبقى لـه في الـنفس سـرّاءُ
يـومُ الحصـادِ وذا يـومٌ مـآثره ... دوْمـاً سـيُلفى لهـا في القلـب إحيـاءُ
تشـدو تبـوك لهـذا اليـوم مـن طَـرَبٍ ... نشْـوى تغـنّى كمـا تشـدوك ورْقـاءُ
مـن جـدْ فـاز وراعـي الـزرع يحصـده ... والأرض فيهـا مـن الخـيرات نعْمـاءُ
إن السـواعد تكسـو الأرضَ خضـرتَها ... بـالعزم تعطـى وذاك العـزمُ بنّـاءُ

* * * * * * * * * * * * * * *

الفهـد دومـاً إلى العليـاء قائـدنا ... فاضـت علـى الشـعب مـن أيديـه آلاءُ
يبـني ويعطـي وعبـد الله نائبـه ... مـا يبتغيـه مـن الأمجـاد علْيـاءُ
للخـير مسـعاه وسـلطان سـاعده ... أعْظَـم بسـلطان إن تشـتدّ هيجـاءُ
سـارت تبـوكُ بـدرب المجـد قائـدُها ... عبـدُ المجيـد ولا تلهيـه آراءُ
تزهـو بفخـرٍ ففيهـا اليـومَ ((تنميـةٌ)) ... والاسـم يعـرف إن تخفـاك أسمـاءُ
زادت بهـا أرضـنا الخضـراءُ رقعتهـا ... صـرحٌ عظـيم لهـذا الشـعب إهـداءُ

* * * * * * * * * * * * * * *

يـا حـادي العـيس سـر فالـدربُ مؤنسـةٌ ... في كـل صِـقْعٍ لهـذا النـور أضـواءُ
أمـرر بحائـل يرضـى العـين منظُرهـا ... وفي القصـيم لمـا ترجـوه إيفـاءُ
فالفهـد ينشـر في البلـدان عزّتَهـا ... لا يسـتطاع لمـا يوليـه إحصـاءُ
أبنـاءَ قـوميَ ابنـوا اليـوم نهضـتنا ... أنـتم جميعـاً لبـذْل الجـد أعضـاءُ
إنّـا لـدينا لنَيْـل المجـد مطلبـه ... لا تلهكـمْ عـن دروب المجـد أهـواءُ
الجـدّ والبـذل والإخـلاص ثروتنـا ... والمـال والآلـة والأرض والمـاءُ
هبـوا فـلا عـذر بعـد اليـوم ينفعكم ... سـيروا واعطـوا فبـذلُ الجـد إعطـاءُ
شـيدوا مـع الـزرع للتصـنيع أمكنـةً ... كيمـا يكـونَ لهـذا الشـعبِ إكفـاءُ
نبغـي الحضـارةَ تبـنى مـن قناعتنـا ... لا نسـتكين لمـا يمليـه أعـداءُ
لا مجْـدَ يرجـى إذا الأقْـوام قانعـةٌ ... ذكـرُ الحقيقـة لا يلغيـه إخفـاءُ
سـيروا علـى الـنهج فالإسـلام شِـرْعتنا ... لا عـزّ إن صـار للإسـلام إقصـاءُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والشاعر يمنح شعره لكل من يمنح الوطن العطاء والجد والعزيمة والصدق ويعلل ذلك بقوله:

البذل والجد والإخلاص منهجنا ... الكل يسعى لنيل المجد مرتغباً
يبقى الوفاء لنا طبع نلازمه ... دوماً سنذكر من أسدى لنا أرباً
من يفعل الخير لا يعدم مآثره ... ما كان فعل لوجه الله محتسباً

وعلى هذا النهج فإنه يستقبل سمو الأمير ممدوح بن عبد العزيز أمير منطقة تبوك فيقول:

ممدوح حل ليرعى سير نهضتنا ... ممدوح عاد ليلقى حبنا كثباً
أهلاً قدمتم وهذا الجمع هنأكم ... من كل صقع إلى لقياكم اقتربا
طاب اللقاء صفاء الحب يجمعنا ... لا فرق يظهر بين الكل لا حجبا

ولم يحصر الشاعر مسلم شعره في حدوده المكانية ولا الزمنية، ولكنه انطلق يصدح بشعره على أغصان الحضارة في بلادنا، وأخذ يشارك الأمة الإسلامية في قضاياها المعاصرة، فيدعو إلى الخير وغرسه كقول في قصيدة بعنوان (نداء إلى الفتاة):

لهي الركيزة وهي نصف مجتمع ... وهي الأساس لما نبنيه من هرم
بنت وأخت وأم حيثما وجدت ... في كل فج من الأقطار والأمم
أس البناء إذا ألفيت موقعها ... إن شيد بيت بغير الأس ينهدم
النشء بين يديها حيث ترضعه ... ما تستقيه من العادات والقيم
أوصى بها الرسول خيراً ومرحمة ... كيما تزيد من الإعطاء والكرم
تلقى مناها وتلكم دربها فرشت ... وشيا تضمخ بالريحان والعنم
نالت من الخط والتعليم أوفره ... في عهد فهد ببذل الخير والنعم
يعلي الصروح وعبد الله ساعده ... شادوا معالم للأمجاد والشيم
تلكم تبوك وذا ممدوح قائدها ... يمضي سريعاً إلى العليا والشمم
إيه فتأتي غذي السير واجتهدي ... إن الفلاح قرين الجد من قدم
فالعلم يرفع بيتاً لا عماد له ... والجهل يثبط بالآمال والهمم
إن المعالي لا تعطي أعنتها ... إلا لساعٍ لبذل الجهد مغتنم
هذي العقيدة لا ترضى بها بدلاً ... من حاد عادً على الخسران والندم
سيري على النهج فالإسلام منهجه ... فيه الدواء لما بالنفس من سقم
والدين أعلى سلاح حيث ترفعه ... نعم السلاح سلاح الدين في الظلم
بالطهر والعقل والأخلاق فامتثلي ... أضفي الحجاب وبالجلباب فاحتشم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن الحياة بهذا العصر معترك ... لابد دون وصول الشهد من ألم
اليوم تلفي طباع حيث ننكرها ... جاءت من الضعف والتقليد للعجم
أما عجمت من الأعداء بهرجهم ... تلقي قشوراً فلا تغنيك من عدم
لا يعجبنك من الأعداء موضتهم ... إن العدو يدس السم في الدسم
وملة الكفر ضد الدين واحدة ... كم كيل منهم على الإسلام من تهم

وتبوك عضو غالي من الأمة العربية وشاعرها يشارك الأمة الإسلامية والعربية أحزانها، ويئن تحت وطئة كوارثها، فيعيش مع أهالي بيروت وصيدا وطرابلس تحت قصف المدافع، وشظف العيش، والتناحر والطغيان الصهيوني، وقد أحس بالمأساة في يوم من أيام الأعياد، فتذكر أحزان المتنبي وقوله:

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عدت يا عيد ... بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وآلام المتنبي فردية وآلام شاعرنا جماعية فيقول: ... . (قصيدة العيد). .

مرّ على الشاعر أحد الأعياد المجيدة (عيد رمضان لعام ١٤٠٤هـ على ما أذكر) وتذكر حال الأمة العربية فكانت هذه الأبيات:

أهلاً وسهلاً قدمْتَ اليوم يا عيدُ ... يزهو بك الشيخ والشبّانُ والغِيدُ
هلّا رجعت علينا اليوم متزراً ... بما مضى أم بأمرٍ فيك تجديدُ
أشارك الناسَ بالأعياد فرحتهم ... والقلب مني ضناه اليوم تسهيدُ
أتفرح اليوم بالأطمار نلبسها ... وإخوة الدين في بيروت قد بيدوا
عاث الطغاة وفي لبنان صولتهم ... للدّار هدمٌ وللسكان تشريدُ
بيروت فيها سعير الحرب مشتعلٌ ... صيدا بها حلّ بعد الأمن تبديدُ
من قبل ذاك ربوع القدس كم صرختْ ... في أرضها حلّ بعد تدميرٌ وتهويدُ
لن ترجع القدس بالأشعار ننظمها ... كلّا ولا خطبٌ تعلو وتهديدُ
في شطّ دجلة فرن الحرب متّقدٌ ... أفْغانُ كابل من أعدائهم كيدوا
في كل دارٍ بها الإسلام معتركٌ ... تخطيط أعدائنا والحكم تأكيدُ
وملة الكفر ضدّ الدين واحدة ... لا من صديقٍ فيرجى منه تأييدُ
يا ويح قلبي أَمِنّا اليوم لعبتهمْ ... مكْر العداة ودسّ الكيد مقصودُ
كم من شكاوى إلى الهيئات نبعثها ... أوْلى بها التّرْكُ أو في الحفظ تأبيدُ
هل هيئة الأمم العزلاء نقصدها ... أم مجلس الأمن يكفي منه تنديدُ
هل عطْف بيجن أم شارون نأمَلهُ ... أمْ عدْل ريجَن أم مترانِ إذْ نودوا
في كلّ يومٍ و ((فيليبٌ)) بجُعْبتِهِ ... حلٌّ وربْط وإصْدارٌ وتوريدُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِـنْ قبـلُ، هنـري وذاك الغـدر شـيمتُه ... كـم قلنـا هـذا لحـلّ الحُلْـفِ صـنديدُ
يـا أخـوة العُـرْبِ هـل يرضـي ضـمائرَنا ... مـع كـلّ هـذا مـن الأحْـداثِ تحْيِـدُ

وفي قصيدته (نشيد العودة) ينسلخ الشاعر من فرديته ويدخل كوكبة الإنسان المسلم، ويغوص ليدخل في أعماق المسلم الفلسطيني العربي، فيزمجر بسلاحه ويصرخ من الطغيان لعل هناك من سامع ومغيث، والحسرة تجري في دمائه، وقلبه يتفجر دماً، والحماس يتجدد مع كل خلية من خلايا جسمه، ويتنقل بين المدن الفلسطينية ليعود الجرح بالنزيف، ولتحيا جذوة الإيمان وحبه في قلوب شبابنا وينشأ حبها مع أبنائنا، وتبوك ليست بذات البعد المكاني ولا الزماني بل تتعانق مع فلسطين في الإخاء الإيماني لذا فإن شاعرها استطاع أن يبلور المجاهد الفلسطيني في هذه القصيدة(١):

هـذا نـدائي بالقضـيةِ يصْـدعُ ... في سَمْـع مـن نشـدَ الحقيقـة يقْـرعُ
اليـوم تعلـو للعـوالم صـرْختي ... مـن يسْـتجيب لصـيحتي مـن يسْـمعُ
يـا مـن سـألت لمـن تـؤُولُ أرومـتي ... إنّي إلى مهـدِ الرسـالةِ أُنْسـعُ
إن تُلْفِـني رثّ الثيـابِ مُشـرّداً ... فالقلـب مـنّي فيـه نـورٌ يسْـطعُ
أنـا ليـث غـابٍ قـد أُبـيح عرينُـه ... أضـحتْ تعيـثُ بـه البُغـاثُ وترْتـعُ
وطـني فلسـطينُ الجريحـةُ مـوْئِلي ... فيهـا ترعْرعْنـا وفيهـا المرْبـعُ
وطـني فلسـطينُ الحبيبـة دُنّسـتْ ... لا بـالقريضِ ولا الخطابـةِ ترْجِـعُ
أبنـاءُ صـهيونَ اللآمـةُ طـبْعُهمْ ... شُـذّاذُ آفـاقٍ عليـكِ تجمّعُـوا
أنّ ذكّـرْتُ فِعَـالهمْ في قَـرْيتي ... فالقلْـب يخْفِـقُ والمحـاجر تـدْمَعُ
أنـا في كيـاني صـورةٌ لـنْ أَنْسَـها ... يـوم اسـتحلّ بهـا الغُـزاة وأوقعُـوا
هـدموا البيـوتَ علـى الـرؤوس وشـتّتوا ... شَمْـل الأقـاربِ والثّكـالى تُفْجَـعُ
بقَـرُوا البطـونَ ويتّمـوا أطفالنـا ... قـتلاً وحرْقـاً والمعاقـلُ تَـتْرعُ
زيتـونتي في الـدار جثّـوا جـذرَها ... كـرْمُ الـوالي بـالمحْترر يُقْطـعُ
مُسْـتَعْمراتٍ شـيّدوا في أرضِـها ... كـي يشْـطبوا تاريخَهـا ويُضـيّعُوا
لا لـن تضـيعي يـا معـالمَ قـريتي ... لا زال رسْمُـكِ في فـؤادي يُطْبَـعُ
لا زلْـتِ تجـري في دمـائيَ حُـرّةً ... مـا دام قلـبي تحْتميـه الأضْـلعُ

* * * * * * * * * * * *

(١) ألقيت في حفل منظمة التحرير بتبوك ١٣/٦/١٤٠٧هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيــن العدالــةُ أيــن نَشْــكو ظُلْمنــا ... أيــن الضــمير العــالميّ فيسْــرعُ
هــل هيئــة الأمــمِ الضــعيفةُ مأمــلٌ ... أمْ مجلــسُ الأمْــنِ المســيّرُ ينْفــعُ
كــم مــرّةٍ شــجبوا لنــا عــدوانهمْ ... كــم مــن قــرارٍ في المحافــل يُرفــعُ
لكنّمــا العــدوان بــاقٍ جــاثمٌ ... أفعــالُهم في كــلَّ يــومٍ تفظُــعُ
((صــبرا وشــاتيلا)) قريــبٌ عهــدُها ... في ((دَيْــر ياســينَ)) المجــازرُ أبْشــعُ
يــا أمّــةَ الإســلام لمِــوا صــفّكمْ ... إنّ العــدوَّ بأرضــكمْ مُتَطمَّــعُ
حيفــا ويافــا والخليــلُ تطلّعــتْ ... والمسْــجُدُ الأقصــى إلــيكم يضْــرعُ
إني فــدائي أعــيش قضــيتي ... أسْــعى لمجــدٍ بالعزيمــة يُصْــنعُ
لم ينْفــعِ الغُصْــنُ الرّطيــبُ رفعتُــهُ ... كــي يرجــعَ الحــقُّ الســليبُ الضّــائعُ
لم تبْــــق إلاّ البُنْدُقيــــةُ في يَــــدِيْ ... لم يبْــــقَ إلاّ مجْنــــدي والمــــدْفعُ
نــادى المنــادي بالجهــاد فحَيْعِلــوا ... والنصْــرُ حتْمــاً للمجاهــدِ واقــعُ
أنشــودتي ((الله أكْبَــرُ)) صــيحةً ... تُحْــنَى لهــا هــامُ العِــداةِ وتخْضــعُ
قيثــارتي تشْــدو بأعــذبِ لحْنهــا ... لمــا تــدوسُ علــى الزّنــادِ الإصْــبعُ
أحْلــى نشــيدٍ أَسْــطيب سماعَــهُ ... صــوْتُ الرُّصــاصِ علــى العــدوَّ يُلعْلِــعُ

* * * * * * * * * *

وَصَــمَتْنِيَ الأعْــداءُ بالإرهــابِ، لا ... أنــا عــن حقــوقي في الوجــودِ أدافــعُ
أنــا صــامدٌ لــن أسْــتكين لغــدرهم ... عــن مبــدأ التحريــر لا أتزعــزعُ
فــالحرُّ لا يرضــى المهانــةَ طبْعُــه ... أمّــا الحقــيرُ فبالمذلّــةِ يَقْنــعُ
أنــا عائــدٌ والخَصْــمُ يعــرف صــولتي ... أنــا ثــائرٌ ولمــن طغَــى أرْكــعُ
أنــا طعْنــةٌ نَجْــلاءُ نحــو صــدورهم ... أنــا غُصَّــةٌ في حلْقِهــم لا تُبْلــعُ
ســأُحيلُها لَهَبــاً يُحــرِّقُ جَمْعَهــمْ ... نيرانُهــا تشْــوي البُغــاةَ وتــرْدعُ

* * * * * * * * * *

لــن يهنــأِ العــيشُ الرّغيــدُ منالُــهُ ... كــلاّ ولــيس يطيــب مــنّي المضْــجِعُ
إلاّ إذا دُحِــر العــدوُّ وجُنْــدُه ... مــن كــلَّ شــبرٍ في ذراهــا يُقْلــعُ
إمّــا كسْــبتُ علــى ثــراكِ شــهادةً ... فوصــيّتي أنــتِ، ودَرْبي تُتْبــعُ
أنــتِ الأمانــةُ مــع بــنيّ وجــيلهمْ ... الطفــلُ يحْفــظ والغــلامُ اليــافعُ
يــا (فــتحُ) إنّ القــدسَ ترْقُــبُ عــودتي ... إنّ شــاء ربّي عــن قريــبٍ راجــعُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشاعر مسلم من الشعراء الملتزمين بالنهج الإسلامي، والحماسي الوطني سبيله سبيل شعرائنا من الرعيل الأول، فمجموعته الشعرية التي أطلعت عليها يتأكد لك من خلالها أن الشاعر دائم العودة إلى القيم الإسلامية، متمثلاً بها في كل مسرب من مسارب الحياة، وفي كل دعوة يدعو إليها، محب لمن يقيم شعائر الدين الحنيف، ينهج نهجه، ويستلهم تعاليمه.

أما العنصر الفني في شعره فإنه يعتمد على البحر والقافية والروي وصورة مستمدة من الواقع ويستمد منهجه في الصياغة والتراكيب من سياقات الشعر العربي المحافظ على الأصالة.

ويعتمد على التقريرية والوضوح ولا سيما أن موضوعاته ومضامينه تدعوه إلى الكشف والإضاءة، فهو ابن المجتمع، ويسطر ديوان حضارة، ويدعو إلى قيم عليا إنسانية، الأمر الذي جعل شعره يتسم بالوضوح وينأى عن نزعة الغموض أو الرمز.

٢- سليمان المطلق:

ومن شعراء تبوك سليمان المطلق العميد المتقاعد المولود عام ١٣٥١هـ في مدينة العلا. وعاش زمناً طويلاً في مدينة تبوك بحكم عمله الحكومي ولأنها عاصمة الشمال الغربي وأكبر مدنها، فأحبها وعشقها، وقام فيها بعد تقاعده ومنحها حبه، ووفاءه، وشعوره فاض بذلك من خلال شعره، يقول فيها:

تبوك يا لؤلؤة الشمال ... ويا نجمة الأفق المتعالي
لي فيك آمال عذاب ... وأخر تتلألأ كالآلئ
أضئن لي ظلمة النفس ... كما يضيء البدر سود الليالي
خرجن من الغيب عرائس ... وكنت أظنهن من المحال
أركبتني كتف الريح ... إن هبت جنوبية أو شمال
فيما استعصى على نسيمها ... وما فل إعصار حبالي
وكلما صافحت حسنا خطرت ... أنت يا تبوك ببالي
وأينما تلفتت عيناي أنى ... أراك ماثلة حيالي
من ذا يرى الشفق الناري ... عند المغيب فلا يبالي
أنت يا وحي الملهمين و ... يا كريمة للبعيد وللموالي(١)

(١) سليمان المطلق، قبضة من أثر جميل ص١٧٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول في قصيدة أخرى:

طابت تبوك وطاب الفال والأمل ... وجد يوماً به الأفراح تكتمل
وغردت فوق هذا الربع صادحة ... من الحمام ورفت فوقها الحجل
وأزهر الروض أفواقاً معطرة ... وصحبتها غواد نؤها الهطل
وجاء فجر جديد النور مشرقة ... ضاءت به الدور والأرحاب والجبل
فمرحباً بك يا فهد بمنزلكم ... دار لكم منذ أجداد لكم أول
صيد أباة ميامين غطارفة ... بيض الوجوه على النجدات قد جبلوا
شم العرانين غوث ما يماثلهم ... إلا الغمام وإلا الواكف الهطل
ففخم إنجازهم حتى نعيش به ... وصدق أخبارهم ما رابها دخل
هذي خطاهم وهذي الدرب دربهموا ... ساروا بها رجل يتلوا بها رجل
وذي بيارقهم خفاقة أبداً ... إذا خلا بطل قام بها بطل
ترادفوا المجد والأمجاد مركبهم ... على ذراها ليوم الدين ما نزلوا

وقد صدر للشاعر ديوان (قبضة من أثر جميل) ونهج نهجه في الغزل، وإن كان يفترق عنه في المنهج الوجداني، فجميل رائد الغزل العذري، ولا يتضح ذلك في شعر المطلق لم يلتزم في بعض أشعاره بالأوزان العروضية وإن التزم بالقافية.

والشاعر سليمان المطلق شاعر يميل إلى الوجدانيات، وتغلب على ديوانه، وكأن الشعر روضة يفيء إلى ظلال دوحها من وهج العمل وحرقة المشاكل الاجتماعية التي يتصدى فيقول(١):

خذي الحياة كلها بفرحة وفن
خذي الهوى جميعه وفي العلن
فليس للحياة قط مستكين للحزن
وليس للمنى والعيش فيها من ذعن
تبسمي
لئن تبسمي لسوف يفرح العمر(٢)

(١) قبضة من أثر جميل ص١٧٩.
(٢) قبضة من أثر جميل ص٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشاعر المطلق بعد إحالته للتقاعد اتجه إلى المشاركات الاجتماعية والمناسبات العامة فأخذ يسطر الأمجاد، ويشيد بالأيادي البيضاء التي تضع حجراً في الصرح الشامخ لحضارتنا فتحدث عن بناء المدينة السكنية لقوى الأمن في تبوك حينما افتتحها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وكذلك تحدث عن تبوك في قصيدة قالها في استقبال صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز أمير منطقة تبوك.

٣- عبد الرحمن شعبان:

ومن الأدباء الكتاب المحدثين في تبوك الشاعر عبد الرحمن إسماعيل شعبان، مدير متوسطة أبي بكر الصديق، والشاعر شارك بشعره في كثير من المناسبات، فنظم كثيراً من الأناشيد لمدارس تبوك وللكشافة أيضاً وتتسم أناشيده بالروح الإسلامية والوطنية يقول:

الله أكبر يا بلادي رددي وخذي البيارق في يمينك وانشدي

الله أكبر الله أكبر

وطني الحبيب ما زال مهلاً بالمدح نحوك بالحسام وباليد

الله أكبر الله أكبر

أنت الجنان إذ الحنان تدفق أنت الإضاءة والسعادة في الغد

الله أكبر الله أكبر

أنا الهناء والوفاء والكرم أنت المشاء والقلوب لك هدى

الله أكبر الله أكبر

يا موطن السعد الكريم لك يد بالعز تعطي والمواطن تفتدى

الله أكبر الله أكبر

حق علي أن أصون محارمك أحمي حماك من عدو أو ردى

الله أكبر الله أكبر(١)

وصدر للشاعر عبد الرحمن ديوان (ألوان) ويمثل مجموعة من لهمسات الشعرية ضم فيه ثلاث مجموعات: الأولى تتضمن الشعر الفصيح، والثانية الأناشيد، وخص الثالثة بالشعر النبطي، وإن كنت لا أرتضي أن يضم اللغة العربية والعامية كتاب مكتوب ولا ديوان مدون.

ومضامين شعره تناثرت في الحياة الذاتية من وجدانيات وسبحات ورثاء واجتماعيات يقول في قصيدة بعنوان (وجاءت العراف):

---

(١) عبد الرحمن شعبان، ألوان ٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجـــاءت العـــراف ترجـــو نصـــرة الحـــب الحـــزين
فـــأزاح الهـــم عنهـــا بحجـــاب وفنـــون
غرهـــا بـــالقول لمـــا هـــام بالعقـــد الحنـــون
قـــال مهـــلاً جـــردي لي ســـاحة الصـــدر الحنـــون
أســـلميني راحتيـــك وامســـحي فـــوق جبيـــني
ومضـــى الإعصـــار يجتـــاح حماهـــا لمنـــون
فأحســـت بخـــداع النـــذل مفتـــول اليمـــين

والأستاذ عبد الرحمن ضمن طلبة العلم الذين تخرجوا تحت ريادة الأستاذ محمد ناصر الحامد الذي تخرج بين يديه عشرات العلماء والأدباء في المنطقة واشتهر بحزمه الإداري، وقدرة على القيادة التعليمية، مما أنزله منزله خاصة في قلوب طلبة العلم رغم الشدة التي تجاوز الحزم أحياناً، وحبه بين الناس وإشادتهم به، دليل واقعي على نجاح الإدارة التعليمية الحازمة، رغم تنظير المنظرين يقول شعبان:

نجم هوى:

أسامر النجم في الآفاق أرقبها ما أكثر النجم في صفو من السحر
أسائل الليل كم أمسى يسامره طوق تناهت له الأحلام من بشر
أعطى وأجزل من قلب وحق له أن تهجع العين بعد السهد والسهر
العمر ماض سريعاً في تتابعه كأننا في خضم الخلق في سفر
فاترك يميناً لفعل الخير تفعله واكبح جماحك في عين وفي نظر
نجم هوى من نجوم العلم منزله عليه حزني وما حزني على الخبر
يا من رفعنا بعالي الحب رايته ما غبت عنا وإن غطيت بالحجر
الاسم باق بقاء العلم في الكتب محمد الناصر المعني في القدر
سيعلم الجمع أني اليوم أذكره ولم أكن قد نسيت النقش في الحجر
نعم المربي حويت الخلق قمته صدقاً أقول بلا زيف ولا بطر
عاصرته من خلال الدرس مستمعاً فكم جنيت عبيراً من شذى الزهر
إليك ربي دعانا أن تكافئه عند الحساب بجنات على نهر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- علي عمر باراجي:

وللأستاذ علي عمر باراجي ديوان بعنوان: (وتسكن أهدابي تبوك) والديوان يعتمد على قصيدة النثر. وشأنه شأن الشعر الحديث ينأى عن التقريرية ويلجأ إلى الكلمة المعبرة والكثافة الشعورية ويمازج بين الحواس ويبلور المعنى ويجعله ناظراً ناطقاً.

والشاعر حين يتحدث عن تبوك تفيض مشاعره بألوان الجمال وألوان العطر وترتاح إليها نفسه وتتجلى عنه همومه وتمتع ناظريه وتأسر خياله وينعم فيها بالعطاء ويتقبل التهاني وتطيب له الأماني والآمال وقد خص الشاعر تبوك بهذه القصيدة:

ويسعى إليك مساء الغزل
يذوب جمالاً بشهد العسل
ربيعاً يعود ... بحلو الوعود
عروس تبوك ... تبوك الأمل

* * * * * * * *

فؤادي يضوع بعبق الندى
ورمشي بلاد فيها تبوك
عزيز هواك كهذا الوطن
كخفقة قلب تعطي الحياة
وتمسح منها ظلال الشجن
هوايا تبوك ... تبوك الهوى

* * * * * * * *

بديع هواك كنسمة بحرٍ
تضمُّ الهجير وتبقي الشذى
رقيقٌ هواك بعذب المياه
كقبلة عمر فوق الشفاه
نشف انثيالاً بلحظة خشوع
دعاء الجوانح عند الصلاة
عشقً تبوكْ عطاء الإلهْ

* * * * * * * *

شذاها العبيرُ وبوخ الخيالْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفيها الوصال محط القلوبْ
بشرى رسول لقلب معاذْ
هذي الجنان وحلم المحالْ
تبوكُ الشجرْ تبوكُ الثمرْ
تبوكُ الغلالْ

* * * * * * * *

تبوكٌ تبوكٌ وتبقى رؤاكْ
سحر الوجود وسيف الحدودْ
تبوك الحديثة خير العطاءْ
تبوك القديمة عِزَّ الجدودْ

* * * * * * * *

تبوح الخزامى أمير تبوكْ
تمدُّ الأيادي بروح العطاءْ
عروس الرمال بهذا الشمالْ
تبوك تزف لأغلى الرجالْ

* * * * * * * *

٥- هيام حماد:

ومن شعراء تبوك الشاعرة هيام حماد العطوي التي نالت بكالوريوس لغة إنجليزية وتمارس التدريس في مدارس تعليم البنات، وقد كتبت شعرها قبل أن تحصل على الشهادة الجامعية ونشرت لها معظم الصحف السعودية ومنها الرياض، الجزيرة، والندوة، والمدينة، وقد صدرت لها كثير من القصائد في صحيفة (الشرق الأوسط) ولا زالت ولها ديوان مطبوع وسم بعنوان (لحن في أعماق البحر) في ثمانين صفحة من القطع الصغير، وأغلب الديوان يحكي شعراً وجدانياً، ويصور تجربة الشباب الفورية التي يندفع إليها من كان في مثل هذه السن، والذي يتبلور بوضوح أن التجارب الوجدانية في الديوان كلها توجه سهامها نحو العلاقة الزوجية فهي المطلب الأول تقول الشاعرة في قصيدة بعنوان (لماذا أتيت):

لماذا قتلت الهوى واختفيت
وأحرقت قلب الدنا حين جئت
وأنت الذي في النوى قد بدأت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* * * * * * * *

وبت مع الليل وحدي أغني
لكأني ملكت الأماني العذاب
وقد غاب عني بأني أغني سراباً . .
سراب . .

والأماني وسيلة للشباب ورغم أنها من صنع الخيال غير أن الإصرار والعفة والاعتصام الديني لا يفرقان شباب بلادنا الحبيبة:

أحبيباً تتمنى أن تكون
يا غريباً في حياتي قد تكون
ربما تعرف أني لا أخون
أحفظ الود على مر السنين
إنما حبي عذاب وضباب وسجون
وتحد وعناد جنون([1])

وقد صدر للشاعرة ديوانها الثاني بعنوان (قارب بلا شراع) في مائة صفحة من القطع المتوسط، والديوان يمثل مرحلة النضج الفكري حيث أخذت تنزع إلى معالجة القضايا العربية التي يوحي بها الواقع المرير للأمة العربية، فصرخت كما صرخ غيرها من الشعراء في قصيدة (كفى حرباً):

كفى يا سادة العالم
كفى ظلماً ... .
كفى قولاً
خطابات بلا معنى
وأوراق بلا معنى
تجوب موائد الدنيا
تلوك مصيرنا الاعمى([2])

ومنه قصيدتها (فلسطيني كحد السيف).

([1]) المرجع السابق ٧٥.

([2]) هيام حماد، قارب بلا شراع ٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلسطيني كحدّ السيف:

... . لقد كانت بعظم الصدر محفورةْ

... . شعوري لم يزل يكبرُ

برغم الريح ... والأعصار ... والخنجرْ

وعشقي للتراب الحر قد أزهرْ

بلونِ الدمِ اسطورةْ ... .

* * * * * * * * *

... . لقد كانت بعظم الصدر محفورةْ

فلسطيني كحد السيف هل تسمعْ ... . ؟؟

فلسطيني كنجم الليل لا يهجعْ ... .

... ولو عاشت أفاعي الغدر في أرضي . .

فلن أركعْ ... .

... . فهذي الأرض تدعوني

... . نداءُ يحرقُ الأبعادَ يأتيني

وما زال النداءُ الحُر يجري في شراييني

* * * * * * * *

... أنا لا شيء يا أما

إذا لم أطعن الظلما ... .

بسكيني التي غاصت بها كفي

سأمحو العنفَ بالعنف ... .

* * * * * * * *

جذوري في عروق الأرضِ مخضرةْ ... .

على أرضي هنا أحيا ... .

مع الرشاش والمديةْ

... . وأحمي المسجدَ الأقصى

عدو اللهِ لا تقربُ ... .

أنا البركانُ إنْ أغضبْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* * * * * * * *

فلسطيني كسهم الثأر كالجمرةْ ... .

عرينُ الليثِ لي خيمةْ

أنا من يسحق العتمةْ ... .

أنا الماضي ... .

أنا الآتي ... .

أنا التاريخُ والثورة([1])

ولها قصيدة (أحلى الصبايا سوف تشنق):

... ... بيروت تبكي مثل طفل يا عربْ

الدمع في العينين رمز للغضبْ

بيروت تهوى من كيان الشرق يا شرق العجبْ

* * * * * * * *

ماذا فعلنا منذ إعلان القتالْ ... . ؟؟

ماذا فعلنا يا رجالْ ... . ؟؟

البعض منا قد أطال الصمت لا ينوي الكلامْ ... .

ولبعض لا يهوى القتالْ ... .

يا أمة نامت على الضيم المغطى بالركامْ

يا أمة أخفت وجوه العار في ثوب الظلامْ

يا أمة أوجاعها حتى العظامْ ... .

الدور قد يأتي لإيقاظ النيامْ

* * * * * * * *

ماذا تبقى غير أشلاء الضحايا ... . ؟

ماذا تبقى غير أنفاس البقايا ... .؟

... . وارتعاشات الصبايا

* * * * * * * *

الموت يحصد كل طفل في شوارعها الحزينةُ

([1]) هيام حماد، قارب بلا شراع (شعر) ٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والنار تكوي كل أحياء المدينةْ ... .

* * * * * * * *

يا خزي نفسي حين ألقاني إلى الشرق

انتمائي ... . بأمانيي وبؤسي

* * * * * * * *

أحلى الصبايا سوف تشنقْ ... .

أحلى الصبايا سوف تحرق ثم تسحقْ

ما عدنا نحتاج الوصايا والحكمْ

ما عدنا نخشاه الألمْ ... .

بيروت تأبى الذل يا ذل الندمْ

* * * * * * * *

هل يكتب التاريخ عن عار الزمانْ ... . ؟

عن قتلنا ... وذلنا ... في ساحة الهوانْ

عن طفلة تشردتْ ... .

ومثلها الآلاف في لبنانْ

عن قبة تحطمتْ ... في جوفها الأذانْ

في جوفها الصلاة والقرآنْ

ونحن في سباتنا نعانق الاحلامْ

نستنكر المواقف الأليمةْ ... .

ونرقب الخسائر الجسيمةْ ... .

ونطرد الأبطال من لبنانْ

* ومن الشعراء الذين نشأوا في تبوك وتأثروا بها إيما تاثير الشاعر عبدالله الصيخان، وفيها تلقى تعليمه وكانت الأحداث التبوكية مصدراً من مصادر تجاربه الإبداعية والقارئ لشعره يرى انطباعات المجتمع في المنطقة الشمالية فقصيدته التي بعنوان (فضة) مستمدة من الأسماء النسائية في المنطقة وتحدث عن مرزوق وهو غلام معتوه في تبوك، أما بشير بن رجاء العطوي الذي رثاه بقصيدته فإنه أحد أبناء تبوك من الشباب ذوي الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن الكاتبات الشاعرة الحداثية خديجة العمري التي تكتب في الصحف السعودية وتشارك في المهرجانات والندوات الأدبية في بعض الدول العربية. ومن الكاتبات بديعة الحزمى، فكتبت كثيراً من التحقيقات الصحفية واسمها هذا اسم فني. وهؤلاء وغيرهم لم أعثر على نماذج لأدبهم.

ومن الشباب من يخوض في نزاعات أدبية مثل معوض سالم العطوي حيث كتاباته في صحيفة، الرياضية.

وبالنظرة الشاملة للحركة الأدبية في هذه المنطقة ندرك أنها تفتقت عن شباب متطلع، صاحب موهبة، غير انه ينمي موهبته وفكره تنمية عصامية، يغلب عليها الوسائل الإعلامية الشائع الذائعة من الصحف والمجلات المنتشرة ومثل هذه لا تبنى فكراً سليماً، ولا فناً جميلاً، فليس لهم قدوة، ولا أمامهم أنموذج، لأن المنطقة تفتقر إلى علماء ولا وجود لهم في مدينة عصرية تخلو من فروع الجامعة فاعضاء هيئة التدريس ينمون الوعي بين أبنائهم ولمن حولهم.

وكذلك افتقار المنطقة إلى نادي أدبي يشرف على تطور الفكر الثقافي ويوجهه يؤدي إلى انزلاق الأدباء الشباب في تيه من الثقافة والفكر والفن.

وتبوك في منأى عن العواصم الثقافية في بلادنا، لذا فإن المنطقة أحوج ما تكون إلى فرع لجامعة، ونادي أدبي.

ونحن نستعرض بعضاً من نتاجهم.

٦- فاطمة القرني:

وهي ترمز لنفسها وفاء السعودية لما كانت طالبة في كلية التربية للبنات وتكتب شعراً جيداً ومنه قولها استجابة للدكتور غازي القصيبي:

((آه لو كنت قصيدة))

كنت أسرعت إلى العطر

إلى اللحن الظليل

وتفيأت ببيت . .

من قوافيك الجميلة

وستحكي لي لأني . .

ما تواريت خجولة .

سوف تشكو لي العذابات . .

وآثار السنين ... وانقضاء الأربعين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دون أن نخشى على أذني ... من صوت العويل
لا تقل دنياك ... . ويحي
كيف لا تقلق دنياي وقد أقسمت يوماً . .
أنك الدنيا ... وأصل العمر أنت. .
مثلما . .
يتغذى البيت من روح القصيدة.
* * * * * * * *

غير أني امرأة أحمل . .
في روحي أشلائي العليلة
وخيالات من الماضي . .
وعينين كليلة
((لست بحراً من بحور الشعر)) لكن . .
إنما شعري حياتي
سطرته – دامياً – كفي النحيلة
وأرى العشرين ... من جور السنين . .
والجراحات التي . .
تستحث الشيب في مفرق رأسي ... للبزوغ . .
جاوزت عمراً طويلاً.
* * * * * * * *

أنا لا أرجوك ((أن تروي غليلاً
أو تسد الجوع بالتفكير في ما
يفعل الجوع بأيتام صغار ... وقعيدة))
طالما يأتي علينا كل يوم ... حاملاً آهاً جديد
فانا ... هذي ((الأنا)) تملأ نفسي
وأريد الجود والإيثار والتفكير . .
لي .
مثلما أني بقلبك . .
– دائماً – كنت الوحيدة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آه ... والآهات لا تغني بروحي . .
كل آمالي الجميلة
لم أزل أحسب دنيانا خميلاً
((وأظن الناس أخواناً ... وأهلاً وقبيلاً))
وتظل – العمر – في عقلي وقلبي
((فارساً يقتحم الشعر إلى الموت . .
إلى دنيا جديدة))([1]).

* * * * * * * *

آه ... لو كنا قصيدة
وطوتنا . . بعض أوراق جريدة
وتلتنا قلوب ... يصل الصدق إليها . .
دونما أدنى وسيط
عندها ... قلها معي – آه ما أحلى القصيدة.

* * * * * * * *

ولما تخرجت من كلية التربية بتبوك أخذت تذيل مقالاتها باسمها الحقيقي (فاطمة القرني) وقد التحقت معيدة بالكلية ذاتها، ثم ابتعثت ابتعاثاً داخلياً لجامعة الملك سعود وهي ما زالت تدرس فيها.

وهي تمثل الفتاة الملتزمة التي استشرفت المعاصرة مع الالتزام بتعاليم الدين الحنيف، فهي تبث هموم الفتاة في إطار الحياة التي تنبع من الشرع الإسلامي، ذلك يتبلور في إطار الحياة التي تنبع من الشرع الإسلامي، ذلك يتبلور من كتاباتها في مجلة (اليمامة) في زاوية (إذا قلت ما بي)، أيضاً فإن أرباب المهنة الصحفية يشيدون بآداب مهاتفتها في حالة الضرورة وأن جلّ ارتباطها بمكاتب الصحافة عن طريق والدها فحسب.

وقد قالت مقطوعة شاعرية بمناسبة إصدار مجلة (اليمامة) ملحقاً عن تبوك:

مدي يديك
وهيئ الأحضان للجذب الذي
يحتاج صدري ... واحتوي
نبض النداءات الأخيرة

([1]) ٦٢ _ اليمامة _ العدد ٩٦٤، الأربعاء ٢٦ ذو القعدة ١٤٠٧هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* * * * * * * *

يا حلوتي
((أهل اليمامة)) يوجزونك
بضع صفحات وأخبار
وألوان مثيرة
((أهل اليمامة)) حدّدوا
لك ملحقاً
عجباً ... . !!
وقد عدوا سطوره !!

* * * * * * * *

غير ملحمة الغبار
وثورة الطين المخاتل
بعد أيام مطيرة
لا يعرفونك
غير (تحت الصفر)
أرقام نشوة
لون بردك حين يبلغ زمهريرة
لا يعرفونك
غير متراس الحدودي
وغير حصن للذخيرة

* * * * * * * *

وأنا عرفتك ألف جنس ذاب ممتزجاً
وفي أعماقنا اعتنقت جذوره
وأنا عرفتك صمت ... .
وكيف يدوم
هل في الحب خيرة
ما مات صوتك في دمي
فتقدمي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليلاي ... دونك تُطربين
وإن تكن لغتي ضريرة

* * * * * * * *

لا يعرفونك ... والذي أحياك
غير قبائل للبدو
تحضن بعض أطراف الجزيرة
لا يعرفونك . .
دفء أيام الطفولة
لثغة الحرف اللحون
وعثرة القدم الصغيرة
وأنا ... .
وأنت عرفتني
لغة معاندة
وشقاوة جزت ظفيرة
حبي وأنت عرفتني
لهو الصبا
لعنادنا في كل سانحة
مغامرة خطيرة
حبي وأنت عرفتني حلوى الخدود
وكرتا صفراء يوم العيد

وهذه القصيدة تذكرني بصاحب الأعمش حينما ذهب يسترضي زوجه فأراد أن يمدحه فأخذ يسرد معايبه حيث قال: (لا يبعدك عنه عمش في عينيه وبخر في فيه، ونتن في إبطيه، ودقة في ساقيه) فهي لا تذكر عن تبوك ((غير ملحمة الغبار، وثورة الطين، غير تحت الصفر)).

٧- المهندس محمد فرج العطوي:

ومن الشعراء الشباب، الشاعر المهندس محمد فرج العطوي، فقد بعث لي بمجموعة من قصائده، وفيها يعالج بعضاً من قضايا الامة بقصيدته (ثورة الأطفال) التي تحكي مأساة أبناء فلسطين وهي:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سئمت الليل يوغل في حصاري ... أشاركه السكوت بلا اختيار
يجر مصائبي ويذيب صبري ... ويبقى ساجياً دون انحسار
وليت النوم في مقدور عيني ... وليت النوم يأتي بالقرار
أيسهر من يرى في الليل مثلي ... هموماً لا تعالج بالفرار؟
أيهوى الليل من يحتاج ليلاً ... يزيل به تراهات النهار؟
ويأتي الليل بالآهات تترى ... يصاب الرأس منها بالدوار
وما سهدي الذي أشكو غراماً ... بذات الجيد أو ذات الخمار
ولكني: فتنت بحب أرضٍ ... حباها الله قدسي المزار
لها في قمة العلياء دار ... سمت في قدرها عن كل دار
وخصّت أرضها بالدين حتى ... تناهت في القداسة والوقار
ومعظم أنبياء الله قاموا ... بها يدعون للدرب المنار
طهور ماؤها عبق هواها ... وتهدي أهلها أشهى الثمار
وإني رغم ما أبدي إليها ... غزير الدمع في عيني أواري
لأني ما استطعت لها وصالاً ... ولم أَر وجهها رغم انتظاري
ولكن عدت للتاريخ بحثاً ... عن الماضي التليد ومجد داري
فلم أَر في حياة اليوم مجداً ... ولا معنى لعيش أو قرار
فأين المجد والأقصى ينادي ... مراراً أين هم طلاب ثاري؟
طريحاً يستباح ويعتليه ... طغاة الأرض أرباب القمار
قيوماً يشتكي تهديم سور ... ويوماً يشتكي تأجيج نار
وفي جنباته يغتال شيخ ... وحتى الطفل يحظى بالعيار
وأين المجد والأيام تمضي ... ويبقى أهلنا تحت الحصار؟
فعذراً يا صلاح الدين إنّا ... لحطين المجيدة لا نجاري
فلا أعدادنا تكفي لجيش ... كجيش قدته للانتصار
ولسنا قادرين على اعتدادٍ ... بأسنان كتلك بيوم قار
ولكن لن يطول مقام خصم ... يهاب الموت من أيدي الصغار
ففي الأرض السليبة أمهات ... جبلن النصر بالسبل القصار
فانجبن الصغار وليت شعري ... أيفعل فعلهم بعض الكبار؟!
رأوا ذل المعيشة فازدروه ... وقالوا لن نقيم على احتقار
فهبوا يزأرون بوجه خصمٍ ... شريك في البلاهة للحمار

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يخـــاف المـــوت حـــتى مـــن نبـــالٍ ... وفي مقـــدوره ســـبل الـــدمار
ونـــــادوا للبريـــــة في ثبـــــات ... وقـــــالوا الله أكـــــبر بافتخـــــار
فجلجـــل صـــوتهم في كـــل ركـــن ... ورددت المـــدائن والـــبراري
وجـــاءت ثـــورة الأطفـــال نصـــر ... لحـــق ضـــاع منـــا بـــالحوار

وله قصائد وجدانية تنبئ عن موهبة جيدة وقدوة على بلورة التجربة الشعورية ومنها:

كفـــاكِ لومـــاً فـــإن اللـــوم يضـــنيني ... وحكمـــي عقلـــك حينـــاً ولـــوميني
وراجعـــي الأمـــر إني لســـت مقترفـــاً ... ذنبـــاً علـــى ذمـــة التحقيـــق يـــوليني
وأمهليـــني إذا مـــا كنـــت راغبـــة ... في الحـــق حـــتى أوافيـــك بـــراهيني
فإنـــه نـــالني مـــن لومـــك ألمٌ ... يغيـــب حينـــاً وأحيانـــاً يـــوافيني
يـــا مـــن أســـأت بي التقـــدير معـــذرة ... قـــد هـــزني حكمـــك لمـــا حكمتيـــني
ورب عيســـى لقـــد أثقلتـــني ألمـــاً ... لمـــا تبســـمت في وجهـــي لتبكيـــني
وقفـــت لي كانبثـــاق الصـــبح باسمـــة ... كالبـــدر حســـناً وعطـــراً كالريـــاحينِ
بالجيـــد بـــاللحظ بالأهـــداب ضـــافية ... كأنهـــا أســـهم ســـلت لترميـــني
يـــا أيهـــا الزهـــرة الحســـناء فاتنـــة ... يـــا دوحـــة عطـــرت شـــتى الأفـــانينِ
آنســـت فيـــك خصـــالاً لـــيس يملكهـــا ... الآك يـــا غايـــة الأخـــلاق والـــزين
فمـــا دهـــاك أتيـــت اليـــوم مانعـــة ... رد الســـلام وقـــد كنـــت تحييـــني
وكلـــت لي مـــن ســـهام اللـــوم عاصـــفة ... تفـــوق في وقعهـــا وقـــع البراكـــينِ
وقلـــت إذ راعـــني مـــا قلـــت قاصـــدة ... جرحـــى وقـــد كـــاد مـــا قلتيـــه يـــرديني
ثم انصـــرفت وقـــد أودعتـــني ألمـــاً ... يعـــاود الفكـــر مـــن حـــين إلى حـــينِ
مهـــلاً فـــإن احـــترام الغـــير مســـألة ... تحظـــى بجـــل اهتمامـــاتي وتعنيـــني
ومـــا تعـــودت جـــرح النـــاس قاطبـــة ... فكيـــف أختـــارك بـــين الملايـــين؟!
وقـــد تعلمـــت حـــب الخـــير في صـــغري ... فصـــار كالـــدم يســـري في شـــراييني
ومـــا تخلقـــت ســـوءاً كـــي أعـــاب بـــه ... ولا صـــبغت ارتباطـــاتي بلـــونين
فـــأدركيني بعفـــو لـــيس لي طلـــب ... إلاّه واســـتدركي مـــا قلتـــه فيـــني
وعـــاوديني بوصـــل كلـــه أملـــي ... لمســـته فيـــك طبعـــاً غـــير تلقـــينِ
وابـــدلي البعـــد قربـــاً نســـتريح بـــه ... فقـــد تـــداعت بي الأشـــواق تـــدعوني
وقـــدري آهـــة بالليـــل أرســـلها ... تعيـــث بي غـــربتي والصـــبر يعييـــني
واكـــبري أيهـــا الحســـناء غايتنـــا ... وكوننـــا في اتفـــاق الـــرأي صـــنوينِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا سيما وانتهال العلم يجمعنا ... من منهل والثريا قاب قوسينِ

ومن وجدانياته هذه المقطوعة:

العين جوادة بالدمع هتان ... والقلب من شوقها يكوى بنيران
كأنها أودعتني الحزن مذ ذهبت ... فصار أهلي وأصحابي وخلاني
أعيش أذكارها بالليل تصحبني ... ويعتلي طيفها أهرام أحزاني
يا بدر ليلي ويا أنوار ظلمته ... يا شمعة العمر يا عنوان أوطاني
قد كنت لي نغمة الأفراح أعرفها ... وأستقي لحنها من همسك الجاني
فغبت يا دوحة الألحان عن نظري ... فكدت أنسى لهول الأمر الحاني
رسائل الشوق يا عمري سأكتبها ... إليك مضمونها بالأحمر القاني
فأطفئي شمعة الأفراح وانتظري ... ما يحمل الناحب الملهوف من شأني

الرياض ١٤٠٨هـ

ومن القصائد المعبرة عن تجاربه الوجدانية قوله:

تجرعت المرارة والمآسي ... وأرهقني الفراق وحل بأسي
وأبديت التجلد حيث يحرى ... بمثلي أن يُبوح بما يقاسي
ولكن قلبي الصب المعنى ... عصى سبل التأسي والتناسي
فأثرت اصطحاب الليل حتى ... جعلت الليل أصحابي وناسي
أبدد فيه بالآمال حزني ... واترع فيه بالآهات كأسي
وابحر في دجاه بذكرياتي ... وآمل في الوصول إلى المراسي
وتعصف بي رياح الشوق عصفاً ... على منئى يزيد به ابتآسي
إلى تلك الليالي كيف كنا ... وقد لعب الغرام بنا سواسي
يوافينا الغرام ويعترينا ... من الأعراض أعراض النواسي
ونملأ دوحة الأفكار وشياً ... من الأحلام لا تحوي برأسِ
ويبقى حلمنا المرجو حلماً ... ونبقى دونه هدف المآسي
فلا الأيام تمضي دون خطب ... ولا نحن خطونا باحتراسِ
فصرت بما دهانا مثل طير ... على غصن ينوح بلا مواسِ
حباه الدهر ألاماً وأوحى ... إليه الحزن إحياء الأماسي
فراح يردد الألحان حزناً ... وقد يهفو للحن الحزن قاسِ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرياض ١٤٠٩هـ

وقصيدته (يا أمة الضاد) تعبر عن موقف الشاعر من حرب الخليج:

ماذا أصاب خليج المشرق العربي؟ يا أمة الضاد من حيفا إلى حلبِ
من المكلاَّ إلى شرق العراق إلى وهران خُطّت لها الأمجادُ في الكتب
إن تاق للمشرقيَّ المغربيُّ سعى يبثّ أشواقَه الحرّى مع السحب
فكيف إن وقفتْ بالشرق نائحةٌ تبكي من الحزن أخت الدين والنسب؟
تبكي الكويت ويا للهول ما برحت بالأمس تبكي اغتصاب القدس والنقب
لو زلزلت أرضها هانت مصيبتنا أو هُوجمت من عدو طامع الأرب
لكنَّ أدنى ضروب الغدر منزلة غدر القريب قريب الدم والعصب
ماذا اقترفنا بحق الناس من خطأ؟ حتى أخذنا بخصم غير محتسب
حرمت شعب الكويت الحر موطنه وهم كرام ببذل العين والهدب
غدرت صدام جاراً كان واسفاً يعطي ويبذل يوم الموقف الصعب
يا قوم لبوا نداء الفهد وامتثلوا نداء من غير وجه الله لم يهب
فهد الذي لو حسبنا فيض أنعمه على العراق لا نهكنا من التعب
تفديك يا منبع الإسلام أفئدة نالت أمانيها في روضك الخصب
نذود عن أرضنا عنوان عزتنا إما إلى النصر أو في خير منقلب

٨- علي عبد الفتاح سعيد:

والقاص علي عبد الفتاح سعيد من الشباب الذين اتجهوا للفن القصصي القصير، وقد نُشِر له قصصاً منها صوت المؤذن، فراشة تحوم حول شعلة، وجه الحقيقة، تحت الصفر، إلى لقاء، خلطة المغامرة، الصوت والصورة والانعدام، ما بعد التلاشي، يحدث في ليل الظلام، الولوج من ثقب إبرة، قولدا مائير، وجلّ هذا القصص نشر في جريدة الرياض(١).

وقصته (يحدث في ليل الظلام) تمثل جانباً من ألوان الحياة في المنطقة حيث تربية الحمام، وصيد الصقور، ومعيشة الساحل.

ونورد أيضاً نموذجاً يدل على تواصله مع قضية المسلمين عامة قضية فلسطين بعنوان (قولدا مائير)، وإيراد هاتين القصتين ليس معناه أنهما أفضل نتاجه، وإنما النموذجان اللذان عثرت عليهما.

القصة الأولى: يحدث في ليل الظلام.

(١) صحيفة المدينة، ملحق الأربعاء ١٤٠٩/٨/٢٩هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل يوم عندما أنظر إلى برج الحمام القريب من دارنا مساءً وأجده فارغاً من ذوات الأجنحة أشعر بالكآبة ... تساءلت كثيراً عن سبب إصراره المستمر على المكوث خارج البرج ليلاً لفترة تستمر إلى ما قبل شروق الشمس وقبل آذان المؤذن ... بعد ذلك أجده يتقافز في البرج وتدب الحياة حوله ... تزدحم المساحة الجوية التي فوق البرج بحركة كلها حيوية بلا انقطاع إلى ما قبل المغرب ثم تبدأ أزواج الحمام بالوصول تباعاً إلى البرج . .

خمنت بيني وبين نفسي بأن الحمام قرر هذه الليلة عدم السهر خارج البرج وأن سبب عدم مبيته سابقاً – انسدل الظلام. وخوفه من الاصطدام بأسلاك التيار الكهربائي المعلقة وعدم قدرته على التركيز وسط الأضواء المصنعة ... أو لربما كان لعدم تكيفه مع المكان الذي كان يقصده تأكد له ذلك بعد تكرار.

خرج الناس من صلاة العشاء وفي طريقي إلى المنزل لمحت البرج والحياة فيه خامدة – الألوان البيضاء، والكحلية والحمراء معدومة منه وأوكاره يعشعش فيها الظلام.

والحمام على بروزات البيت المقابل يربض مطمئناً هانئاً يغازل بعضه بعضاً... احترت من هذا التغير المفاجئ. سألت نفسي بشدة ليست خالية من العنف عن هذا السبب؟

وكالعادة تجاهلت الموضوع... ولكن عندما استيقظت صباحاً بدأ الحمام تدب قضيته في أعماقي... قررت عدة قرارات. أولاً: الاستمرار في مراقبة برج الحمام من قبل آذان المغرب... ثانياً: تأديب من تسول له نفسه اقتناص وإزعاج الحمام (بالنبالات المطاطية) من الأطفال الذين هم أطول مني جسماً ولا شك. ثالثاً: إذا فشلت تلك الجهود ويجب أن أتناسى الموضوع فلربما للحمام أعذاره الخاصة وسلوكياته التي لا يتأتى لشخص مثلي غير متمكن من معرفتها.

ظلت هذه القرارات فقط مجرد كلام في لحظة حاسمة، صرت دائماً أعبر عن ضجري من عدم معرفتي بسبب مغادرة الحمام لبرجه في كل مجلس... أشعر أحياناً بألم شديد من الضياع الذي يعيشه الحمام خارج البرج، أتساءل باندهاش ((الحمام له برج ويبيت خارج برجه الذي بني له بمبلغ كبير يا للعار لِمَ هذه الصياعة أيها الحمام؟))

كنت فقط عندما أخرج من منزلي ترنو رقبتي وتتسع حدقتا عيني وأنا أحدق في البرج الفارغ من كل الألوان والأصوات والصور الجميلة... وأتذكر قراراتي وتوصياتي وأشعر بخجل فظيع من نفسي التي تعهدت أمام الأعضاء الجسدية والحسية والضمير والمنطق بتنفيذها في أقرب فرصة ممكنة.

طرأ على بالي توقع: ربما هناك قبل الغروب صقر جامح يطيب له التحويم فوق البرج فيلوذ الحمام بالهرب... لكني طردت هذه الفكرة السخيفة من رأسي لأننا ليس في وقت قنص الصقور الذي يصادف وقت ارتحاله... من شرق أوروبا وأفريقيا إلى الجزيرة العربية في رحلة سنوية لا تنقطع وتكتظ وقتئذ ((السبخات البحرية)) على ساحل البحر الأحمر بالصيادين الذين لا يرهقهم الصبر المر في إسقاط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شاهين جامح متى ما أتيحت الفرصة بعد طول الصبر ومراقبة بمناظير مقربة مع بداية فصل الشتاء وبالذات في أكتوبر.

تمنيت مرات ومرات أن يكون فوق منزلي برج كهذا البرج الشامخ ولكن بشرط أن يتمتع الحمام بالأمان والطمأنينة خاصة وأن حينا الشعبي يخلو هذه الأيام من أسراب الحمام التي تواكب كل يوم أجواء السماء وتضفي منظراً جميلاً لا غنى للإنسان عنه... يلذ لي رؤية قارب وهو يمخر عباب الماء وجمل في سفر وطائر يطير صباح مساء في أجواء نظري... ومع هذا حتى أكون مخولاً بهذا الاهتمام بطريقة رسمية شرحت الأمر لصاحب البرج الذي غاضبني تجاهله الأرعن وتكليفه إياي بحل هذا اللغز... لم يكن صاحب البرج غريباً عن فصيلة دمي. .

لم أسأل نفسي بسر هذا الإهتمام والحب الذي صرت أكنه لليمام ولكن ذات مرة كنت أحمل الواحدة بين أصابعي وهي تحمل فوق ظهرها شبكة متينة بطريقة محكمة في الجناحين والساقين. أوجه مقود السيارة بيد، والأخرى ممسكة بالحمامة حتى يسهل رميها لطائر أشك في أصالته وألوذ فاراً عنها وهي تسبح في الفضاء حتى لا يجفل الطائر من صوت المحرك ورؤية السيارة... ولكن ما ألبث أنظر بالمرآة خلفي إلى المطاردة الجوية بينهما فأجد الحمامة تتبع السيارة بعزيمة قوية فارة من مخالبه القاتلة. وأوقف المحرك وأترجل... تتسمر في مكانها كي ألتقطها بصورة لا تتحقق إطلاقاً لو تركتها في الشارع مثلاً. أضمها بين أصابعي بقوة مستنكراً فعلتها الشنيعة أشعر بدقات قلبها السريعة، ينزل على ثوبي الأبيض سائل أصفر مسود... اغتاظ... أتجاهلها لأحقق مطلبي... لكنني أخفقت في صيد مجز. ومنذ ذلك الحين أصبحت لدي قناعة بأنني أعشق الحمام وأعطف عليه وأستلذ برؤيته بكافة أوضاعه التي يسلكها بفطرته الموهوبة.

لم تطل حيرتي في معرفة سر ترك عش الزوجية الذي اعتاده الحمام... هكذا شعرت بعد ما اكتشفت الحقيقة المؤلمة التي كانت لعدة شهور عائمة بين عجزي وإهمالي وإحساسي بالذنب... شعرت ذات ليلة بصوت أجنحة الحمام تدفع هواء الشارع مغادرة البرج... ألقيت بعد ذلك نظرة سريعة على البرج، وجدت قطاً شبيه نمر أخذ في فمه شكلاً غريباً وكأنه اعتاد دوماً على العشاء بوجبة من ((الزغاليل)) مهما كانت الظروف يلف القط البرج بحركة خبيثة كالثعبان... ومنتقلاً بين الأوكار باحثاً عن زغب الحواصل في أحدها في ليل الظلام بهدوء ودقة توحي بخبرة كبيرة في هذا المجال. زاد انشغالي وقد عرفت السبب: القط كائن حيواني متحرك وصعب ردعه بالألفاظ. والتحكم به لأنه سريع الحركة والقفز... والتسلق والهرب... . ولكن قتله لم يكن بالنسبة لي أمراً صعباً ولكن هل يستحق الموت... وكيف نكتفي أنا والحمام شره... أصدرت فتوى من أحد الفقهاء بنفيه فقط... سألت: ماذا يعني. قال: ليس هناك داع للقتل فقط يكتفى بعمل شرك والقبض عليه وإبعاده عن مسرح الحمام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانت الفكرة جداً جيدة، ولكن يبدو أن القط شعر بالخطر فلم يعد له وقت معين في الهجوم: مرة يهجم قرب الفجر ومرة بعد منتصف الليل ومرة بعد الثانية صباحاً وكأنه يعرف وقت انشغالي وإرهاقي.

.

كلما حاولت أن أمسكه متلبساً وأقذفه بحجر بحنق شديد كان الحجر لا يصيبه إلى أن شعرت بالملل واليأس وعذاب الضمير على أثر المهمة الرسمية التي وكلت بها بمتابعة هذا الموضوع. يعلم الله مدى تألمي لهذه المأساة ويعلم بضعف الحمام الذي صار أغلبه من الثكالى لفقد صغاره.

مضت عدة ليال والحمام لم يذهب للبرج ليلاً... وصدفة لمحت القط ظهراً يحمل أحد سيقانه عن الأرض... شعرت بفرح شديد... لقد انتقم الله لي ولك أيها الحمام. .

ولكن بعد فترة عاد الحمام يبيت في الخارج بعد مابرئت ساق اللعين ولم يصبح هناك عائق يعيقه في القفز والتسلق. ولكن مرة أخرى يلبث الحمام غير معكر الصفو متمتعاً في برجه وأشاهده يحمل الساق ويعرج في مشيته وقد دبَّ فيه الهزال لم يكن توقعي بأنه ألف على أكل الطيور فيه شك رغم امتلاء براميل القمامة ببقايا السمك، لذلك اعتراه الضعف لضعف حيلته... كنت لا أبخل دعوة صادقة إلا دعوتها من الله بأن ينتقم للحمام منه شعرت بيقين لا ينسل إليه الشك في استجابة الله لهذه الدعوات نصرة للحمام المسكين... وبدأ الحمام يستلذ بالمكوث في برجه والمبيت بطمأنينة واستقرار... لكن اللعين عندما تلوح له فرصة شفاء لا يتوانى في استثمارها ومهاجمة البرج على فترات متقطعة ومع ذلك لم يفكر الحمام في هجر البرج ولو مرة واحدة... تصورت مناظر القطط التي تدهس بإطارات السيارات وتمنيت أن يلقى حتفه قضاء وقدراً حتى يستطيع الحمام أن يلم حاله ويمارس الحب دون تعكير لصفوه([1]). .

القصة الثانية: قولدا مائير:

ترفع المطرقة إلى أعلى ثم تهوي بسخط على الرأس. وتصرخ قولدا مائير صراخاً تظن أنه يصل آذان مجلس الشيوخ والشارع اليهودي: تتضح جميع الحلم الذي لبثت فيه ساعة أو بعض ساعة، وتفرز الساعة إلى دقائق... . دقيقة للسعادة... دقيقة للزوجية... . دقيقة للرعب... دقيقة للتحريض ضد شعب أعزل... دقيقة لهدم المنازل... دقيقة لإضافة مستوطنات جديدة... تتأوه من شدة المطرقة وضيق المكان والنافذة الواسعة التي لا تنفث إلا سموم جهنم والجحيم المستعر... . تلعن الانتداب... تلعن الحلم العريض... تلعن الجحود والنكران تتمنى أن لو تعود، فتطرد جميع اليهود... تتمنى أن تلبس حلة بيضاء وعلى وجهها الخبيث تضع نقاباً، خوفاً من أن يرى عينيها موشي ديان، وبيغن ورؤساء الأحزاب سأقول

([1]) صحيفة الرياض، ع٧٤٦٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهم جميعاً: هيا بنا نعود إلى التيه... . مكاننا ليس هنا... فلسطين ليست أرضاً لنا... هيكل سليمان حجة تاريخية عقيمة لا تعطي الحق في استباحة الملكيات... كسونا العالم حلة سوداء ملتهبة... يا للعار. أنا امرأة كان ميداني البيت... أسرة سعيدة وطريق مستقيم... قيادتي لكم خطأ تاريخياً ضد كرامة الرجال (تهوي المطرقة)... . تنصهر وتتجمع في بوتقة المكان. ينتفخ قلبها حقداً على كل من صنع القرار، ونفذه... تتمنى رؤيتهم فتتشفى في ضعفين من العذاب فيهما... يتلظى ديفيد السلف وأصحاب وعد بلفور... تشعر عطشاً... ترشف كأساً من غسلين... إرهاقاً شديداً لم تحس بمثله أبداً يعتريها... تقرر النوم... وعلى لوحي النار تهوي المطرقة.

لقد تأخر كل شيء، فالظروف متغيرة... حينما كانت تعتريها وعكة... تهمس همساً فيتأتي من الأطباء أشكال... من الزوار رؤوس الدولة... الفتنة... الآن تصرخ ولا يجدي نفعاً... ((هل هو مؤقت أم أبدي؟؟))... كانت توقن تماماً بأنه سوف تكون لها نهاية فقط... تموت لحظة الوداع حين الوداع... مأتم على أعلى مستوى... . وفود من جميع أقطار الحلفاء... وتسير الجنازة على إيقاع موسيقي حزين... ويحزن الشعب... وتنهال البرقيات المليئة دموعاً وألماً... وتصطف ثلة من الجنود حول اللحد... تنهال باقات الورود، يرتل كبير الحاخامات من كتاب منسوخ... تراتيل وضعية ويؤدي طقوساً باهتة... وتصور المنظر كاميرات العالم... يعرض في تلفاز الحلفاء ويذكر العالم امرأة قهرت العرب وسيرت دفة بني صهيون المتهالكة... في كل هذا عزاء لإنسان مصيره الفناء يرقد في مكان مظلمٍ هادئ... في سبات عميق... دون كلل أو تعب... ممجداً من الذين عاصروه والأجيال... ويقبع في سعادة أبدية... (تهوي المطرقة)... ليل نهار في المكان المظلم تحت الحضارة الإنسانية المليئة بالجهالة والأدمغة المغسولة... في حضارة لا يعرف مضمونها إلا أولي الألباب... تتذكر الماضي الذي انتهى من قليل... تقارن بين... بين... تتوسل... يبح صوتها المهزوز... تبحث عن معززات هنا!! لا معززات ما لم نوجد معززات سابقة كتبت وسط الحضارة المليئة بالجهالة والأدمغة المغسولة... تعود إلى باطن الأرض بعدما صعدت السماء، وتأفف منها أهلها... الاسم الخبيث والريح الخبيث... قولدا مائير... . و ... و... و. !

يشتاق التراب إلى التراب... تضم الأرض جسدها ضم الرحى للبر، حتى تتفتق أضلاعها... يتراكم الظلام في موضعها بشكل لم تعهده من قبل... حتى عندما كانت تطفأ الأنوار لأمر طارئ... لوحان من النار يفترشان المكان... لتفترشهما... . وباب يفتح يبعث لهيباً قاسياً. .

((فليبارك الرب قولدا مائير خليفة ديفيد العظيم. إنهما الآن يهنئان في رحمة الرب. جزاء ما فعلا لشعب الله المختار... وحققا طموحاته... ونفذا خطته المقدسة.!!)).

كسيل جارف كانت موصدة تجاهه الممرات... كماء يقطر منذ زمن بلا انقطاع على قمة جبل... يجرف السيل الممرات... وتخترق القطرة قمة الجبل فيوشك على التداعي... ينطلق الأطفال... ينطلق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرصاص... تحارب الحجارة... تموت أرواح... تجمد الحياة العامة وتستيقظ حياة النضال والدم... تفتح الأرض جوفها لدمائهم رحمة... تفتح الأرض جوفها لدمائهم نقمة... وتنتظر الأجساد... تصرخ قولدا مائير... تنهال المرزبة عليها... لو انهالت على جبل لدكته، تجفل عيون البهائم... والطير الذي مر من هنا لم يرسل صوته تأدباً ورهبة(١).

علي عبد الفتاح سعيد

(١) صحيفة الرياض، ع٧٤٨١ في ١٤٠٩/٥/٧هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثبت المصادر والمراجع

- إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم: المناسك وأماكن وطرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، ١٣٨٩هـ.
- إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ.
- أحمد حسين شرف: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام.
- أحمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق، دار النفائس.
- ابن إسحاق إبراهيم محمد الفارسي: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، ١٣٨١هـ.
- أسعد سليمان عبده: فهرس صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار.
- د. أمين محمود عبدالله، الجغرافية التاريخية لحوض البحر الأحمر، أسيوط، ١٣٩١هـ.
- أوجست: صور من شمال جزيرة العرب، ترجمة سمير سليم ويوسف إبراهيم، طبع عام ١٣٩١هـ.
- البلوي: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تأليف خالد بن عيسى البلوي.
- ابن بطوطة: تحقيقة الحسن السائح، رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ١٩٦٤م.
- أبو تراب الظاهري: وفود الإسلام، دار القبلة.
- تيودور سولتز: كيفية التنمية البشرية، ترجمة د. سميرة بحر، مكتبة الوعي العربي.
- الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المكرمة، تحقيق حمد الجاسر، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، منشورات اليمامة للبحث والترجمة، الرياض.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- جمال الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد المطري، التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد المحسن الخيال، نشر أسعد درابزوني، ١٣٧٢هـ.
- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب.
- حمد الجاسر: أ- في شمال غرب الجزيرة، ب- معجم شمال غرب الجزيرة، ج- ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، مقتطفات من رحلة العياشي.
- الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع.
- حمود بن ضاوي القثامي: معجم المواضع شمال الحجاز.
- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
- الأدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.
- سليمان المطلق: ديوان، قبضة من أثر جميل.
- السمهودي: وفاء الوفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنت جون فليبي: أرض الأنبياء، ومدائن صالح، تحقيق عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت.
- سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، الطبعة الأولى، دار البلاد.
- شكيب أرسلان: الارتساف اللطاف، مكتبة المعارف، الطائف.
- شهاب الدين ابن أبي عبدالله، ياقوت الحموي، معجم البلدان.
- صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: مراصد اطلاع، تحقيق محمد البجاوي، البابلي، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- عائشة بنت عبدالله أقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، منشورات نادي مكة.
- عاتق بن غيث البلادي: رحلات في بلاد العرب شمال الحجاز والأردن، دار مكة.
- عبد الرحمن شعبان: ألوان، مطبة الجميل، عمان، ١٩٨٥م.
- عبد العزيز الدوسري: التحركات السكانية وعلاقاتها بوظائف البلدية.
- أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عمر الواقدي: فتوح الشام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- أبو عبيد البكري: جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، تحقيق د. عبدالله يوسف الغنيم.
- عبد القادر بن حبيب الله السندي: الذهب المسبوك في تحقيق روايات تبوك، مكتبة العلا، الكويت.
- عبد الغني بن إسماعيل النابلسي: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- علي بن الحسين الأصبهاني: الأغاني تحقيق إبراهيم الأبياري.
- علي بن حسين السليماني: العلاقات الحجازية المصرية زمن السلاطين.
- علي عمر باراجي: وتسكن أهدابي تبوك.
- أبو القاسم، ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض.
- أبو القاسم الزيالي: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة براً وبحراً، المملكة المغربية، ١٩٦٧م.
- أبو القاسم عبدالله بن عبدالله ابن خرداذابة: المسالك والممالك، ليدن، ١٩٠٩م.
- ابن كثير: البداية والنهاية.
- محمد بن أبي بكر (ابن القيم الجوزية): الرسالة التبوكية، زاد المهاجر إلى رية، مكتبة المدني، جدة.
- محمد أحمد باشميل: غزوة تبوك، دار الفكر.
- محمد بن عبدالله الحسني الموسوي المدني: (كبريت)، رحلة الشتاء والصيف، بيروت، ١٣٨٥هـ.
- محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية، الطبعة الثالثة، الناشر، مكتبة المعارف.
- موسل أ.: شمال الحجازية، ترجمة د. عبد المحسن الحسيني، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- موسى مصطفى عبد القادر العبيدان: مدينة ضباء، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- هيام حماد: لحن في أعماق البحر، وديوان قارب بلا شراع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- نبيل عبد الحي رضوان: الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، مطابع سحر.
- د. يوسف درويش عوانة:١- إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر عمان.

٢- التاريخ السياسي لشرق الأردن في العصر المملوكي، دار الفكر.

الدوريات:

- مجلة العرب: الرياض، في ٢٧ شعبان، ١٤٠٤هـ.
- مجلة الفيصل: ع٩٦، عام ١٤٠٥هـ مارس ١٩٨٥م.
- التقرير السنوي عن الغرفة التجارية الصناعية بتبوك.
- التقرير السنوي لجمعية الملك عبد العزيز الخيرية بمنطقة تبوك.
- التقرير السنوي إدارة تعليم منطقة تبوك.
- التقرير السنوي إدارة تعليم البنات بمنطقة تبوك.
- الغرفة التجارية الصناعية الدليل التجاري السنوي ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ.
- تقرير عن كافة أنشطة الجمعية للسنوات من ١٤٠٣ إلى ١٤٠٧هـ.
- ملحق المدينة العدد رقم (٥٠) صفر ١٤٠٣هـ.
- الأسبوع السنوي للعناية بشؤون المساجد.
- التقرير السنوي للاتصالات ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ.
- أطلال: فصيلة الآثار العربية السعودية، العدد الخامس ١٤٠١هـ.
- تبوك بوابة الشمال إصدار بلدية تبوك.
- الحصاد:شركة تبوك للتنمية الزراعية.
- صحيفة الرياض.
- صحيفة البلاد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

المقَـدِّمَة ٣
التمهيد ٥
تبوك في المعاجم ٦
تسمية تبوك: ٧
الموقع: ٨
منطقة تبوك ١٢
تيماء المعاصرة: ١٥
جغرافية منطقة تبوك ٢٢
الفصل الأول ٢٥
تبوك القديمة ٢٥
القبائل العربية ٢٦
غزوة تبوك ٣١
المساجد التي صلى فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ٤٠
العمران في تبوك القديمة ٤٤
الآثار في منطقة تبوك ٥٠
المواقع الأثرية ٥٣
تبوك في العصور الإسلامية: ٥٩
تبوك في كتب الرحلات ٦٣
هاجس أمن الحج في الشعر ٨٠
الفصل الثاني ٨٣
تبوك المعاصرة ٨٣
التنظيم الإداري ٨٤
أمراء تبوك ٨٥
التطور العمراني ٩٠
إسكان قوى الأمن الداخلي بتبوك: ٩٣
الزراعة ٩٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التجارة في تبوك ١٠٠
المواصلات ١٠٢
إدارة الأوقاف بتبوك ١٠٦
التعليم ١٠٦
الحياة الاجتماعية ١١٠
الجمعيات الخيرية ١٢٤
الفصل الثالث ١٢٧
الحياة الفكرية والأدبية ١٢٧
أدباء من منطقة تبوك ١٣١
ثبت المصادر والمراجع ١٦٣